مَوسُوعة النَابُلسي للعُلوم الإسلَاميّة

دروس حوارية



www.nabulsi.com info@nabulsi.com

التربية الإسلامية – موضوعات مختلفة في التربية - دروس حوارية - الدرس (01-28) الاهتمام بالأولاد - أخلاق الجهاد - فن الحوار - الذكاء العاطفي

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 26-02-2006

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمات هامة

أيها الإخوة الكرام : لابد من بعض المقدمات .

المقدمة الأولى : عليكم بالأعمال المتاحة السهلة

كم عمل يمكن أن تعمله في ظل الظروف الراهنة الصعبة القاهرة الضاغطة دون أن تساءل إطلاقاً ؟ مئات الأعمال ، ملايين الأعمال .

الذي أتمناه عليكم أن نبقى في الأعمال التي إن فعلتها لن يسائلك أحد ، لا قريب ولا بعيد ، ولا كبير ولا صغير .

أقول لكم مرة ثانية : يمكن أن تفعل مئة ألف فعل ، ولا أحد يستطيع أن ينطق بكلمة ، إذا دخلت إلى بيتك ، وجلست مع أولادك ، وعلمتهم بعض الحق هل يحاسبك أحد ؟ لو دخلت إلى عملك ، وكنت صادقاً أميناً متقناً لعملك هل يسائلك أحد ؟ مستحيل .

إنّ من تلبيس إبليس أن الشيء الذي بين يديك ، وبإمكانك أن تفعله ، وترتقي به إلى أعلى الدرجات يزهدك به ، وأن الشيء الذي لا تستطيعه لا أنت ، ولا الدول يقحمك فيه ، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، الشيء الذي لا تستطيع أن تفعل فيه شيئاً يصرفك إليه ، يدفعك إليه ، و الشيء الذي تستطيع أن تفعله مئة بالمئة دون أن تساءل يزهدك به .

الآن افعل ما تستطيع ، أقم أمر الله فيما تملك يكفك ما لا تملك .

ثمة كرة تحت سيطرتك ، أمْرك نافذ فيها ، وأنت جزء من كرة كبيرة جداً فيها قوى ضاغطة قاهرة ، ولا تستطيع أن تواجهها ، القاعدة الذهبية : أقم أمْرَ الله فيما تملك يكفك ما لا تملك ، الدليل ، ولولا الدليل لقال ما شاء من شاء :

(إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)

[سورة الرعد : 11]

الكرة الكبيرة التي فيها قوى رهيبة وخطيرة وضاغطة وقاهرة ، هذه الكرة الكبيرة :

(إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)

[سورة الرعد : 11]

ملخص الكلام : أقم أمر الله فيما تملك يكفك ما لا تملك ، والمسلمون الصادقون في كل الظروف ، وفي كل الأزمات ، وفي كل الضغوط يفعلون آلاف الأفعال الإيجابية التي ترفع شأن الأمة ، ولا أحد يسائلهم ، هذه الحكمة البالغة نستطيعها جميعاً ، ولا نحاسب عليها .

مثلاً : أقول دائماً : إن الورقة الرابحة الوحيدة التي بقيت في أيدينا هي أولادنا ، هذه الأمة بشبابها ، هذا الشاب له بيت ، لو أن كل أب اهتم اهتماماً بالغاً بأولاده ، ونشأهم تنشئة إسلامية ، ودلهم على الله ، وضاعف اهتمامه بهم ، وجلس معهم ، وعلمهم ، وكانوا معه دائماً حتى نشؤوا نشأة علمية إسلامية أخلاقية جمالية ، هذا يكون قد أعدّ للطرف الآخر ما أمرك الله أن تعده له ، أعدوا لهم ، أعد للطرف الآخر أولادك ، نحن نُعجب دائماً ، وأنا واللهِ أُعجب لمن يموت في سبيل الله ، لكن لا نحض شبابنا على أن يعيشوا في سبيل الله ، طبعاً هذا الذي ضحى بحياته في سبيل الله إنسان عظيم جداً ، لكن هو واحد فَقَده المجتمع ، تأثرنا ، ترنمنا ببطولته ، أشدنا به ، خلدنا اسمه ، كل هذا رائع ، لكن نحن فقدنا واحداً ، كما أنك تطمح إلى أن يموت الإنسان في سبيل الله يجب أن تطمح أن تعيش في سبيل الله ، لا أن تكون واحداً ، أن تكون أمة :

(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً)

[سورة النحل : 120]

فكّر كيف نعيش في سبيل الله ؟ كيف نبني أنفسنا ؟ كيف ننفع من حولنا ؟ كيف نُجمع طاقاتنا ؟ كيف نتقن أعمالنا ؟

والله حدثني أخ حديثًا يكاد لا يصدق ، استطاع أن يبيع دولا عظمى برامج كومبيوترية بأرقام فلكية ، وينفع بهذه الأموال الموظفين الذي عنده ، عنده عشرون أو ثلاثون موظفًا ، كلهم تزوجوا ، واشتروا بيوتاً ، مليون عمل إيجابي بإمكانك أن تفعله في ظل هذه الظروف الصعبة ، ضغوط ، تهديدات ، حصار ، كله موجود ، الله موجود ، وأقول دائماً : لو استمعت إلى الأخبار ، وقرأت التحليلات ، أعجبك بعضها ، ورفضت بعضها فلا تنس لحظة واحدة أن الله موجود ، و أن الله بفعل من أفعاله يقلب موازين القوى كلها ، وليس في الكون إلى الله :

(وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ)

[سورة الأنعام : 18]

(وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ * ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ * فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ)

[سورة البروج]

نقيم أمر الله فيما نملك حتى يكفنا ما لا نملك .

نحن الآن في أول موضوع تربية الأولاد ، وأنا والله أرى أن هذا أخطر موضوع على الإطلاق .

والله أيها الإخوة ، حينما ترى ابنك كما تتمنى فأنت أسعد الناس ، وحينما لا ترى ابنك كما تتمنى فأنت أشقى الناس .

ذهبت إلى بلد بعيد ، وقلت لهم هناك : لو كنت في منصب ـ في ذلك الزمان كان كلينتون ـ لو بلغت منصباً ككلينتون ، وثروة كأوناسيس ، أتكلم بلغتهم هناك ، أوناسيس أكبر أغنياء أميركا سابقاً ، طبعاً الآن يوجد بيل غيت ، لو كنت في منصب ككلينتون ، ولك ثروة كأوناسيس ، ولك مرتبة علمية كأنشتاين ، ولم يكن ابنك كما تتمنى فأنت أشقى الناس .

لا يوجد شيء يسعد الأب كأن يكون ابنه صالحاً ، لكن هذا تمنٍّ ، والتمنيات بضائع الحمقى ، دقق :

(وَمَنْ أَرَادَ الْآَخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا)

[سورة الإسراء : 19]

لن يقبل الله من عبد عملاً إلا إذا سبقه سعي له ، الله عز وجل ما قبل التمنيات أبداً ، قال تعالى :

(لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ)

[سورة النساء : 123]

بجهدكم وسعيكم . إذاً أول موضوع تربية الأولاد في الإسلام .

المقدمة الثانية : بين أخلاق الدعوة وأخلاق الجهاد

موضوع آخر ، الحقيقة أن هناك أخلاق الجهاد ، قال الله تعالى :

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ)

[سورة التوبة : 73]

هذه أخلاق ساحة المعركة فقط ، أما في الحياة المدنية :

(فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ)

[سورة فصلت : 34]

بعض المسلمين اختلطت عندهم الأوراق ، فيستخدمون قواعد الجهاد في الحياة السلمية ، الآخر إنسان، وعبد من عباد الله ، وأنت مكلف أن تكون معه في أرقى حالة ، دقق في قوله تعالى :

(وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا)

[سورة المائدة : 8]

يجرمنكم أي لا يحملنكم ، الشنآن البغضاء الشديدة ، أي هؤلاء الذين تبغضونهم هم الكفار لا يحملكم كراهيتكم لهم أن تظلموهم :

(فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ)

[سورة التوبة : الآية 7]

فـــن الحـــوار

فن الحوار ، الآن يوجد كلام أسمعه كثيراً ، قبول الطرف الآخر ، الطرف الآخر موجود ، وهو إنسان، وهو ينظر إليك بالموازين التي يعرفها ، فكل بطولتك أن تكون عنده كبيراً بموازينه أيضاً ، بالموضوعية .

مثلاً : نحن بعيدون عن القرآن ، مع أنه بين أيدينا ، والآية الكريمة :

(وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى)

[سورة سبأ : 24]

إنسان سيد الخلق ، حبيب الحق ، معه وحي السماء ، أول مخلوق بالكون يقول للطرف الآخر الكافر : الحق معنا أو معكم ، وقد يكون معكم :

(وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى)

[سورة سبأ : 24]

ما هذا الأدب ؟

لا تستعلِ ، لا تنظر للطرف الآخر من منظار عال ، لا تستخدم الفوقية ، الفوقية والاستعلاء والكبر ، أنه أنا مسلم ، أنا معي الحق :

(وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)

[سورة سبأ : 24]

أي نحن أو أنتم ، هذا أسلوب :

(لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ)

[سورة سبأ : 25]

النبي الكريم مجرم ؟ قال : ولا تسألون هكذا حاورهم :

(لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ)

[سورة سبأ : 25]

هذا فن الحوار :

(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ)

[سورة النحل : 125]

الموعظة الحسنة

الموعظة التي كُلفت أن تستخدمها يجب أن تكون حسنة :

(وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)

[سورة النحل : 125]

الفرق بين حسنة وأحسن ، أن حسنة صفة ، أما أحسن اسم تفضيل ، أي إذا أردت أن تعظ الناس فاستخدم الموعظة الحسنة ، أما إذا أردت أن تجادلهم ، أو أن تحاورهم لو أن هناك ألف عبارة حسنة فأنت مكلف أن تختار الأحسن ، لذلك دائماً هناك فرق بين التوضيح والسباب ، كقولك : " لا تفهم " ، هذا ليس توضيحاً ، هذا سباب ، ومعظم المحاورات تخفق لأن المحاور حينما ينفعل يستخدم الشتيمة ، ولا يستخدم الدليل أبداً ، وأقلّ الشتيمة قولك : " لا تفهم " ، ائت بالدليل ، فأنا أقول لكم : ابتعدوا عن السباب ، وعن (لا تفهم ، لا تعرف ، ماذا فهمك ، ماذا عرفك ، من أنت أمامي ؟) ، هذا كله كلام الغوغاء ، وليس كلام العلماء ، الحوار يحتاج إلى أدب ، ما هذا الأدب فقال عليه الصلاة و السلام :

((أدبني ربي فأحسن تأديبي))

[الجامع الصغير عن ابن مسعود بسند فيه ضعف]

موضوع الحوار موضوع جميل جداً .

ثمة طالبان سوريان في لندن لهم صديق بريطاني ، كلما اقترب منهم يقطعون الحديث و يتكلمون بالإنكليزية ، هو انتبه مرة ، مرتين ، فسألهم : ما الأمر ؟ فقالا له : نبينا عليه الصلاة و السلام نهانا أننا إذا كنا ثلاثة أن يتناجى اثنان دون الثالث ، فإن ذلك يحزنه ، فنحن نتحدث بالعربية ، فلما قدم هذا الصديق قطع العربية ، وتكلم بالإنكليزية ، هذا الموقف انتهى به إلى أن يسلم ، قال بالحرف الواحد : نبيكم حضاري .

فنحن لا نريد أن نستخدم في الدعوة إلى الله أسلوب الجهاد ، الجهاد في ساحة المعركة فقط :

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ)

[سورة التوبة : 73]

أي ليس من المعقول أن تقول له في المعركة : آسف ، سامحني ، قد أكون أزعجتك ، هذا لا يتكلم بالمعركة ، في المعركة السيف والقتل ، لكن وأيضاً في الحياة المدنية لا يوجد حوار عنيف ، لا يوجد تكفير .

أقول لكم أيها الإخوة الكرام : أنا لا أسمح لإنسان أن يكفّر بالتعيين ، ما معنى بالتعيين ؟ يقول : فلان كافر ، من أنت ؟ أنا أكفّر من دون تعيين ، من قال كذا فقد كفر فقط ، أما فلان كفر ، هذا فوق طاقة الإنسان ، أقول دائماً : تقييم الأشخاص من شأن الله وحده فقط .

موضوع آخر : هناك موضوعات كثيرة بالذكاء .

أولاً : الذكاء بتعريف جامع مانع هو التكيّف .

المتكيف هو الذكي ، أخطر حدث مستقبلي قطعي اليقين في وقوعه هو الموت ، قمة الذكاء أن أتكيف مع هذا الحدث ، أن أصل إلى الموت ، وأنا في أعلى درجات القرب من الله ، حتى يغدو الموت عرساً لا مصيبة .

بصراحة كل بطولة الإنسان أن يجعل من مغادرته للدنيا عرساً لا مأساةً ، هناك من ينجح نجاحاً باهراً في الدنيا ، لكن عند الموت يندم أشد الندم ، فالبطولة أن لا تندم ، لذلك دائماً في البرمجة اللغوية العصبية يقولون : ابدأ من النهاية دائماً .

إن عند بعض الإخوة الكرام وهمٌ ، أنه إذا تحدثنا عن الموت صرنا في تشاؤم ، والموت سلبي ، أقسم لكم بالله العظيم ما من موضوع تصبح بواسطته إيجابياً إلى أقصى الحدود كالموت ، الموت يضبطك ، الموت يسرع خطاك إلى الله ، الموت إذا كنت في كثير قلّله في عينك ، وإذا كنت في قليل كثّره في عينك ، إذا كان الدخل محدودًا جداً ، وأنت مؤمن ، ولك أعمال صالحة يغلب على ظنك الأعمال الصالحة ، والمستقبل ، والوعود الإلهية ، فترضى بالوضع الذي لم تستطع أن تغيّره ، فإذا كنت في قليل كثره لك ، وإذا كنت في كثير ، ملايين مملينة ، ولا يوجد استقامة ، هذا المال كله ينتهي بدقائق .

مرة كنت في المغرب ، وفي طريقي إلى دمشق وقفت الطائرة في تونس ساعة ، وأنا أنظر من النافذة، فإذا بنعش نازل ، هذا النعش بضاعة له أوراق تخليص ، وله وثائق معينة ، إنسان يسافر بالطائرة كراكب فيرجع بضاعة بصندوق له أوراق التخليص ، ورسوم وبراءة وفحوص ، في الذهاب إلى هناك صار معي تساؤلات : ما قيمة هذه الحياة ؟ كل مكانتك على ميليمتر وربع من شريانك التاجي ، فإذا ضاق هذا الشريان دخلت في متاعب لا تنتهي ، تبدأ بالقسطرة ، يقال لك : خمسة شرايين مسدودة ، وتحتاج إلى عملية زرع شرايين تؤخذ من الفخذ ، وتوضع في القلب ، والعملية تبدأ بعد أن يخدر ، يأتي المشرط فيفتح الجلد ، يأتون بمنشار صاروخ ليقصوا عظم القص ، ثم بكلابات مع ساعد يد ، يفتحون الصدر ، ثم تُشق الأغشية التي حول القلب ، فيظهر القلب ، هذا الإنسان بثانية يفقد حياته .

والله هناك أعمال أمام الأغنياء شهد الله لو يعلم الأغنياء ما بإمكانهم أن يصلوا إليه بأموالهم لذابوا محبة لله ، لكن قد يقيمون عرسًا بخمسة وثمانين مليونًا في فندق الشيراتون فقط ليفتخروا :

(فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ)

[سورة القصص : 79]

ثمة فندق خمس نجوم بدمشق ، أرباحه من عقود القران فلكية ، فقرر أن يقيم دعوة لمن أجرى عقداً في هذا الفندق حتى يكرمه ، ويشجع البقية أن يقيموا عقود القران في الفندق ، فالإدارة المالية أعطتهم عقودًا تمّت في ستة أشهر ، وهي ستة عشر عقداً ، دعي هؤلاء جميعاً إلى حفل تكريمي ، مضى على زواجهم ستة أشهر ، المفاجأة أن ثلاثة عشر عقداً من هذه العقود آلت إلى الطلاق قبل الستة أشهر ، فإذا بني الزواج على طاعة الله تولى الله في عليائه التوفيق بين الزوجين ، أما إذا بني على معصية الله تولى الشيطان التفريق بينهما .

قلت : الإنسان يعمل ، ويجمع مالاً ، وينفق هذا المال ليكون في أعلى مراتب الجنة ، والمؤمن الغني متاح له من الأعمال الصالحة ما لم يتح للملايين المملينة ممن حولك ، الغنى قوة كبيرة ، لكن الغنى في نظر التائهين والشاردين الاستمتاع بالحياة فقط .

الـــذكـــاء العاطفي

الموضوع الثالث : الذكاء العاطفي .

أنا قلت : إن الذكاء التكيف ، وهناك ذكاء تحصيلي ، كإنسان معه دكتوراه ، هذا ذكي ، لكنه ذكاء تحصيلي ، وهناك ذكاء فطري ، كإنسان أمي أذكى من أستاذ جامعة ، هذا عنده ذكاء فطري ، شيخ قبيلة ينتقل عبر الصحراء فقد خمسة وعشرين ليرة ذهبية ، البريطاني كيف يعرف من الذي أخذ هذا المال ؟ حدثهم عن أسطورة مضحكة ، قال : هو ينبئه حماره بمَن أخذ هذا المبلغ ، وضعه في خيمة ، وكلف كل واحد أن يدخل إلى الخيمة وحده ، وأن يمسك بذيل الحمار ، فالذي أخذ المبلغ يصيح الحمار في الخيمة أن هذا الذي لمس ذنبي الآن هو الذي سرق ، شيء جميل ، كلهم دخلوا ، وخرجوا ، الحمار ما أعلن ، فقال : مدو أيديكم ، فشمّ أيديهم ، قال له : أنت السارق ، لأنه وضع النعنع الحاد في ذنب الحمار ، فالسارق ما مسكه ، فرأى يده ما فيها رائحة نعنع قال : له أنت السارق .

هنا كذكاء فطري ، وذكاء تحصيلي ، وذكاء اجتماعي ، وأعتقد الذي قصدته الذكاء العاطفي الاجتماعي ، هذا يعبر عنه بالبرمجة اللغوية العصبية : ممكن أن ترفع إنتاجك عشرة أضعاف عن طريق دفتر ، أحياناً دفتر صغير ، كلما خطر شيء في بالك تكتبه ، دائماً أنت أمام قائمة أعمال ، فيتضاعف إنجازك عشرة أمثال بهذا الدفتر ، من دون دفتر تحتاج القضية أن تفعلها فتذكرها في وقت غير مناسب ، الوقت الذي تحتاجها فيه تكون أنت في البيت ، أريد أن أشتريها اليوم ، فيمضى شهرين وثلاثة ولا تشتريها ، متى تذكرها ؟ في وقت أنت لا تستطيع أن تشتريها فيه ، أما إنْ كتبتها فتنتهي العملية في ساعة .

هذه ثلاث موضوعات .

إن لله عز وجل في كل عصر أناس يقيمون الحجة على الناس ، وقد فحدثني مدير السجن أن قاضيًا يأتي كل أسبوع ، يركب المركبة العامة مع الناس ليلتقي مع المذنبين المسجونين ليستوضح منهم حقيقة الأمر ، لئلا يقع في خطأ في حكمه ، قال لي : إنسان فقير يركب السيارة العامة ، ويضيع ست سبع ساعات ليصل إلينا ، ويجلس مع هؤلاء المتهمين ، وهو غير مكلف أن يفعل ذلك ، لكن في كل سلك واحد يقيم الحجة ، هذا إنسان بطل ، إنسان مستقيم ، إنسان ورع ، إنسان معطاء ، لكن القدوة قد يزداد العدد في عصور كعصر النبي عليه الصلاة والسلام عصر أبطال ، وقد يقلّ ، أما الانعدام الكلي فمشكلة كبيرة جداً ، ونحن دائماً نقول : نحن نحتاج إلى مسلم متحرك ، كيف أن الكون قرآن صامت ، والقرآن كون ناطق ، والنبي عليه الصلاة والسلام قرآن يمشي ؛ نحن نريد مؤمنًا يمشي ، وصدقوني أن أثر مسلم معاصر مستقيم منضبط ورع يفوق حد الخيال ، وهو أبلغ من الكتب ، لأن هذا الإنسان حقيقة مع البرهان عليها .

إن إنسانًا في تركيا وجد مئتي ألف أورو بمطعم ، وسلّمها للشرطة ، وجاء صاحب المبلغ ، وهو ألماني، وعرض عليه خمسمئة يورو كمكافأة ، ورفضها ، قال : أنا أعمل عشر ساعات كي أطعم أولادي طعاماً حلالاً .

أحياناً موقف فيه استقامة ، فيه أخلاق ، فيه إنصاف ، فيه تواضع ، يشد الناس إليك ، على كلٍّ : القدوة قبل الدعوة ، والإحسان قبل البيان .

الحقيقة أن ثمة فسادًا الآن ، لكن البطولة ألاّ ينفرد الباطل في الساحة ، لا بد من بقعة ضوء صغيرة ، مسجد صغير فيه حق ، فيه صدق ، فيه إخلاص ، فيه انضباط ، فيه التزام ، فيه تعاون ، فيه محبة ، هذه البقعة تكفي ، وتتوسع دوائرها ، لكن أين الخطر ؟ أن ينفرد الباطل في الساحة ، أما إذا لم ينفرد فهناك حق ، ونحن بخير ، ولو كان الحق ضعيفاً فالضعيف يقوى ، لكن ما ليس هناك حق إطلاقاً هذه مشكلة ، والإنسان ليس مكلفاً أن يتقصى الأحوال ، لكن هناك أعمال بطولية كثيرة ، وأطمئنكم أن هناك إخلاصًا شديدًا ، وبطولات كثيرة جداً .

حدثنا أخ تزوج امرأة من كندا ، لكنها مسلمة ، وحسن إسلامها ، وهي تمشي مع ابنها في الطريق أعطته حبة سكر ، بعد ثلاثمئة متر سألته : أين الورقة ؟ قال لها : قد رميتها ، رجعت معه ثلاثمئة متر، وقالت له : خذها ، وضعها في السلة ، انظر التربية ،

عندما نهتم بأولادنا هل يوجد أحد يسائلك ؟ هل يوجد أحد يحاسبك ؟ هل يوجد أحد يتهمك ؟ هذا عمل بين أيدينا ، علم ابنك ، ربِّه ، فهمه ، اجلس معه ، تحمله ، خذه معك دائماً ، علمه السنة ، هذه حلال ، هذه حرام ، فعندنا أعمال كثيرة نحن مقصرون فيها ،

أنا أقول مرة ثانية : إن هناك مليون عمل يمكن أن تفعله ، و أن تصل به إلى أعلى عليين في ظل هذه الظروف الصعبة .

لي قريبة توفيت ـ رحمها الله ـ لها ابن مقيم بأمريكا ، زارها مرة بالصيف ، ومعه ابنه الصغير ، يبدو أن حركته زائدة في البيت ، قالت له جدته اجلس وآخذك في المساء للنزهة ، فجلس ، عند المساء لم تأخذه ، قال لها : أنت كاذبة .

إنّ مجتمعاتنا فيها كذب كثير ، كيف يقص الحلاق مئة قصة في الهواء وواحدة على الشعر ، تسع و تسعون كلمة لا معنى لها ، كلها كذب ، و كلها مجاملات فارغة والله ، فالطفل ينشأ على الكذب ، يقول والده لوالدته : هل ذهبت لمكان ما ؟ قالت له : لا ، و هي ذهبت هي وإياه ، كذبت أمامه ، يأتي الأب فيقول له : قل : أبي ليس هنا ، أنت تشربه الكذب مع حليب أمه ، أما إذا انعدمتْ كلمة الكذب في البيت فإنك ترتاح وتريح .

الاحتجاج بتسلط الغير هروب من الواقع

يوجد شواهد كثيرة ، أنا دائماً أميل إلى اتهام الذات ، و يوجد أشخاص كثيرون يتهمون الآخرين ، يقول لك : صهيونية عالمية ، ماسونية ، استعمار ، لا يوجد استعمار ، و لا يوجد أحد ، لا يوجد غير كلمة : (نحن مخطئون) فقط ، هذا الواقع ، هذا النوع مثل النعامة ، كلما كانت لنا مشكلة نعزيها إلى الاستعمار ، فالكلام أصبح لا معنى له إطلاقاً .

كنت مرة في بلد جميعهم كانوا بدوًا ، وقد اعترفوا بهذا ، قالوا : نحن بدو ، لكن أنتم لم تبدؤوا بعد ، أحياناً تشعر بنفسك أنك متخلف عن البدو تخلفاً كبيراً ، فهذه استعمار وماسونية ، هذه جميعها كلام فارغ ، الخطأ كله منك ، واجه الحقيقة المرة .

الاحتجاج بالتوحيد لا يلغي مسؤولية الإنسان

هناك إنسان يقفز على المشكلة ، وهناك إنسان يواجهها ، المنافق دائماً يقفز عليها ، أهم شيء أن يلصقها بغيره ، إذا قلت : طالب لم ينجح ، و كان كسولاً ، سبحان الله ! لا يوجد نصيب ، فقط لا يوجد نصيب ؟ أنت لست كسولاً ؟ لا يوجد نصيب ، أو إذا كان الطبيب جالسًا يدير حديثًا عاطفيًّا غزليًّا مع ممرضة ، و جاء مريض يحتاج إلى إسعاف فوري ، وقال له : انتظر قليلاً ، ويوجد كأس من الشاي بيده ، وجريدة وممرضة ، ذهب إليه بعد مدة فوجده ميتاً ، يقول : سبحان الله !! انتهى أجله !!! لا ، أنت قاتل ، الاحتجاج بالتوحيد مرفوض ، والدليل :

(إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ)

[سورة النور : 11]

الإفك خير ؟ والله سمح به ؟ حتى لا تقول : أنا لست مسؤولاً ، قال تعالى :

(وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ)

[سورة النور : 11]

التوحيد لا يعفيك من المسؤولية ، هذه الحقيقة ، أحياناً يكون المأخذ الكهربائي والتيار مئتين و عشرين، والمأخذ سيئ ، والقطعة المعدنية ظاهرة ، وفي الحمام ، والحمام فيه ماء ، هل تعلمون أن شخصاً إذا مشى من دون عازل على الماء ، ومسك المأخذ يموت فوراً ، فإذا مات شخص تقول : سبحان الله ! نصيبه ، لا ، ليس هذا نصيبه ، هذا جزاء التقصير .

في كثير من الأيام يسافر شخص ، ولا يراجع سيارته ، فيقع في حادث يموت فيه ، هو مات بأجله ، لكنه محاسب كالذي ركب ناقة جموحًا فمات ، فالنبي صلى الله عليه وسلم رفض أن يصلي عليه لأنه عاص ، وإذا نام شخص على سطح ، ثم وقع على سيارة شخص وهي تسير ، فجاء تحت الدولاب يموت عاصياً ، نحن فهمُنا للدين فهم طوبائي ، فهم طقوسي ، لكن ليس فهماً علمياً ، أنت محاسب .

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((مَنْ تَطَبَّبَ وَلَمْ يُعْلَمْ مِنْهُ طِبٌّ قَبْلَ ذَلِكَ فَهُوَ ضَامِنٌ))

[النسائي]

مثلا : أعطى الطبيب مريضًا دواء ونصحه به ، هل أنت طبيب ؟ هذا الإنسان قد يكون معه حساسية ، أو أعطى مريضة إبرة فماتت فوراً ، لأنه يمكن لم يسألها إذا كان معها حساسية ، يوضع في السجن ، نحن فهمنا للدين فهم : كُلْ و سَمِّ بالله .

بالمناسبة أنا متألم جداً من مواقف من أنفلونزا الطيور ، أولاً : يوجد جهل شديد ، وهذا الجهل سبب دماراً لأسر ، أسر بأكملها تعيش على الدجاج ، لا يوجد عندنا شيء حتى الآن ، الحمد لله ، كل ما في الأمر خوف تشنجي من دون مبرر ، هذا خلق مشكلة كبيرة في البلد ، ويوجد أناس عندهم محلات للدجاج ، لا يوجد عنده غيره ، من أين سيأكل ؟

نـصيحـة ورجـاء

كل إيجابيات الغرب إسلامية ، لكن لا عن تدين أبداً ، لأنهم يعبدون المال من دون الله ، تقتضي مصلحتهم الصدق والأمانة والإتقان واحترام الإنسان .

أنا قلت مرة كلمة في ندوة تلفزيونية : أعط المواطن رغيف خبزه وكرامته ، وخذ منه كل شيء ، أنت كمدير معمل ، كمدير مؤسسة ، كأب ، أعط ابنك حاجته ، أعطيه حاجته وكرامته يعطِك روحه ، هذا قانون ، أعط الإنسان رغيف خبزه وحاجته وكرامته ، وخذ منه كل شيء .

أحياناً يهين أب ابنه أمام أخواته البنات ، أحياناً يهين أب ابنه أمام رفاقه ، أحياناً يهين أب ابنه أمام الناس ، هذا الأب لم ينتبه ، الابن يقبل منك مليون نصيحة ومليون قسوة ومليون تعنيف ، لكن بينك و بينه ، له كرامة ، و لو كان صغيرًا ، لذلك ورد في الأثر أنه : " لا تحمروا الوجوه " ، أي دعك لطيفاً، علموا ، ولا تعنفوا ، فإن المعلم خير من المعنف .

لقد سافرت كثيراً ، والذي يؤلم أشد الألم أنهم منضبطون أشد الانضباط ، والجاليات الإسلامية متفلتة أشد التفلت ، التصريح الكاذب ، يُدخل فرضاً قطعة معدنية لا ثمن لها ، يحضر بها حاجات بشكل مزور ، والله شيء مؤلم جداً .

ببلاد مثل أستراليا إذا حدث الطلاق وكان الشخص بلا عمل يعطونه خمسة آلاف دولار أسترالي ، تكفيه تماماً ، وإذا حدث الطلاق بهذه الأسرة يعطون خمسة بخمسة ، لكن تسعين بالمئة من المسلمين يقدّمون تصريحًا أنهم طلقوا بعضهم ، فيفاجئوهم ، من هذه ؟ يقول له : أختي ، لا ، هذه زوجتك ، أين هويتك ؟ فتظهر أنها زوجته ، ألم تطلقها أنت ؟ كيف يحترموننا ؟

قبل أن أمشي من أستراليا قلت كلمة في الإذاعة ، قلت لهم : هذا الأسترالي مستحيل أن يفهم الإسلام من كتاب القرطبي ، أو من كتاب فتح الباري ، هذا الأسترالي لا يفهم الإسلام إلا منك أيها المسلم ، وجدك صادقاً متقناً ، وعدك صحيح ، فهو يحترمك ، يحترم دينك ، وخذوا عني هذه الكلمة : الآن و الله لا يُحترم ديننا إلا إذا تفوقنا في دنيانا ، الآن من دون دليل مستحيل أن يحترموا دينك ، وأنت متخلف ، و كل شيء عندك استيراد ، وما عندك عملة قوية أبداً ، و تأكل ما لا تزرع ، و تلبس ما لا تنسج ، و تستخدم آلات لا تصنعها ، و تشتري السلاح شراء ، إذاً لا قرار لك ، لا يحترموننا ، أما إذا كان عندك قوة فإنهم يحترمون القوي فقط ، نريد أن ينتفض هذا المخ كله ، كل أساليبنا غلط ، حياتنا كلها غلط ، يوجد نفاق كثير ، يوجد كسب مال حرام كثير .

هل من المعقول لمواطن بدولة نامية أن يعمل سبعًا وعشرون دقيقة في اليوم ، أقول لهم بالتعبير العلماني : عندهم (بيزنز إز بيزنز) عندنا بيزنز هو خمول وبطالة وغش وسرقة ، لا يوجد عمل .

الشرقي اسمه بأوربا آي بي إم ، آي إن شاء الله ، لا ينوي أن يعطيك ، لا ينوي أن يأتي ، فيستخدم إن شاء الله غير إسلامية ، غير قرآنية ، بكرة ، غداً ، تأجيل ، لا بأس ، ماذا حصل ، هذه وصمة عار في حقنا .

ربِّ ابنك على الصدق والأمانة ، والجهد و العمل الدؤوب ، و ابن أمتك ، ويمكن أن نفعل كل شيء ، لكن لا نجد كل شيء خلال يومين أو ثلاثة ، هذا على النفَس الطويل ، و هؤلاء الأقوياء عمرهم مئتان أو ثلاثمئة سنة من الاستقرار ، ومن العمل ، حتى ملكوا الدنيا ، فنحن مستحيل أن نجد ثمرة سريعة ، لكن نبدأ فقط أن نبدأ ، ألم يقولوا : نحن بدو ، لكن أنتم لم تبدؤوا بعد .

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية – موضوعات مختلفة في التربية - دروس حوارية - الدرس (02-28) الرياضة-1-الوعي الصحي - إعفاف الشباب
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 05-03-2006

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام ، مع درس جديد من دروس الحوار .

موضوعات التربية

الحوار

مرة ثانية : الحوار ينمي الفكر ، الحوار ينمي الشخصية ، الحوار يحقق تعارفاً حقيقياً ، فلو أن المتكلم واحد والباقي يستمعون فلا المتكلم يعرف ماذا عند هؤلاء الباقين ، لا يعرف مستوى تفكيرهم ، ولا مستوى طرحهم ، ولا نوع أسئلتهم ، ولا طريقة حلهم للمشكلات .
أولاً : الحوار يجري مزيداً من التعارف بين المتكلم وبين المستمع والإنسان حينما تعرفه قد يحقق دوراً كبيراً في أي مكان ، وتلقينا في الدرس الماضي عدداً من الموضوعات التي يقترحها الإخوة الكرام لتكون موضوعاً للحوار .

المبادرة إلى الأعمال المدروسة

اتفقنا في بداية الدرس ما قبل الماضي أن الإنسان بإمكانه أن يفعل مليون شيء في ظل الظروف الصعبة ، وفي ظل الضغوط التي لا تحتمل ، بمعنى أننا لسنا معنيين بموضوعات تسبب لنا مشكلات أو إحراجات ، ولأن من تلبيس إبليس ـ ودققوا في كلامي ـ أن من تلبيس إبليس أن الشيء الذي بإمكانك أن تفعله بيسر من دون قلق من دون مساءلة من دون شعور أن هناك مشكلة هذا الشيء يزهدك فيه الشيطان ، والشيء الذي لا تستطيعه الدول يدفعك إليه ، والإنسان حينما يكون مخلصاً لكن لا يسلك المنهج الصحيح ، وليس له مرجعية دقيقة قد يجر على المسلمين من الويلات ما لا يوصف ، فأيّ عمل غير مدروس وغير منضبط وغير شرعي قد يدغدغ مشاعرنا إلى حين ، لكن يجرنا إلى مأساة لا يعلمها إلا الله .

نحن في دائرة المليون عمل الذي بإمكاننا أن نعمله من دون قلق ، من دون مساءلة ، من دون خرق للنظام العام ، في ضمن هذه الموضوعات إخوة كرام اقترحوا تربية الأولاد في الإسلام ، والحقيقة أنه لم يبق في أيدينا من ورقة رابحة إلا أولادنا ، وأن الإنسان مهما كان عالياً في الأرض علماً وثروةً ، ومكانة وجاهاً ، وصحة ولم يكن ابنه كما يتمنى فهو أشقى الناس ، والإنسان يشقى بشقاء أولاده ، وإذا كنا نحن في أمسّ الحاجة قبل خمسين عاماً إلى جهد متواضع لتربية أولادنا فنحن الآن بحاجة إلى مئة ضعف من هذا الجهد ، السبب كثرة الصوارف عن الدين ، فأينما تحرك الإنسان يدعى إلى معصية ، أي شيء اقتناه ، أي شيء شاهده ، أي حديث سمعه ، هناك الفتن مستعرة وقائمة ، ونحن في عصر قد يمسي فيه الرجل مؤمناً ، ويصبح كافراً ، ويصبح مؤمناً ، ويمسي كافراً ، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل .

موضوع تربية الأولاد في الإسلام موضوع جيد ، وأريد أن نبقى في هذا الدرس إن شاء الله مع اقتراح موضوعات ، وكنت أتمنى على أحد الإخوة الكرام أن يكون بما يسمى اليوم أمين سر لهذه الجلسة ، يكتب عنده ما اتفقنا عليه من تبرع ، وأن يكتب عنده بعض ما توصلنا إليه من حوارات .

الوعي الصحي

موضوع آخر غير تربية الأولاد في الإسلام ، أنا أتألم أشد الألم من ضعف الوعي الصحي ، والثقافة الصحية الغذائية شبه معدومة ، ولأن الإسلام هو الحياة ، وربات البيوت بعيدات عن حقيقة هذا الغذاء الذي نشتريه .

أنا يؤسفني أن أقول لكم : هناك مواد دسمة للتصدير فقط ، يمنع استخدامها في بلد المنشأ ، لأنها من مواد دهنية رخيصة جداً ، إلى درجة أن البلاد التي تصنعها يمنع أن يستخدمها ، ولأن هذه المواد الدسمة هي في الأساس سائلة من أرخص أنواع الزيوت ، لكنها مهدرجة ، معنى مهدرجة هناك زيوت تهدرج ، فتغدو كالسمن ، لكنها مشبعة ، هذه لا تهضم تبقى في الدم تدور ، وتسهم بشكل أو بآخر في تضيق الشرايين ، وأقلّ عملية جراحية للقلب تحتاج أربعمئة أو خمسمئة ألف ليرة ، يصاحبها قلق شديد وخوف ، ونحن بالإمكان أن نبتعد عن هذا ، فحبذا لو أردنا أن نضيف لهذه الموضوعات موضوع الوعي الصحي .

هناك أغذية قاتلة ، وأغذية سامة ، لكنها رائجة ، والحقيقة مع ضعف الإيمان وقلة الانضباط الدولة تمنع كل مادة ضارة منعاً باتاً ، وأي محل يبيع هذه المواد يغلق ، لكن الذي يحصل أن هذه الأدوية المسرطنة تأتي تهريباً ، وتضخ بها بعض الخضراوات ، تجد الخضراوات بحجم كبير ، وبألوان زاهية

من فعل الهرمونات المسرطنة ، كنت أتمنى أن هذا الموضوع يتصل بالحياة ، ولا سيما أن نسب السرطان ارتفعت إلى عشرين ضعفاً .

شهد الله قبل أربعين سنة تمضي سنتان أو ثلاث أو أربع نسمع بواحد معه سرطان ، والله في هذه الأيام شهد الله في الأسبوع الواحد أربعة إلى خمسة ممن أعرفهم أصيبوا بهذا المرض المخيف ، والذي سببه غذاء سيئ ، سببه دهون مهدرجة مشبعة ، بخلاف زيت الزيتون الذي وصفه النبي عليه الصلاة والسلام بأنه يخرج من شجرة مباركة .

الرياضة صحة

كنت أتمنى أن أعالج موضوع التغذية ، وموضوع الرياضة ، لأن صحتك غلاف عملك ، والصحة تأتي بعد الهداية ، إن أردت أن تصنف النعم فالهداية أولاً ، والصحة ثانياً ، وهذا جسمك رأس مالك في الحياة ، وبلاغك إلى الدار الآخرة ، أنا أقول : الرياضة والاعتناء بالصحة لا تزيد العمر بحسب إيماننا، لكن لك عند الله ستون عاماً ، فإما أن تقضي هذه الأعوام واقفاً متحركاً نشيطاً ، وإما أن تقضيها ملقى على السرير ، والعمر لا ينقص ، ولا يزيد ، لكن فرق كبير ، لذلك لي رأي في هذا الموضوع ، وهو أنه من لوازم عبادة الله أن تحترم قوانين الجسم ، قال الطبيب : ضغطك مرتفع ، والملح يؤذيك ، إذا أكلت الملح ، ولم تعبأ بالطبيب فإنك لا تعبد الله حق العبادة ، لأن جسمك تحكمه قوانين قننها الله عز وجل ، فإن لم تعبأ بهذه القوانين فأنت على نوع من المعصية ، لكن تدفع أنت ثمنها .

أكاد أقول : إن معظم الأمراض وراءها جهل كبير ، جهل بأنماط الحياة ، جهل بالقعود ، بترك الحركات ، بتناول غذاء سيئ ، فأنا من طموحي أن أعالج موضوع الرياضة ، وموضوع الغذاء ، وموضوع تربية الأولاد كلها موضوعات حيوية ، لا تنسوا هذه الكلمة : الإسلام هو الحياة ، ونحن كثيراً ما نعجب بشاب في فلسطين أو في العراق هزّ أركان العدو ، وأقلقه حينما ضحى بحياته ، نقول : هذا الشاب مات في سبيل الله ، أنا الآن يحلو لي أن أقول مرة ثانية : أنا أريد شاباً يعيش في سبيل الله ، قد يكون شاباً مثقفاً ثقافة عالية ، قد يكون شاباً متفوقاً ضحى بحياته ، فخسرناه ، دغدغنا ليومين أو ثلاثة ، شعرنا ببطولة فائقة ، لكن بعد حين فقدناه ، الأمة بشبابها .

فأنا كما أتمنى أن يكون من طموح الشباب أن يموتوا في سبيل الله أتمنى أن يكون من طموحهم أيضاً أن يعيشوا في سبيل الله ، فالحياة تحتاج إلى دقة بالغة ، إلى صحة ، إلى طعام متوازن ، وأنا أقول لكم كلاماً دقيقاً : أفضل أنواع الأطعمة هو أرخصها ، لا أدخل في متاهة الغنى والفقر ، وأرخص الأطعمة

هو أكثرها فائدة للجسم ، فإذا كان الطعام صحيًّا وعندنا برنامج رياضي ، وعندنا تربية لأولادنا نشعر بقيمتنا في الحياة .

أنا أتمنى أن يعالج موضوع الدين معالجة حياتية ، كيف أن التدخين وفي خطبة جمعة أعدت المحاضرة التي ألقيتها في مدرج مكتبة الأسد في افتتاح جمعية مكافحة التدخين ، أعدت وتمنيت عليكم أن توزعوا هذا الشريط ، أعطيت الملاحظات لإخواننا الكرام أن هذا الشريط لا يباع ، إنما يوزع مجاناً، فكل إنسان له صديق يدخن هذا عمل ، إلى متى نحن نائمون ؟ وإلى متى نحن متحدثون فقط ؟ نريد عملاً موضوع التدخين عالجناه .

انتشار مرض الإيدز

هناك موضوع ثان ، قد لا تصدقون والله أنا إلى حين تقريباً ستة أشهر كنت أعتقد أن مرض الإيدز بعيد عنا بعد الأرض عن السماء ، وكنت أظن أن العالم الإسلامي حزام أخضر لهذا المرض ، ولكن المفاجأة الصاعقة أنني تلقيت كتيباً من الأمم المتحدة ، طبعاً إحصاءات دقيقة جداً ، ثاني أكبر منطقة في العالم في نمو مرض الإيدز بها الشرق الأوسط بعد إفريقيا ، والشيء الذي يؤلم أشد الألم أن زوجة المصاب تصاب وهي بريئة ، وأولاده يصابون ، والذين يعلنون عن أنهم مصابون بهذا المرض قلة قليلة ، لذلك في هذا الكتيب العلمي أنبئت أن عدد المصابين حقيقة عشرة أمثال الإحصاءات ، والإنسان قد يكون بريئاً ، لكن عند القصاب ، أو عند الحلاق ، أو عند طبيب الأسنان يجب أن يكون التعقيم بأعلى درجة ، فهذه حياة ، أنت لك حياة واحدة في الدنيا ، وهذه رأسمالك ، وهذه مطيتك إلى الجنة ، فالعناية بالصحة ، العناية بالتعقيم ، العناية بالرياضة ، العناية بتربية الأولاد ، هذه موضوعات حياتية ، لكن المشكلة أن عندنا موضوعات تقليدية ، هذه الموضوعات التقليدية لا ننكرها ، لكن ينبغي أن تأخذ من جهدنا وقتاً محدوداً .

والله مرة ولا أبالغ كنت في العمرة ، ومتجهاً من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة ، ومكان الإحرام قبل خمسة كيلو مترات ، استمعت إلى درس دين يلقى في هذا المسجد ، لكن أجهزة التكبير تفوق حد الخيال ، صوت يرن رناً عن بعد خمسة كيلو مترات ، كلما اقتربت من المسجد ارتفع الصوت ، إلى أن وصلت قرب المسجد ، فإذا صوت يصم الآذان ، درس علم ، ودعوني قليلاً ، لأحدثكم ما الموضوع ، دخلت إلى الحرم أين المتكلم ، فصار عندي رغبة جامحة أن أبحث عنه فلم أجده ، لكن بعد لأيٍ وبعد جهد عثرت عليه وراء عمود أمامه طالبان فقط ، الموضوع عن الإماء ، إذا اشترى إنسان جارية يتزوجها أم لا يتزوجها ، إذا أنجبت ما الحكم ؟ أحكام تفصيلية لا يحتاجها مسلم واحد في العالم

الإسلامي ، موضوع مطوي الآن ، فلذلك أنا أريد موضوعاً حيوياً ، هناك موضوعات في الفقه انتهت الآن ، هناك المرابحة ، هناك التأمين ، هناك الاستثمار ، هناك ألف موضوع نحن في أمس الحاجة إليه، فنحن إذا جعلنا هذا الدرس درس حوار ، وطرح موضوعات حياتية ، وعممت الخبرات التي يأتي بها الإخوة الكرام لعل الله سبحانه وتعالى يرحمنا .

إذاً نريد موضوعات حيوية ، التغذية موضوع ، الرياضة موضوع ، وتربية الأولاد موضوع ، الآن يمكن أن نستخدم وسائل تضاعف إنتاجك .

البرمجة اللغوية العصبية

الآن شاع جداً في بلدنا ما يسمى بالبرمجة اللغوية العصبية ، وأنا بفضل الله هيأت دورة لإخواننا المدرسين ، أجريت هذه الدورة ، مع أن أصول هذه الدورات من بلاد علمانية ليست مؤمنة بالله ، لكن أنا يعنيني بعض التفاصيل التي ترفع سوية الإنسان .

مثلاً : كشاهد سريع ، دفتر صغير في جيبك ، هذا يضاعف لك إنتاجك عشر مرات ، لأننا نعتمد على الذاكرة ، والذاكرة تخيب ظنك ، أنت صباحاً ما عندك خطة ، تتحرك حركة عشوائية ، قبل أن تخرج من بيتك معك دفتر ، رسمت ثمانية بنود ، ورتبتها بحسب المواقع الجغرافية ، وتحركت ، اليوم التالي الذي أنجز شطبت عليه ، والذي لم ينجز أعددته للصفحة الجديدة ، أنت حينما تستخدم قلماً ودفتراً صغيراً تنجح ، وكثير من الإخوان يستخدمون مذكرة كبيرة ، وهذه ليست عملية ، حجمها كبير ، استخدم دفترا تضعه في جيبك فلا تحس به إطلاقاً ، عود نفسك كل خاطر يأتيك سجله ، ومساءً صنف الخواطر ، وصباحاً اكتب برنامج العمل .

الحاجة إلى برمجة يومية

نحتاج إلى موضوع رابع هو بعض البنود الرائعة من البرمجة اللغوية العصبية ، نكون مبرمجين . بالمناسبة ، يجب أن تعلموا علم اليقين ثلاثة بالمئة فقط من الناس يعرفون أهدافهم ، والباقي سبهللا ، يقول لك : نحن ندفع أنفسنا في الحياة ، هذا لسان حالهم ، ليس لهم هدف ، يعيش بحكم الاستمرار ، ثم يفاجأ بأحداث كبيرة جداً لم يخطط لمواجهتها ، أما إذا كان كل واحد منا له هدف واضح ، وكل طاقاته مسخرة لهذا الهدف يكون الشيء رائع جداً .

نعيد الموضوعات التي ينبغي أن نهتم بها في هذه الدروس : تربية الأولاد ، لا تنسوا أبداً أن كل واحد منا عنده أربعة أشياء أساسية في حياته ، وأي خلل في واحدة ينعكس على الثلاثة ، علاقته بربه ،

وعلاقته بصحته ، الصحة العالية تحدث معنويات عالية ، وعلاقته بمظهره ، ثم علاقته بأهله ، ثم علاقته بعمله ، فإذا تمكنا أن نتحرك على هذه الخطوط جميعاً فنحن في التفوق ، وإلا كنا في التطرف والخسارة .

كما أقول دائماً : ثبوت ليس فيه نجاح جزئي ، هذه بعض الخواطر التي أدليت بها في معرض الحديث عن موضوعات نعالجها في المستقبل إن شاء الله .

مثلاً مرة ألقيت محاضرة في طرابلس عن أسباب الشقاء الزوجي فذكرت حوالي خمسين سبباً ، والله الذي لا إله إلا هو كل واحد منا ببساطة ما بعدها بساطة بإمكانه أن يتلافى أسباب الشقاء الزوجي ، له تفكير جامد ، و لا تجديد في حياته ، والعلاقة تغدو مملة ، العلاقات الزوجية لو أضفناها إلى تربية الأولاد يمكن أن تكون أسعد زوج بأشياء بسيطة جداً . هو

في درس ثان ذكرت أسباب السعادة الزوجية ، وهي سبعة عشر سبباً ، لا تكلفك إلا اتصالا هاتفيا أحياناً من عملك ، أن تسألها كيف حالكِ ؟ لا تكلفك إلا أن تجلس معها ثلث ساعة تستمع إليها ، تحس بقيمتها ، فأشياء من هذا القبيل يمكن أن تقدم لك زاداً ، لأن الحب يصنع صناعة ، ولا أبالغ أن تسعة وتسعين بالمئة من الناس يتوهمون أن علاقته مع زوجته مملة جداً ، لأنه ألفها ، وألفته ، ختموا بعضهم، فلذلك هو في نفور ، فيهتم بأي امرأة أخرى ، وهي تهتم بأي قريب غير زوجها ، الميل إلى غير زوجها ، والميل إلى غير زوجته ، و النبي عليه الصلاة والسلام قال : الحمد لله الذي رزقني حب عائشة .

ما الذي يمنع إذا كان بعضنا متزوجاً أن يجعل بيته جنة ؟ لا تكلف شيئاً ، ابتسامة ، حلم ، ضبط أعصاب ، هو من طرفه ، وهي من طرفها .

عندنا في موضوعنا بنود : علاقات زوجية ، تربية أولاد ، رياضة ، تغذية ، برمجة عصبية لغوية ، هل عندكم من مزيد ، أنا أدليت برأيي في الموضوع ؟

إدارة الوقت

إدارة الوقت ، نحن أرخص شيء عندنا هو الوقت ، والله لو تعلمون ما قيمة الوقت والله ما ضيعتم ثانية .

أنا أحياناً أضطر أن أنتظر شخصاً ، أحدث إجراءات على الهاتف الخلوي وتعديلات ، ضبط ، حذف ، إضافة ، هكذا ، أحياناً آخذ معي شيئاً أقرأه بأي مكان ، لما تعرف قيمة الوقت انظر إلى الساعة ، كلما تحرك عقرب الثواني حركة اقتربت من النهاية ، صارت ستة موضوعات ، يكتبها أمين السر .

والله إخوة كرام يجزيهم الله الخير أسسوا جمعية أسموها جمعية الإعفاف ، جمعية لها موقع بالإنترنت تسهم في تزويج الشباب والشابات ، وقد ورد في الأثر أنه من مشى بتزويج رجل بامرأة كان له بكل كلمة قالها في وبكل خطوة خطاها عبادة سنة في قام ليلها وصام نهارها ، الفتاة طموحها الأول تتزوج في والله معها حق في درسنا في الجامعة أن الدافع الأول في بني البشر الأمومة ، الفتاة ليس لها طموح إلا أن يكون لها زوج تنجب منه ، ويملأ حياتها ، فكل إنسان يحقق الزواج يسهم ، يدل ، يزكي ، لكن هناك أشخاص سبحان الله ! هدفهم تعطيل أي زواج ، تقريباً ما من زواج يتم إلا تأتي الهواتف من الطرفين لتكشف شيئاً ليس صحيحاً من أجل عرقلة هذا الزواج ، المجتمع فيه أمراض لا تعد ولا تحصى ، كلها افتراءات ، فإعفاف الشباب يكون عن طريق الزواج .

لنا إخوان كرام يسافرون إلى أوربا فرأوا فيها من الفسق والفجور ما لا يعلمه إلا الله ، وكل إنسان ينزل بفندق معرّض أن يطرق بابه بعد منتصف الليل من قبل عاهرات .

إخواننا الكرام ، عندما يرفض ، ويتعفف يشعر بنفسه أنه يمشي على خطى سيدنا يوسف ، هذا كان سابقاً ، الآن يرفض لا خوفاً من الله بل من الإيدز ، أحبط الله عمله ، الآن الذي يرفض خوفاً من المرض ما عاد له قيمة إطلاقاً ، أما حينما تقول : معاذ الله ! إني أخاف الله عز وجل ، قضية الإيدز الآن مشكلة كبيرة جداً ، ويجب أن تنتبهوا .

قد يكون للإنسان قريبة ، له أخ يبحث له عن زوجة ، ينصحه بزوجة ، شيء رائع جداً ، فدخل في برنامجك اليومي أن تزوج فتاة مؤمنة ، والله أحياناً أتألم ألماً لا حدود له ، أجد فتاة مستقيمة محجبة طائعة لله حافظة كتاب الله ، ما أحد يطرق بابها ، والمتفلتات والفاسقات والفاجرات يوهمون المحجبات أنه ما لم تكوني مثلي فلن تتزوجي ، أليس كذلك ؟ ترى المؤمنة مع مضي الوقت تتضعضع ، فأنت حينما تسعى لقريباتك بزوج مؤمن شاب ، والحقيقة يجب أن نضيف إلى هذا أنه لا بد من إلغاء المظاهر.

أنا ذكرت في مرات عديدة أنه قرية في قرى الغوطة الشرقية اجتمع وجهاؤها ، وقرروا أن المهر خاتم ذهب وساعة فقط ، وليس شيء آخر ، وهذه غرفة ، وتعال ، وخذ زوجتك ، وما لم تلغَ هذه المظاهر فالطريق شائك جداً في وجه الزواج .

وأنا أقول كلمة دقيقة جداً : إن لم يكن زواج إن لم يكن نكاح كان السفاح ، وأعداد بيوت الدعارة رقم لا تصدقونه إطلاقاً ، وكان في بعض الأحياء الآن يمتد إلى جميع الأحياء ، كلما وضعتم عقبات أمام الشباب تنشأ بيوت جديدة ، لأن النبي عليه الصلاة والسلام وهو علمه من الله عز وجل قال :

((إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا إلا تفعلوا لا تعطل هذه العلاقة بل تكون بالحرام))

[الترمذي]

إن امتنعتم عن تزويج الفتيات فهذه العلاقة لا تقف ، لكنها تأخذ مساراً منحرفاً ، وما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا جعل لها قناة نظيفة تسري خلالها ، لكن بالإسلام ليس فيه حرمان أبداً ، حينما يقول الله عز وجل ، ودقق في هذه الآية :

وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ

[سورة النور : 33]

بربكم هل تظنون أن في العالم الإسلامي كله أب يجبر فتاته على الزنا ؟ مستحيل ، فما معنى هذه الآية؟ الآية تقول :

وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ

[سورة النور : 33]

معنى الآية : أن الأب الذي يعضل ابنته لا يزوجها كأنه مسؤول عن انحرافها ، إذا انحرفت ، وكأنك أكرهتها .

والله هناك اتصالات هاتفية كثيرة ، مهما كان خاطب ابنته جيداً يبحث عن علة فيه ليرفضه ، الأب مرتاح ، زوجته إلى جانبه ، وهذه البنت تخدمهم ، وموظفة ، ويأخذون معاشها ، الزواج عنده مشكلة ، فيخترع سبباً تافهاً صغيراً جداً لرفض هذا الشاب ، وهي تتحرق ، وهي حريصة على إرضاء والدها الأب مقدس ، فأنا أقول : هناك آباء والله لا يستبعد أن تقف ابنته يوم القيامة أمام ربها فتقول : يا رب ، أنا انحرفت بسبب تعنت والدي ، ولا أدخل النار حتى أدخل أبي قبلي ، والله لا أستبعد ذلك ، لأنه كلما جاء خاطب رفضه .

حدثتني أخت على الهاتف أنه جاءها سبعة عشر خاطباً فلم يزوجها أبوها ، وإذا تزوجت يطلق أمها ، هذا الأب كالوحش .

فلذلك أيها الإخوة ، موضوع الزواج هذا أخطر موضوع ، لأنه مادام الشاب في ريعان الشباب ، وكل العقبات توضع أمامه إذا أراد العفاف ولم يتزوج يخشى منه الانحراف .

كنت مرة في بلد خليجي ، دعيت إلى مؤتمر الأسرة ، صدقوا شيء لا يصدق ، مؤسسات عملاقة تقدم لكل شاب تزوج غرفة نوم ، وبرادا وغسالة ، وقرضا كبيرا ، نحن عندنا صندوق المودة والرحمة ، نقدم خمسين ألفاً لأي شاب أبرز عقد زواج ، وهذه نعمة ، لكن لا بد أن نساعد بعضنا بعضاً ، ودائماً الأب يقيس صهره على ذاته ، ما عنده بيت بالشام ، أنت متى سكنت منزلا راقيًا في الشام ؟ كان عمرك

خمسة وخمسين عاماً ، هذا الآن عمره اثنان وعشرون عاما ، يريد أن يقيس صهره الذي خطب ابنته الآن على مستواه هو ، و على بيته ، و على ترتيباته ، هذا خطأ كبير .

هناك قصة مشهورة وقعت فعلاً ، أن شخصاً خطب ابنة رجل ، الرجل ذكي جداً ، قال له : أنا لا أقبل إلا بالأدلة ، هل يوجد عندك بيت يا بني ؟ قال له : عندي ، هات ورقة الطابو ، فجاء بورقة التملك الخضراء ، ودقق باسمه ، ليس البيت لأبيه ، عندك سيارة ؟ عندي ، هات الميكانيك ، أحضر له الميكانيك باسمه أيضاً ، عندك عمل ؟ نعم عنده معمل ، أحضر لي ترخيص المعمل ، ظهر هذا صحيح، بعدما طالبه بكل شيء وافق الأب ، و دخل في مشروع خطبة ، ومرة كان الأب مع زملائه التجار في الحريقة ، ودخل هذا الخاطب الأديب ، قال لهم خطيب ابنتي ، كان هناك شخص تلون وجهه، ثم انتحى بالأب مكاناً ، وقال له : هذا غير مسلم ، قال له : أنت لست مسلماً ؟ قال له : هل سألتني عن ديني ؟ عن ديني لم تسألني أبداً .

فلذلك أيها الإخوة ، موضوع الزواج مهم جداً ، هذه موضوعات حيوية ، الزواج ، و تربية الأولاد ، و موضوع إدارة الوقت ، موضوع الصحة ، موضوع الغذاء ، موضوع البرمجة العصبية اللغوية ، هذه الموضوعات أتمنى أن نعالجها في الدروس القادمة .

حسْنُ المعاملة والقدوة الحسنة

أنا أقسم بالله أنني ، وأعتقد ، فقط للتقريب أن الدين خمسمئة ألف بند ، الصلاة والصوم والحج والزكاة خمسة بنود من خمسمئة ألف ، هذا الدين منهج ، يبدأ بفراشك ، و ينتهي بالعلاقات الدولية ، طعامك ، شرابك ، عملك ، علاقاتك . مثلاً ، أحد إخواننا الكرام يعمل بمؤسسة قدم طلباً لرئيسه ، يقسم بالله العظيم ، قال لي : أنا يمكن أموت ، ولا أصدق أن يدخل مديره في المؤسسة إلى جامع ، ماذا قال : يموت ، ولا يصدق ، لبُعده عن الدين ، قدم طلباً ستة أيام إجازة ، فالمدير غضب ، قال له : لا يوجد عندنا وقت الآن ، قال له : أنا استهلكتها ، كيف استهلكتها ؟ قال له : أصلي الظهر ، وأسمع درساً صغيراً ، جمعت الأوقات كلها فكانت ستة أيام ، أريد أن آخذ إجازة حتى لا آكل مالاً حراماً ، قال له : أنت أين تصلي ؟ قال له بالجامع ، أقسم بالله العظيم أنه فوجئ في يوم الجمعة القادم أن مدير المؤسسة في المسجد ، هذا الدين .

طلب ستة أيام ليغطي صلوات شهرين ، كل يوم ربع ساعة ، جمعها ، وأخذها من إجازاته التي تحق له في الصيف ، فالقضية ليست قضية كلام ، قضية سلوك ، قضية انضباط ، قضية التزام ، و دائماً يوجد مسلم عادي لا يقدم ولا يؤخر ، ولا يجلب أحداً إلى الدين ، ويوجد مسلم استقامته وورعه ،

وعفته، يحدث لك صدمة إيمانية ، وهناك قصص كثيرة جداً وقصص بطولية ، لكن هذه القصص أتمنى لو تعمّم .

كثير من الناس يتمنون أن هذه القصص الواقعية المعاصرة تسجل ، لماذا ؟ لأن هذا الذي يعيش معك يتحمل الضغوط نفسها ، والإغراءات نفسها ، والمشكلات نفسها ، لكنه انتصر على بشريته فاستحق رضوان الله عز وجل .

أنا أقول دائماً : لولا أن النبي عليه الصلاة والسلام بشر تجري عليه كل خصائص البشر لما كان سيد البشر ، فنحن بحاجة إلى مثل هذه الموضوعات ، وإن شاء الله نعالجها عن طريق الحوار .

عندما نبدأ بموضوع البرمجة العصبية يكون عندنا مبادئ ، نأخذ مبدأ مبدأ ، و نطالب إخواننا أن يعطونا الآية والحديث حتى لا نشعر نحن أننا مفتقرون إلى شيء جاءنا من الغرب .

مرة دعيت إلى سماع محاضرة في البرمجة العصبية اللغوية ، فبعد أن انتهت المحاضرة دعيت إلى إلقاء كلمة ، سبحان الله ! وفقني الله إلى أنني أكثر قواعد البرمجة ربطتها بآيات أو أحاديث ، ديننا دين كامل ، أنت مدير مؤسسة ، من أجل أن تجعل هذا الموظف يعطيك كل وقته يجب أن تحترمه ، فإذا كان لك عليه مأخذ ينبغي أن تذكر المأخذ بعد أن تذكر إيجابيات هذا الموظف .

صحابي جليل دخل المسجد ، وكان النبي عليه الصلاة والسلام في الركعة الأولى ، فأسرع وأحدث جلبة ، وشوش على الصحابة ، فلما انتهى من صلاته قال له النبي الكريم : زادك الله حرصاً ولا تعد .

مثلاً أنا في الجامع هنا لا أرغب بتقبيل اليد ، لكن والله تأتيني رسائل أحياناً من شخص حديث عهد بالدين لا يعجبه تقبيل اليد ، أنا والله أتألم أشد الألم من تقبيل اليد ، لأنني أنا حريص على كل شخص ، هذه لا تقدم ولا تؤخر .

مرة تكلمت على المنبر و قلت : إن كان لها أصل فأنا لا أستحقها ، وإن لم يكن لها أصل فنحن في غنى عنها ، نحن عندنا مصافحة فقط ، لكن عندما يأتي أخ يريد أن يغالبني أتألم ، حتى لا أزعجه ، وحتى لا أجعله بشعور الإحباط أقول له : و الله أنا أعلم أن هذه مودة بالغة منك ، لكن أتريد أن يترك المسجد أحدهم ؟ والله هناك أناس تركوا الجامع من تقبيل اليد ، ألست حريصاً على الناس كلهم ؟ هذا لا تقدم و لا تؤخر ، أنا لن أدخل في تفاصيل الأحكام الشرعية ، لكن أنا عندي حكم واضح ، إن كان لها أصل فلا أستحقها ، وإذا لم يكن لها أصل فلا نريدها ، نصافح بعضنا .

لكن عندما يغلبني شخص لا أريد أن أحدث له مشكلة ، أقول له : و الله أنا أعرف أن هذا من أدبك ، ومن تقديرك ، ومن كرامة أصلك ، لكن أنت هل تريد أن يدع أحد المسجد من أجلها ؟ قال لي : لا و الله ، قلت له : لا نريدها ، دعها مصافحة .

أيضاً إنسان يقبّل أنت تُشْعِرُه بأنك لا تقدّره ، قال له زادك الله حرصاً ولا تعد .

مرة سألتني أخت في سفرةٍ لي من سفرات عديدة ، وكنتُ ألقي درساً ، أرسلت لي ورقة ، هي دكتورة، أنا أشعر بحرج كبير بعدم المصافحة ، فما حكم المصافحة ؟ حكمها واضح كالشمس ، المصافحة حرام ، لكن أردت أن يكون الجواب دعويا لا جوابا شرعيا ، قلت لها : الملكة إليزابيت لا يصافحها في بلدها إلا سبعة رجال بحكم القانون البريطاني ، لعلو مقامها في مجتمعها ، والمرأة المسلمة ملكة لا يصافحها إلا سبعة رجال ، لعلو مقامها في مجتمعها بحكم القانون القرآني ، هو نفس الجواب ، حرام ، لكن الأسلوب لطيف ، يمكن أن يصير هذا الشيء مقبولا .

تقول المرأة المسلمة : أنا لي مكانة كبيرة ، أنا لست مبتذلة ، لا يصافحني أي شخص ، نحن عندنا مشكلة كبيرة جداً ، يأتينا ضيوف من أوربا أو من روسيا ، لا يكفي أن يصافحها ، بل يعانقها ، مثل مدرسة شرعية جاء وزير أديان بدولة في شمال روسيا أراد أن يعانقها ، هذا ليس معقولا ، رجعت ، وكادت أن تقع من شدة الصدمة .

نحن أي حكم شرعي يكون له قالب ، يقول لك : حرام ، تقيم عيد مولد تحدث صدمة ، أنا أقول له : صلى الله عليه وسلم خوطب بالقرآن الكريم ، قال تعالى :

وَكُلّاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ

[سورة هود: 120]

أقول : إذا كان قلب سيد الخلق ، وحبيب الحق يزداد ثباتاً بسماع قصة نبي دونه فلأن نتألق تألقاً شديداً إذا سمعنا قصة سيد الأنبياء من باب أولى ، قال تعالى :

أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ

[سورة المؤمنون : 69]

الله عز وجل يحثنا على أن نعرف رسولنا ، قال تعالى :

قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ

[سورة سبأ : 46]

يدعونا أن نتفكر في مقام النبي عليه الصلاة والسلام ، لكن هذا يندرج تحت الدعوة إلى الله ، وتعريف الناس برسول الله جزء من الدعوة ، والحديث عن رسول الله ، وعن أخلاقه ، وعن شمائله ، وعن خصائصه ، وعن سموه ، وعن خلقه ، هذا جزء من الدعوة إلى الله ، إذا أدرجت الحديث عن رسول الله في احتفال ، أو في بيت ، أو في مسجد ، وقدمت الطعام للناس ، كان أفضل الإسلام إطعام الطعام ، وجعلت هذا الاحتفال على مدار العام ، هذا دعوة إلى الله ، أما إذا سميت الاحتفال بعيد المولد عبادة فهو بدعة ، إذا وصفته أنه عبادة فهو بدعة ، أما إذا أدرجته مع الدعوة إلى الله فلا مشكلة ، هذا موقف وسطي ، لا إنكار غير معقول ، ولا تعظيم يفوق حد القبول ، الكون كله خلق من أجل محمد ، هذا

الكلام غير صحيح ، الخلق كلهم خلقوا ، ولا سيما البشر ليكونوا على شاكلة محمد ، هو قدوة لنا وأسوة، التطرف بكل أنواعه تطرف لا يأتي بخير .

أيها الإخوة الكرام ، الآن توضحت معالم هذا اللقاء الطيب لتربية الأولاد ، العلاقات الزوجية ، الصحة، الغذاء ، البرمجة العصبية اللغوية ، إدارة الوقت ، إن شاء الله نحاول في الدروس القادمة أن نبدأ بموضوع ، وأن نستزيد من إخوتنا الكرام حول فقرات هذا الموضوع ، ولعل الله عز وجل ينفعنا ، فنحن في صحوة إن شاء الله ، أرجو أن تنتهي على أن نستعيد دورنا القيادي في العالم ، نحن في محنة كبيرة ، ونحن في حرب لا هوادة فيها ، ونحن قضيتنا نكون أو لا نكون ، وأن الطرف الآخر يتمنى إبادتنا والله ، وينفعنا الآن أن نتعاون ، وأن نتكاتف ، وأن نتناصر ، وأن نطبق الإسلام في بيتنا أولاً ، وفي عملنا ثانياً ، هذا الذي كلفنا الله به ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية – موضوعات مختلفة في التربية - دروس حوارية - الدرس (03-28) الرياضة-2
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2006-03-12

بسم الله الرحمن الرحيم

تذكير لموضوعات مقترحة سابقا

أيها الإخوة الكرام ، بدأنا قبل ثلاثة أسابيع درساً في الحوار ، في الدرس الأول والثاني تحدثنا عن الموضوعات المقترحة التي تشغل بال إخوتنا ، والموضوع إذا لامس شغاف القلب تفاعل الإنسان معه، ونحن في أمسّ الحاجة في هذه الأيام إلى ما يسمى بفقه الأولويات ، هناك قضايا ساخنة ، هناك قضايا حيوية ، هناك قضايا مصيرية ، هذه ينبغي أن نبحثها أولاً ، لأن الإسلام هو الحياة ، وفي الدرس الماضي فيما أذكر استقر حوارنا على أن نعالج موضوعات نحن في أمسّ الحاجة إليها فاقترحتم أنتم ، وأضفت على اقتراحاتكم فضلاً عن موضوع العلاقات الزوجية ، لأن البيت المسلم إذا كان بيتاً سعيداً كان العطاء كبيراً من الزوج و الزوجة ، وهناك أسباب كثيرة جداً تفسد العلاقة بين الزوجين ، فلابد من بحث موضوع العلاقات الأسرية ، وكيف كان النبي عليه الصلاة والسلام قدوة لنا لما حمد الله عز وجل حينما رزقه حب عائشة .

إذا أحب الإنسان زوجته فهو وفق منهج الله ، والله يبارك هذا الحب ، والله يدعم هذا الزواج ، ثم أضفتم أنتم موضوع تربية الأولاد في الإسلام لأن الأولاد الآن هم الورقة الرابحة الوحيدة في أيدينا ، و الأولاد يعني المستقبل و ما من عمل أعظم عند الله من تربية الأولاد ، خير كسب الرجل ولده ، أول من يمسك بحلق الجنة أنا ـ هكذا قال عليه الصلاة و السلام ـ فإذا امرأة تنازعني تريد أن تدخل الجنة قبلي ، قلت : من هذه يا جبريل ؟ قال : هي امرأة مات زوجها ، وترك لها أولاداً فأبت الزواج من أجلهن .

إذاً ، استقر حوارنا على معالجة موضوع العلاقات الأسرية ، وعلى معالجة موضوع تربية الأولاد ، وأضفنا موضوع إدارة الوقت ، أنت وقت ، أنت بضعة أيام ، كلما انقضى منك يوم انقضى بضع منك .

إدارة الوقت مفهوم إسلامي :

(وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)

[سورة العصر]

وإدارة الوقت مفهوم حضاري

هو إسلامي و حضاري ، و ما من إنسان قدم إنجازات كبيرة في الحياة إلا وأحسن غدارة وقته .
واقترحت عليكم أيضاً موضوع نظام فريق العمل ، كيف نتعاون ولا نتنافس ؟ كيف تنضم جهودنا إلى بعضنا لا أن تتبعثر ؟ كيف يكف الإنسان عن أن يجعل همه أن يكيد لأخيه في العمل ؟ أنا لا أتكلم من فراغ ، فتكاد تكون تسعة وتسعون بالمئة من كل مؤسساتنا قائمة على الكيد فيما بين الموظفين ، كل موظف يريد أن يبني مجده على أنقاض أخيه ، يورطه ، يدفعه إلى الخطأ ، يخبر المدير العام بخطئه كي يحطمه ، ويبقى وحيداً .
نحن بحاجة إلى مفهوم فريق العمل ، وبحاجة إلى ما يسمى الذكاء العاطفي ، أو البرمجة العصبية اللغوية ، كيف وأنت بإمكاناتك وقدراتك يمكن أن تضاعف إنجازاتك إلى عشرة أضعاف ؟
واقترحت عليكم أيضاً البرمجة العصبية اللغوية ، وإدارة الوقت ، وفريق العمل ، وتربية الأولاد في الإسلام ، اقترحت عليكم أيضاً موضوع الرياضة ، وموضوع التغذية ، لأن الإسلام هو الحياة ، ولكن اليوم نبدأ بالرياضة ، ولكن أريد أن أكركم في كل درس بالموضوع الذي سنعالجه في الدرس القادم ، فإذا كان إخواننا من الشباب لهم اطلاعات ، لهم معلومات دقيقة حصلوها ، لهم مرجعيات علمية ، درسوا في الجامعة موضوع يمس موضوع المحاضرة ، فإذا حضروا شيئاً مكتوباً أو ارتجالياً يكون الحوار حقيقيا .
أحياناً يكون الشكل حوارا ، لكن المتكلم في واحد النهاية ، أنا أريد حوارا حقيقيا مع إخوان متخصصين بإدارة الأعمال .
فرضاً ، أخوان عندهم اختصاص البرمجة العصبية اللغوية ، إنسان عنده اختصاص بالرياضة ، قدم لنا معلومات مكتوبة أقرأها عنه ، يحب هو أن يقرأها قراءة ، يحب أن يلقيها ارتجالاً ، العبرة أن هذا اللقاء لقاء حوار ، لقاء مساهمة عامة ، نريد أن نحسن حياتنا ، أن نحسن إنتاجنا ، أن نخدم أمتنا ، أن نقدم شيئاً لهذه الأمة المقهورة ، لهذه الأمة التي أصبحت مضغة في الأفواه ، نريد أن نفعل شيئاً ، نريد أن نعيش في سبيل الله ، وقلت سابقاً ، وقلت هذا في عدة ندوات إعلامية : هذا الذي مات في سبيل الله إنسان كبير جداً ، لدرجة أننا نتضاءل أمامه ، ولكنه انتهى ، قدم أثمن ما يملك ، قدم حياته وانتهى ، والأمة بحاجة إلى شباب يعيشون في سبيل ، يقدمون إنجازات كبيرة .

الرياضة سلامة للجسم والعقل

أيها الإخوة الكرام ، يقولون دائماً : العقل السليم في الجسم السليم ، قد يعترض واحد منكم يقول :

الرياضة تطيل العمر ؟ الجواب : لا ، لك عند الله مثلاً ثلاثة وسبعون سنة ، وتسعة أشهر ، وثلاثة عشر يوما وثماني ساعات ، وسبع دقائق ، وعشر ثوان ، لا تزيد ثانية ، هذه عقيدة المسلم ، إلا أنك بين أن تعيش هذا العمر واقفاً متحركاً نشيطاً منتجاً معطاءً ، وبين أن تعيش نصف هذا العمر على فراش ، وكل من حولك يقول لك : نسأل الله أنْ يخفف عنك .

والله حدثني البارحة طبيب ، قال لي : والله أشد ما يؤلمني أنه قد يأتي شباب بآبائهم إلى عيادتي ، وحالته صعبة جداً ، وهناك أدوية نافعة ومجدية وناجعة ، يتململون ، ويتمنون أن يكون هذا المرض قاضياً على حياته ، ينزعجون لو وصف لهم دواء يحتاج إلى جهد ، وإلى وقت ، وينزعجون لو قال لهم الطبيب : أمل كبير بشفائه هم لا يريدون أن يكون أمل كبير يريدون أن تكون القاضية ، أنا أقول : وهذه كلمة جانبية : كل أب محترمٌ في ثقافة المسلمين ، بثقافتنا كل أب محترم ، لكن دققوا أيها الشباب ، إذا أصبحتم آباءً ، ويا أيها الآباء ، ما كل أب يحب بطولتك ، لا أن تنتزع احترام أولادك بحكم الثقافة العامة ، بحكم العادات والتقاليد ، لا ، بطولتك أن يحبك أولادك بحكم إحسانك إليهم ، بطولتك أن يتمنى أولادك بقاءك ، أن يتألموا أشد الألم لأي مكروه أصابك ، هذه بطولة الأب ، وهذه ثمرة من ثمرات الأب الرحيم ، الأب الذي يعيش لأولاده .

أدلة الرياضة من الكتاب والسنة النبوية

أيها الإخوة الكرام ، أول نص نبوي واضح صريح قطعي الدلالة يؤكد قيمة الرياضة ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ))

[مسلم]

في هذا المكان الطاهر ـ المسجد ـ تتلقى حقائق الدين ، وثقافة عامة ، والثقافة الغربية ليست مقصودة في هذه اللقاءات ، ولكن لضعف ثقافتنا يأتي مفهوم غريب مفهوم من بلاد الغرب براق نعجب به ، وننسى أن في ديننا ما هو أعظم منه بآلاف المرات .

قبل شهرين دعيت إلى إلقاء محاضرة في ملتقى للحفاظ على البيئة ، أعددت موضوعًا وقرأت كثيراً عما كتب عن البيئة في الثقافات الغربية ، والله الذي لا إله إلا هو الذي وجدتُ في نصوص الإسلام ، نصوص القرآن الكريم ، نصوص النبي العدنان في الحفاظ على البيئة ما لا يصدق ، لكن نحن معنا عقدة نفسية ، كل شيء يأتينا من الغرب برّاقا ، كحقوق الإنسان ، والله لقد حمى الإسلام حقوق الإنسان قبل أن يفكر الغرب في هذا الموضوع ، وديننا نصّ على أنه لا بد للعقل لفهم النص ، الآن حينما يقول الله عز وجل بأمر قطعي الدلالة :

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ)

[سورة الأنفال : 60]

أليست قوة الجسد قوة ؟ الأمة بصحة أبنائها .

حدثني مندوب شركة في هولندا قال : أنا لو أرشح مرتين في السنة أخسر عملي ، هذا التعليق غريب ، سألته : كيف ؟ قال : أنا حينما أرشح فلن أعتني بصحتي ، أنا لست جديرًا بهذا العمل ، لذلك ترى الأمراض التي تصيب الأمة بسبب جهلها وعدم انضباطها في الطعام والشراب ، وعدم انضباطها في الرياضة تكلف الأمة نفقات باهظة جداً ، فبين أن يكون هذا الإنسان جاهزًا للعمل والإنتاج وأن يكون عبئًا على الأمة يحتاج إلى سرير في المستشفى ، يحتاج إلى أدوية مستوردة ، يحتاج إلى طبيب بمبالغ باهظة جداً الفرق بينها شاسع جدا ، فلذلك :

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ)

[سورة الأنفال : 60]

هذه تغطي قوة الجسد ، لكن أنا أحب أن أوضح الأمور بشكل شامل ، إذا كنتَ تعتقد أن الرياضة تطيل العمر ، مستحيل ، يكون في عقيدتك زيغ ، إذا كنتَ تعتقد أن الرياضة وحدها كافية لتحقيق كل شيء فهذا خطأ كبير .

ثمة صديق صديقي لهم سهرة كل أسبوع ، أحدهم رشيق ، أكْله منتظم ، كل أكلٍ يتناوله صحيٌّ ، مع المشي اليومي ، وكل حديثه عن خبز النخالة ، وعن السَّلَطة ، وعن الجزر ، وعن حبة البركة ، وهذه الأشياء ، بعد سن لخمسين ليس للإنسان حديث إلا في هذا ، كل عمر له اهتمامات ، بعد سن الخامسة والخمسين تأكل خبز النخالة ، ولا حديث إلا عن حبة البركة ، والجزر ، وخبز النخالة ، والسَّلَطات ، طبعاً يصير الواحد قريبا من المغادرة ، فيحب أن يطيل وقت المغادرة ، فهذا يقول : أنا يطول عيشي حتى أموت ، هكذا يقول ، وهو عنده دعابة ، وهو أستاذ فلسفة ـ يرحمه الله ـ قال : أنا يطول عيشي حتى أموت ، لماذا ؟ قال : انظروا ، قوامي معتدل ، وزني معتدل ، رشيق ، أمشي كل يوم ساعة ، أكلي صحي ، هذا الكلام قاله يوم السبت ، في السبت الموالي كان تحت الأرض مدفونًا .

إن لك عند الله عمرًا لا يزيد ولا ينقص ، لكن قد تبقى في هذا العمر واقفاً متحركاً ، أو أن تبقى على سرير عبئاً على من حولك .

ومن النصوص التي تؤكد قيمة الرياضة ،

((إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ))

[البخاري عن أبي جحيفة]

جسمك له عليك حق .

احترام القوانين الطبية والصحية

هناك موضوع دقيق في العقيدة ، أن الإنسان المؤمن يحترم قوانين الله ، ولجسمك قوانين ، ومن علامات احترام هذه القوانين التي قننها الله أن تأخذ بها ، إنسان معه ضغط مرتفع ، ويحب الأكل المالح، يقول : كُلْ الملح وسمِّ بالله ، ولا تخف من شيء ، الله هو الشافي ، هذه زعبرة جهل ، يجب أن تحترم قوانين الله عز وجل ، الملح يرفع الضغط ، والضغط هو القاتل الصامت ، أنا أتمنى أن يكون في كل بيت جهاز ضغط ، الضغط المرتفع ليس له أعراض ، هذه المشكلة ، اسمه القاتل الصامت ، إذا لم يقتل يسبب خثرة في الدماغ ثم الشلل ، وإذا لم يقتل يفقد البصر ، فما الذي يمنع أن يكون في كل بيت جهاز ضغط ، وعلى عدة مرات تقيس ضغطك ، هذا جسمك ، أنت كمؤمن ليس جسمك ملكك ، هذا ملك زوجتك ، ملك أولادك ، وملك كامل أسرتك ، وإذا كان لك عمل طيب فهو ملك جامعك ، ملك المؤمنين ، أنت طاقة منتجة ، فالحفاظ على الصحة حفاظ على المسلمين أيضاً .

من علامات طاعتك لله أن تتأدب مع قوانين الجسم ، لا يغسل الفاكهة ، كل وسمِّ ، لا يضر مع اسمه شيء ، هذا فهم للدين فيه جهل ، النبي عليه الصلاة والسلام قال :

((اتقوا النسمة))

[ورد في الأثر]

والنسمة هي الغبار ، فمن أكل التراب فقد أعان على قتل نفسه ، لكنْ من يأكل التراب ؟ لا أحد ، يعني من يأكل فاكهة لم تغسل فكأنه أكل التراب ، فقد أعان على قتل نفسه .

الرياضة التي ندعو إليها

لو تتبعتم وصايا النبي عليه الصلاة والسلام ، كيف أن الدعوة إلى الله التي هي أعظم عمل على الإطلاق ، والتي هي صنعة الأنبياء ، أقول دائماً عنها : تتذبذب بين أن تكون أعظم عمل ترقى إلى صنعة الأنبياء ، وبين أن تكون أتفه عمل لا تستأهل إلا ابتسامة ساخرة ، فالرياضة من باب أولى ، يمكن أن تكون الرياضة ديناً بديلا للدين الإسلامي ، ويمكن أن تشجع الرياضة كسياسة إلهاء للشعوب الضعيفة ، ويمكن أن تكون الرياضة حجاباً بيننا وبين الله عز وجل ، أنا أتحدث عن الرياضة كقوة كنشاط ، كجاهزية للجسم ، لا أتحدث عنها كتفلت ، يمكن أن تكون الرياضة أحد أكبر الفساد في الأرض ، مهرجانات ، وفتيات ، وشباب ، وثياب فاضحة ، ولقاءات غير شرعية .

والله مرة كنت راكبًا مركبة بين مكة وجدة في عودتي إلى بلدي عقب عمرة ، إذ بالسائق ينفعل انفعالا لهدفٍ سجّله فريق على فريقه ، والله كاد يخرج من جلده ، سبحان الله ! هذا صار عندنا دينًا جديدًا .

إذا كانت الرياضة كشف عورات وتفلتًا واختلاطًا ومناسبة للفساد فهذا موضوع ثان ، ليس لنا علاقة به في هذا الدرس إطلاقاً ، علاقتنا أن الإنسان يعتني بجسمه ، يقوم بتمارين رياضية ، فوق الأربعين يمشي كل يوم ساعة قدر الإمكان ، حتى يحافظ على لياقته الصحية ، وعلى جاهزيته للعمل .

مثلاً تجد الواحد منا يستغرق في أخبار لاعب كرة قد يكون معه مرض الإيدز ، قد يكون شاذًا ، لكن يتقصى أخباره بشكل غير معقول ، أي ساعة يستيقظ ، أي ساعة ينام ، لا يعرف عن الصحابة واحدًا بالألف مما يعرف عن لاعبي الكرة ، أصبحت هذه اللعبة ديناً يدين الناس به ، هل من المعقول أن يصير طلاق بمصر بين أناس يوالون فريق ضد فريق ، أنْ يطلّق ، زوجته لأنها ليست زملكاوية مثلاً ، هل هذا معقول ؟

أنا أعني ما أقول ، أصبحت الرياضة ديناً ، مباراة في لندن يُقتَل فيه ستون قتيلا من التشجيع الهستيري والاستفزاز ، أنا أتحدث عن الرياضة كسبيل لتقوية الجسم ، هي ليست هدفاً ، لكنها وسيلة ، فإن جعلت هدفاً فقد أصبحت ديناً ، هي وسيلة ، وليست هدفاً .

هناك رياضات محرمة ، الملاكمة الحرة محرمة في الشريعة الإسلامية ، لأنها تقوم على استباحة إيذاء كل من المتغالبين للآخر إيذاءً بالغاً في جسمه ، فإذا كان إيذاء اللاعب أو إيذاء الطرف الآخر مباحًا في هذه اللعبة فهي محرمة ، المصارعة الحرة أيضاً محرمة ، التحريش بين الحيوانات كالجمال والكباش والديكة محرمة ، أما الكارتية إذا تعلمناها كي ندافع عن أنفسنا فهي مباحة .

قال أحدهم : أين محمد ، لا نجوتُ إذ نجا ، هذا في معركة ، فهو طلب سيدنا محمد بالذات ، قال النبي عليه الصلاة والسلام : دعوه لي ، وأصرّ على أن يقاتله بنفسه ، فوكزه وكزة بالرمح فولى هارباً ، وهو يعدو قال : والله لو بصق علي لقتلني ، كان عليه الصلاة والسلام قويًّا .

لما كانوا في بدر ، وكانت الرواحل قليلة مقارنة مع العدد قال : كل ثلاثة على راحلة ، وأنا وعلي وأبو لبابة على راحلة ، هو قائد الجيش ، زعيم الأمة ، نبي الأمة ، رسول الأمة ، سيد الخلق ، ساوى نفسه مع أصحابه قال :

((وأنا وعلي وأبو لبابة على راحلة ـ ركب الناقة ، فلما جاء دوره في المشي توسلا صاحباه أن يبقى راكباً ، قال قولة رائعة ، قال : ما أنتما بأقوى مني على السير ـ كان رياضيًّا ـ ولا أنا بأغنى منكما عن الأجر))

[أحمد عن ابن مسعود]

وفي بعض أسفاره أرادوا أن يعالجوا شاةً ، قال أحدهم : علي ذبحها ، وقال الثاني : علي سلخها ، وقال الثالث : علي طبخها ، فقال عليه الصلاة والسلام : وعلي جمع الحطب ، فقالوا : نكفيك ، ذلك ، قال : أعلم أنكم تكفونني ، ولكن الله يكره أن يرى عبده متميزاً على أقرانه .

حدثني طبيب قلب قال : إذا خدم نفسه الإنسان في البيت ، يقوم بالحد الأدنى الأدْنى الأدنَى من الرياضة ، شرب ، ورجع ووضع ثيابه في مكانها ، حاول أن يخدم نفسه ، أكل في صحن فغسله ، هذه حركات ، هذه الحد الأدنى الأدْنى الأدنى من الرياضة في البيت ، أن تخدم نفسك .

اشترى أحدهم عبدًا من السوق كثير الذكاء ، لكنه استرخصه كثيرًا ، فاشتراه ، وأحضره إلى البيت ، قال له : أحضر لي كأس ماء ، قال : أنا سوف أذهب أحضر الماء ، وأعود ، وأعطيك إياه ، وأرجع ، وأضع الكأس في مكانه ، ثم أعود إلى مكاني ، هذه أربع حركات ، اذهب أنت اشرب وعُد ، ففهم لماذا هو رخيص الثمن .

إن رياضة الكاراتية إذا كان القصد منها أن تكون قويًّا ، وأن تدافع عن نفسك ، لا أن تتبلى الناس ، وتعتدي عليهم فيمكن ممارستها .

وكذا العَدو والجري على الأقدام ، فقد أجرى النبي عليه الصلاة والسلام مسابقة الجري بين أطفال بني عمه العباس ، وكان يستقبل الفائز بصدره ، فيقبلهم ، ويلتزمهم ، وكان يشجع الفائزين بالجري .

وكان علي رضي الله عنه عداءً سريعَ الجري ، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتسابقون على الأقدام ، والنبي عليه الصلاة والسلام يقرّهم عليه ، وكان عليه الصلاة والسلام يأمر الركب فينطلق ، ثم يسابق السيدة عائشة رضي الله عنها .

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ قَالَتْ :

((فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ عَلَى رِجْلَيَّ ، فَلَمَّا حَمَلْتُ اللَّحْمَ سَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي ، فَقَالَ : هَذِهِ بِتِلْكَ السَّبْقَةِ))

[أبو داود]

ما زاد وزنه صلى الله عليه ، بل حافظ على وزنه ، وقد قالوا : إن عشر ما نأكله يكفي لبقائنا أحياء ، وتسعة أعشار ما نأكله يكفي لبقاء الأطباء أحياء .

اللعب بالسهام والحراب ، كان عليه الصلاة والسلام يقول لأصحابه : ارموا وأنا معكم ، عليكم بالرمي فإنه خير لكم ، لكن قال حديثًا أنا أعده من دلائل نبوة النبي عليه الصلاة والسلام قال :

((ألا إن القوة الرمي))

[مسلم عن عقبة بن عامر]

يعني قوة أيّ سلاح ، مهما كان حديثاً في دقة الإصابة ، لما تنطلق القذائف من بارجة في إيطاليا تدخل إلى غرف نوم حاكم العراق ، هذه دقة بالغة ، وهناك قذائف انطلقت من البحر الأحمر ، وقذائف انطلقت من إيطاليا ، وجاءت في الغرفة المقصودة بالذات ،

((ألا إن القوة الرمي))

الآن السلاح قوته بدقة الإصابة ، وهناك قنابل ذكية تتبع الهدف ، وقنابل تركب أشعة الليزر ، وقنابل انشطارية ، وقنابل عنقودية ، وقنابل خارقة حارقة ، فصار التطور في السلاح عجيبًا ، لكن كل هذا السلاح أساسه دقة الإصابة ،

((ألا إن القوة الرمي))

وهناك طائرات ترى عن بعد مئتين كيلو متر ستة عشر هدف ، ويخرج منها ستة عشر صاروخًا تدمر من مئتي كيلو متر ، وهناك طائرات مداها سبعة كيلو مترات لا ترى أحداً ، ثم تسقط

((ألا إن القوة الرمي))

قالوا : الحرب القديمة كانت بين ساعدين ، ثم أصبحت بين سلاحين ، ثم بين آلتين ، وهي الآن بين عقلين ، هناك قنابل الآن يمكن أن تبيد البشر والأبنية ، كما شاهدت صورًا لبلدة في العراق ضربت بالسلاح الفسفوري ، الألبسة كما هي ، لكن لا يوجد ضمن الألبسة إلا هيكل عظمي ،

((ألا إن القوة الرمي))

ويقول عليه الصلاة والسلام :

((كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو أو سهو إلا أربع خصال ، مشي الرجل بين الغرضين ، بين الهدفين ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله ، وتعليمه السباحة))

[الترمذي بلفظ قريب منه ، ولم يذكر فيه السباحة]

أحياناً يكون عند الأخ مثلاً التهاب مفاصل ، فالمفاصل لا تحمله ، فالمشي بالنسبة له يستهلك مفاصله .

جهاز المناعة المكتسب : أهميته وتركيبه

بالمناسبة حينما يقتني الإنسان حذاء يمشي على البلاط ، أو على زفت فهو يستهلك نصف مفاصله ، الآن يكون المرض الأول التهاب المفاصل ، لأن غدة في الإنسان اسمها التيموس بحجم حبة العدس جانب القلب ، هذه الغدة إلى عشر سنوات كان يظن أنه لا وظيفة لها إطلاقاً ، وفي معظم كتب الطب أنه لا وظيفة لها إطلاقاً ، ثم تبين أن هذه أخطر غدة في جسم الإنسان ، هي مدرسة حربية تدخل إليها الكريات البيضاء ، كبروها أربعة آلاف مرة ، أو أربعين ألف مرة ، إذا هي كمدرج روماني ، وكل كرية كأنها طالبة علم جالسة على المدرج ، تبقى الكريات البيضاء في هذه الغدة سنتين ، تتعلم في هاتين السنتين ، تتعلم من هو الصديق ومن هو العدو ، لأن جهاز المناعة المكتسب مؤلف من كريات بيضاء ، وفرقة الاستطلاع ، وفرقة تصنيع السلاح ، وفرقة المقاتلين ، وفرقة الخدمات ، وفرقة الكومندوس المغاوير ، فجهاز المناعة المكتسب هو في الحقيقة جيش بكل معاني هذه الكلمة ، الفرقة الأولى هي فرقة الاستطلاع ، إذا دخل إلى الجسم جرثوم تذهب إليه ، وتأخذ تركيبه الكيماوي وتعود ،

تلقي هذه الشيفرة في العقد الليمفاوية ، معامل تصنيع السلاح ، العقد اللمفاوية مهمتها تصنيع مصل مضاد لهذا الجرثوم ، لكن أغرب ما في هذه العقد ، وأغرب ما في هذا لسلاح أنه يتمتع بذاكرة مذهلة ، فلو أعطينا طفلا جرثومًا مضعف كلقاح ، وصنعت هذه المعامل مصلا مضادًا فتركيب المصل يحفظ في ذاكرة هذه المعامل ، فلو جاء جرثوم بعد سبعين عامًا كان الملف جاهزًا ، ولولا هذه الذاكرة لما كان تلقيح أساساً .

الفرقة الأولى استخباراتية واستطلاع معلوماتية ، الفرقة الثانية تصنيع السلاح الفرقة الثالثة مقاتلون مشاة البحرية يحملون السلاح ، وينطلقون إلى الجرثوم ليقتلوه ، فتراكمت الجثث والدماء ، فرقة السلاح الهندسة والتنظيف ودفن الجثث ، وما إلى ذلك .

اكتشف عالم كبير فرقة خامسة ، هي فرقة المغاوير ، هذه الفرقة تكتشف الخلية السرطانية في وقت مبكر جداً ، وتلتهمها ، وينجو الإنسان من السرطان بفضل هذا السلاح ، سلاح المغاوير ، لكن ثبت أن كل إنسان عنده ملايين الخلايا السرطانية ، لكن كل خلية عليها قامع يمنع فاعليتها ، ما الذي يفك القامع؟ الشدة النفسية ، الخوف ، الحقد ، القلق ، الشرك بالله ، قال تعالى :

(سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا)

[سورة آل عمران : 151]

يفك القامع البلاستيك ، ومشتقات البلاستيك ، كأس شاي بلاستيك ، الشاي حار جداً ، الحرارة أخذت معها بعض الذرات البلاستيكية ، يفك القامع البلاستيك ، مع الحمض طبق سلطة ، بحمض قاس ، فالحمض يذيب بعض ذرات البلاستيك ، أو نحضر اللبن بكيس نايلون ، بالسكين نحاول أن ننظف الكيس ، السكينة تأخذ بعض ذرات البلاستيك ، البلاستيك مسرطن أيها الإخوة الكرام ، لكنه مسرطن مع المادة الحامضية ، والمادة الحارة ، وعن طريق القشط ، يفك القامع أيضا البترول ، ومشتقات البترول ، فإذا كان الإنسان يعمل في السيارات ، وما نظف يديه ، وأكل من دون ملعقة فإنه يمكن لبقايا البترول تحت أظافره أن تسبب له مرضًا خبيثًا .

و يفك القامع الإشعاع النووي ، أنا لا أنسى عقب سقوط بغداد في ندوة من الندوات جاء سؤال من بريطانيا : ضربنا باليورانيوم المخضب ، المجيب شيخ من شيوخ العراق الكبار ، قال لها : ليست مشكلة ، هي استغربت الجواب ، قالت : كيف ليس مشكلة ، قال لها : كلهم أربعة آلاف وخمسمئة سنة ثم ينعدم ، كم سنة ؟ أربعة آلاف وخمسمئة سنة يبقى اليورانيوم المخضب يشع إشعاعات قاتلة ، هذه الحرية والديمقراطية !!! لذلك الإشعاع النووي مع مشتقات البلاستيك مع البترول مع الشدة النفسية هذه تفك القامع .

الآن الفرقة الثانية الفرقة المقاتلة تدخل إلى التيموس ، هذه الخلية تتعلم ، هذه فرقة قوية معها أسلحة فتاكة ، لكنها جاهلة ، يسمونها الخلية التائية الهمجية ، تتعلم بهذه المدرسة الحربية سنتين من هو العدو ومن هو الصديق ، عندها امتحان ، كل خلية تعطى سؤالا وتعطى عنصرًا عدوًّا ، دققوا الآن ، إذا لم تقتله ترسب ، وتُقتَل ، وإذا قتلته تنجح وتتخرج .

عندنا امتحان ثان ، تعطى كل كرية بيضاء عنصرًا صديقًا ، فإذا قتلته ترسب وتُقتَل ، وإذا لم تقتله تنجح وتتخرج ، تتخرج الكريات البيضاء من المدرسة الحربية ، والمدرسة تنتهي مهمتها بسنتين ، وتغلق أبوابها ، وتضمر وتتلاشى كلياً ، ما الذي أوهم العلماء السابقين أنه لا وظيفة لها ؟ ضمورها ، الآن كل جيل يعلم جيلا ، الجيل المتخرج أول وجبة يعلم الأجيال الصاعدة حتى الموت .

هنا تعليق لطيف ، أنه في الستين أو السبعين يضعف التعليم ، فتنشأ حالة اسمها خرف مناعي ، هذا المعلم ملّ من التعليم ، الدرس مختصر من دون أجوبة ، من دون تطبيقات ، من دون شرح ، فصار عندنا في جهاز مناعة فرقة مقاتلين معها سلاح فتاك ، لكنها جاهلة لا تعرف الصديق من العدو ، فينشأ في الجسم حرب أهلية ، أحد نتائج الحرب الأهلية التهاب المفاصل ، اسمه التهاب المفاصل الرثوي ، ما الذي يتعب المفصل ؟ تمشي بحذاء نعل على أرض قاسية ، أكثر البلاد الغربية أحذيتهم سميكة جداً ، ومرنة ، حتى في بعض البلاد إطار السيارة له عيار ينتفخ ، الحذاء نفسه ، هذا الحذاء يمتص البحص والأحجار الصغيرة ، وكلما مشيت على شيء لين تعتني بمفاصلك ، والمفاصل لا تزال من الأمراض الصعبة ، والآلام فيها لا تحتمل .

هذا الحديث جره موضوع المفاصل ، فإذا اقتنى أحدنا حذاء فكأن سهمًا في هذا الحذاء بثمانية سنتمترات فوق رجله ، وجاء بشكل مدبب ، والله شيء لا يحتمل ، وغير منطقي ، كل شيء ضيق ، يقول أحد الفقهاء : لا يقضي القاضي حين يقضي وهو غضبان ، العلماء حملوا على الغضب ثلاثًا وثلاثين حالة ، إذا لبس إنسان حذاء ضيقًا جداً يجب أن لا يقضي ، أو قميصًا ضيق جداً ، أو شيئًا ليس مرتاحًا به ، لذلك حملوا على الغضب ثلاثًا وثلاثين حالة مزعجة ، الإنسان الراقي يختار ألبسة وأحذية مريحة ، لكن هناك أناس يلحقون صرعات الموضة يجب أن يكون البنطال كاحتًا ، وأنا أخاف في سنة من السنوات أن يكون فردة بفردة !!!

((كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو أو سهو ، إلا أربع خصال ، مشي الرجل بين الغرضين ، وتأديبه فرسه ، ملاعبته أهله ، وتعليمه السباحة))

تصوروا بلدًا ما فيها ماء إطلاقاً ، الحجاز ما فيها ماء إطلاقاً ، يأتي توجيه لسيدنا عمر : << علموا أولادكم السباحة >> ، أين السباحة ؟ أين برك الماء ، معنى ذلك أن هذا توجيه إلهي ، فقضية السباحة سببُ ذكري لها أن الذي معه مفاصل يصبح المفصل يحمل الجسم فيزداد أثر السباحة ، المفاصل

مرتاحة ، الماء يحملك ، وفي بعض الحالات السباحة أفضل رياضة ، << علموا أولادكم السباحة والرماية ، وأن يثبوا على الخيل وثباً >> .

حدثني أخ كان في أمريكا شاهد ندوة تلفزيونية مفادها أن ركوب الخيل يقي من أمراض القلب والكبد والكليتين ، وأن ركوب السيارة تجلب أمراض القلب والكبد والكليتين ، كل شيء صممه الله عز وجل هو الصحيح .

وقد سبح النبي عليه الصلاة والسلام في بستان أخواله بني النجار ، ولعب مع الصبيان ، نحن دائماً في الرياضة الكلام يشبه تفاحة طيبة المذاق شهية ، نأكلها ، ولا حرج علينا إلا إذا كانت فيها نجاسة ، لكن وقعت تفاحة في مياه سوداء أتأكلها ؟

إذا كانت الرياضة مع كشف عورات ، مع ثياب قصيرة جداً ، مع فسق ، مع فجور ، مع اختلاط ، طبعاً كالتفاحة في مياه سوداء ، نبتعد عنها .

لكن مثلاً : للجامع منتجع خاص للطلاب ، هذا شيء رائع جداً ، هذا شيء حضاري ، هذا شيء يعين على تربية الأولاد ، طفل يجد مسبحًا جميلا ، وطعامًا طيبًا ، وملعبًا ، هذا شيء مما يؤيد الدعوة إلى الله ، وأنا قناعتي أنه يجب أن يكون هناك البدائل دائماً ، أنت كداعية أو كإنسان منظر أي شيء تحرمه يجب أن تقدم البديل ، أما كل شيء حرام فالحياة عندئذ لا تطاق ، كلما حرمت شيئًا تقدم بديله ، محرم أن تذهب إلى مسبح مختلط ، أو مسبح فيه كشف عورات ، هيئ للطالب مسبحًا فيه ثياب إسلامية ثابتة .

مرة أكبر لاعب كرة بعد أن نال مجده الكبير اعتزل اللعب ، واصطلح مع الله عز وجل ، جرت مباراة في مصر دولية وكبيرة جداً ، وهو أفضل لاعب ، هكذا قرأت الخبر ، أنه اتصل به وزير الشباب ، ورجاه أن ينضم إلى الفريق ، فهذا اشترط أن يلبس ثيابًا تحت الركبة ، وافق الوزير ، فسرت هذه كتقليد للاعبي الكرة ، انتهى كشف العورات .

سمعت قصة ثانية أن طيارًا بشركة مصر للطيران تديّن تدينًا شديدًا ، ما سمح لنفسه أن يقود طائرة يوزع فيها خمر ، فقدم استقالته ، فلما نوقش ، ما السبب ؟ قال : أنا لا أطير بطائرة توزع عليها الخمور، يبدو من الطيارين الكبار أنهم احترموا رغبته ، وأعطوه استثناء ، أن كل طائرة يقودها فلان يمنع فيها توزيع الخمور ، ثم استحيوا من أنفسهم فمنعوا الخمور في كل الرحلات ، انظر على إنسان مؤمن وحده يمكن أن يعمل شيئًا ، أول لاعب بالثياب الطويلة ، والطيار مع عدم تقديم الخمور للركاب في الطائرة .

لماذا تخلى ربنا عنا مرة سافرت من دمشق ، أعتقد إلى أبو ظبي على شركة خليجية عددت الركاب الذين لم يشربوا المشروب فكانوا اثني عشر راكبًا في كل الطيارة تخلى هو بالجو تخلى وتحت رحمة

الله يشرب الخمر ، كرة السلة والطائرة والتنس شبيهة بكرة القدم في حكمها ، لا بد من خلوها من المحاذير والمخالفات حتى يحكم بإباحتها .

ألعاب الورق واليانصيب والحظ والنرد كلها من المحرمات شرعاً .

عن بُرَيْدَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((مَنْ لَعِبَ بِالنَّرْدَشِيرِ فَكَأَنَّمَا غَمَسَ يَدَهُ فِي لَحْمِ خِنْزِيرٍ وَدَمِهِ))

[أبو داود]

الرياضات الراقصة قولاً واحداً هي حرام بلا شك ، لا يقبله الإسلام ، وإن سماها الناس فناً ، الرياضة مطلوبة ، وذكرت أدلة كثيرة في هذا الدين العظيم حول ضرورتها ، فضلاً عن إباحتها ، إلا إذا رافقتها معاص وآثام ، فهي محرمة لا لذاتها .

نحن عندنا مصطلح بالفقه ، عندنا شيء محرم لذاته ، أكل لحم الخنزير ، وعندنا شيء محرم لغيره ، دخلت إلى مطعم ، أكلت لحم الضأن ، لكن ما دفعت الثمن ، هذا أيضاً حرام لحم الضأن هل هو حرام ؟ لا ، ليس حرامًا ، لكنه حرام أن تأكل دون أن تدفع الثمن .

قيل لأحدهم : أنت تسكن في بيت مغتصب ، والصلاة فيه لا تجوز ، قال : أنا أصلي في الجامع ليس في البيت .

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية – موضوعات مختلفة في التربية - دروس حوارية - الدرس (04-28) الرياضة-3- ضرر برامج الإطفال على الأطفال

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 19-03-2006

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة وتذكير

أيها الإخوة الكرام ، بدأنا من عدة دروس نسلك أسلوب الحوار مع إخوتنا الكرام ، والحوار كان على عهد النبي عليه الصلاة والسلام ، فلعلنا إذا توصلنا إلى الحقيقة معاً ، وبمشاركةٍ مِن الإخوة الكرام تكون هذه الدروس أعمق أثراً وأطول أمداً .

تحدثت في الدرس الماضي عن الرياضة ، والمؤمن القوي خير وأحب على الله تعالى من المؤمن الضعيف ، وقلتُ : إن الإسلام هو الحياة ، وأن الإنسان في الدنيا مهمته الأولى الأعمال الصالحة ، لأنه حينما يأتيه ملك الموت لا يندم إلا على شيء واحد ،

(حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ)

[سورة المؤمنون : 99 - 100]

إذاً علة وجودنا بعد الإيمان بالله العمل الصالح الذي هو ثمن الجنة ، والإنسان القوي فرصه في العمل الصالح أكثر بكثير من الإنسان الضعيف ، وإذا قلت : القوي أعني القوة العلمية ، وقوة المال ، وقوة الجسم ، وقوة المنصب ، بل إن كلمة قوة وردت في القرآن الكريم بشكل مطلق ، قال تعالى :

(وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً)

[سورة البقرة : 165]

هو تبع شهوته في الدنيا ، وفتنته المرأة ، وفتنه الجمال ، ولو أنه اتصل بالله عز وجل لامتلأ قلبه سعادة أين منها وحول الشهوات .

هناك دعاء بدأت به الدرس : اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات ، وقد تمنّينا عليكم أيها الإخوة الكرام أن يكون هذا الدرس حواراً حول موضوع الرياضة ، فإذا كان ثمة سؤال أو تعليق أو إضافة أو بيان فأنا سأستمع إليها ، ولعلها تنفع الناس جميعاً ، ولكن قبل بدء بالحوار هناك معلومات انتهت إلي البارحة .

أثر مشاهد العنف في برامج الأطفال

لقد كنا في جلسة مع ضيف لهذا البلد من بلد خليجي ، وهو يعنى بشؤون الإعلام ، وقد بين هذا الأخ الكريم الأخطار التي تنتظر الجيل الصاعد من تعلقهم بالشاشة ، البرامج التي تخصص للصغار في كل القنوات إلى أية موضوعات تنتهي ؟

قمة دراسة جادة وعميقة وموضوعية تؤكد أن مشاهد العنف والقتل والذبح وكل أنواع الصراع والتفجير والدماء ، كل مشاهد العنف في كل الشاشات نسبة العنف في برامج الأطفال ما يزيد على خمسة وخمسين بالمئة ، فكل الشاشات خمسة وأربعون ، وبرامج الأطفال التي فيها العنف خمسة وخمسون .

هذا الطفل أيها الإخوة الكرام يتلقى العنف كجزء من حياته ، وكم من طفل ذبح أخاه في دمشق ؟ كم من طفل دفع صديقه أو طالبًا في المدرسة من رأس الدرج فنزل مكسوراً ؟ لأن كل استقبالاته عنف ، وخمسة وخمسون بالمئة من عنف الشاشة مختص بعنف برامج الصغار .

الآن هناك ثمانية وثلاثون بالمئة من مشاهد الجنس في الشاشة لبرامج الأطفال ، وما بقي فهو أنواع من السحر والشعوذة ، وهذا ابنك فلذة كبدك الذي تعلق عليه آمالاً في المستقبل الذي هو امتداد لك ، الذي تسعد بسعادته ، وتشقى بشقائه ، يتغذى كل يوم بالعنف والجنس والسحر والشعوذة ، وقناعة صانعي هذه الأفلام أنه ما لم يكن في الفيلم العنف والجنس والشعوذة والسحر الفيلم فلا يروج ، لذلك ترى ضياع الصغار وتفلتهم بما لا يوصف .

أيها الإخوة الكرام ، نحن على خطر عظيم ، نحن على خطر الضياع ، نحن على خطر فقدان الهوية ، الشيء الذي ذكره الضيف الكريم وهو متخصص في بحث جديد هو صفات القادة ، حيث يقول : هناك اختلافات كثيرة في أكثر موضوعات القيادة ، إلا أن جميع العلماء الذين درسوا هذا الموضوع اتفقوا على أن القائد يعني المتفوق ، والأمة بالمتفوقين ، والمتفوقون هم الذين يقودون الأمة ، المتفوقون في كل الاختصاصات هم الذين يحددون مسار الأمة ، هؤلاء المتفوقون يصنعون حتى السنة السابعة فقط ، وكل القيم التي تريد أن تزرعها في ابنك ، وكل العادات الصالحة التي تتمنى على ابنك أن يكون فيها ، وكل الصفات التي تحب أن تكون في ابنك هذه لا تغرس إلا في سن مبكرة جداً ، إذْ أخطر عمر في التربية هو العمر من السنة الأولى إلى سبع سنوات ، مبادئه ، قيمه ، عاداته الغذائية ، أنماط حياته ، نومه ، استيقاظه ، أداءه لواجباته ، ترتيبه لملابسه ، نظافته ، كل شيء تتمناه من الابن لا يغرس إلا قبل السابعة ، وبعد السابعة فالعوض في سلامته ، وكلما تجاوزنا السابعة بدأت صعوبة كبيرة في تنشئة الابن .

آلمني أشد الألم أن يكون أطفال المسلمين تحت رحمة الأطراف الأخرى المعادية لهذا الدين ، وأنهم يراهنون على أبنائنا ، وأنا أقول لكم : لم يبق ، وأعني ما أقول : لن يبقى من ورقة رابحة في أيدينا إلا أولادنا ، وأولادنا تصنعهم الشاشة بعنفها ، وأنانيتهم من الشاشة ، وإدراكهم الجنسي المبكر جداً من الشاشة ، إيمانهم بالخرافات من الشاشة ، فلذلك أنا أناشد الآباء والمربين في هذا ، وقد كان اللقاء البارحة من أجل تقديم البدائل للصغار ؛ تقديم أشياء إسلامية ، تقديم حديث شريف على شكل عمل فني، تقديم آية على شكل عمل فني ، تقديم قصة تهز مشاعرنا كان وتؤكد قيمنا ، نريد شيئاً نابعًا من إسلامنا كان من مبادئنا كان من قيمنا كان لكن أقول لكم هذا الكلام الدقيق : إننا نحن على خطر كبير إذا تركنا أولادنا لهذه الشاشة ، والكبير أحياناً لا ينتبه ، يقول لك :كرتون ، رسومات ، ما في شيء ، هذه الرسومات عند الصغير تعني كل شيء ، فقضايا الجنس تأتي عن طريق الرسومات ، وقضايا العنف تأتي عن طريق الرسومات .

حدثني قاض صديق عزيز قال لي : والله ثمة جريمة مأخوذة من أفلام بالشاشة ارتكبت لا لشيء إلا للتقليد ، طفل لشدة ما رأى من مشاهد العنف جرب هذا العنف على أخيه الصغير ، وعلى هذا فقس .

لذلك أيها الإخوة الكرام ، هناك كلام نسمعه ، هناك كلام لطيف جداً ، كلام فيه مدح للأمة ، وفيه :
نحن أمة محمد ، ونحن أمة الإسلام ، ونحن أمة الوحيين ، والله ينصرنا ، والله لا يتخلى عنا ، هذا كلام إنشائي ، أما الممارسة اليومية فلا تعني أننا سوف ننتصر ما لم نكن على صحوة كبيرة من أمرننا .

أيها الإخوة الكرام ، مرة ثانية ، ولو تركنا أولادنا لهذه الشاشات والله لا أبالغ كأنك بحثت بجهد جهيد عن إنسان ملحد ، وبحثت بجهد جهيد عن إنسان إباحي ، ورجوتهما أن يربيا أولادك ، من حيث الأفكار والإيديولوجيات والمبادئ هو ملحد ، ومن حيث أنماط السلوك إباحي ، فحينما تسلم أولادك لما يغذى به الصغار على الشاشة فكأنك تسلم أولادك لجهة إلحادية ، ولجهة إباحية ، فانتبهوا ، لم يبق بأيدينا من ورقة رابحة إلا أولادنا ، وأولادنا هم المستقبل ، والذي يبدو من تصرفات الصغار في المدارس وفي مدارس البنات بالذات انحرافات قد لا تصدقوها ، لكنها انتهت إلى علمي انحرافات بين الشباب مما لا يصدق ، هذا بسبب أن الأب بالتعبير الدارج (درويش) ، وما عنده مشكلة ، وهمه أكله ، وراحته الشخصية ، وأولاده أذكياء يمثلون أمامه أنهم صالحون ، وهم على عكس ذلك ، الذي يهمه أن يترك ولداً صالحاً ينفع الناس من بعده يحتاج إلى جهد كبير ، وإذا كان قبل خمسين عاماً تحتاج إلى جهد بسيط كي تربي ابنك فأنت الآن بحاجة إلى جهد مئة ضعف ، السبب أن هناك صوارف كثيرة جداً ، وعقبات كثيرة جداً ، والجو العام فاسد جداً .

لكن أنا أقول لكم : أخطر شيء مثلاً إنشاء بناء يحتاج إلى أربع سنوات أو خمس سنوات ، أما هدمه فالآن بقنابل تهدم الأبنية في ثوان ، الأساسات والخارطات ونسب الأسمنت والهندسة وهندسة المياه

المالحة ، وهندسة الكهرباء ، وهندسة المرافق العامة والتدفئة والتكييف ، والتبريد والبلاط والطلاء ، يهدم البناء في دقائق ، الهدم سريع ، فلذلك مهما بنى الأب من توجيهات لابنه ، ووضع ابنه معه في الدرس ، لكن قد يجد الهدم أسرع وأقوى ، فما لم ننهض جميعاً للعناية بأبنائنا فنحن على خطر عظيم .

المتوقع كما قال الضيف أن هناك الآن مئتين وخمسة وثمانين محطة فضائية عربية ، ومتوقع بعد عام أن يكون خمسمئة وخمسين محطة ، وبعد عدة سنوات خمسة آلاف محطة ، وكلها تبث إلا بعضها القليل السموم لكل الأعمار ، فهذا الجهاز جهاز مخيف ، هذا ينهي حياة المسلمين الأخلاقية ، وينهي حياتهم الدينية .

نعود إلى درسنا الذي وعدناكم أن يكون حواراً ، من عنده مداخلة في موضوع الرياضة ؟

هذه الحقيقة ، ليس العلم في الإسلام هدف بذاته ، لكن العلم في الإسلام وسيلة لهدف ، فإذا جعلناه هدفاً فقد أخطأنا ، لأن العلم ما عمل به ، فإن لم يعمل به فالجهل أولى .

ألقيت درسا في الجامعة حول موضوع متعلق بالقمح ، أن هذه القمحة لها قشرة تساوي تسعة بالمئة من وزنها ، ولها غشاء رقيق آزوتي يساوي ثلاثة بالمئة من وزنها ، ورشيم يساوي أربعة بالمئة من وزنها فالمجموع ستة عشر ، والأربعة وثمانون من وزنها نشاء خالص ، نحن بحكم التقدم الصناعي والحضاري والرفاه نزعنا القشرة عن القمحة ، واكتفينا بالنشاء ، ما الذي يوجد في القشر ؟ ست فيتامينات ، أذكر ثلاثة B1 B2 B3 ، وأعتقد أن B12 موجود ، ستة فيتامينات ماذا يوجد في القشرة؟ كالسيوم لبناء العظام ، وسيلكون للشعر ، وفسفور للدماغ ، وصوديوم ومغنيزيوم ، تقريباً فيه اثنا عشر معدنًا ، وستة فيتامينات في القشرة ، ونحن ننزعها ، ونلقيها للبهائم ، ونكتفي بالنشاء ، أما ما ورد في السنة الشريفة فإن النبي عليه الصلاة والسلام لم يأكل في حياته طحيناً منخولاً أبداً ، وفي بعض الآثار أن أول بدعة ابتدعها المسلمون بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام نخلُ الدقيق ، هذه مقالة لطيفة ، وأفكارها دقيقة وواضحة ، لكن ما لم يترجم هذا الكلام إلى سلوك يومي فلا قيمة لهذا العلم إطلاقاً .

مرة ثانية العلم ما عمل به ، فإن لم يعمل به كان الجهل أولى .

إنّ أيّ قضية نتعلمها إن لم تترجم إلى سلوك فنحن نحتقر العلم ، ونتاجر به ، ونركب موجته ، ولسنا علماء ، من عنده مداخلة ؟

مداخلات حوارية

المداخلة الأولى :

يمكن أن تكون الرياضة من أكثر الفساد في الأرض ، بكشف عورات ، وتفلت ، مباراة فيها ستون ألف قتيل ، المصارعة الحرة محرمة .

التعليق

الحقيقة كما تفضل أخونا الكريم ، محمد إياد دمشقي ـ جزاك الله خيراً ـ أنه ما لم يستقل المسلمون بأنماط حياتهم وفق منهج ربهم فقضيتهم صعبة جداً ، مادام هناك تمازج ، مثلاً ائت بماء صاف عذب زلال ، واخلطه بماء المجاري من يتضرر هل ماء المجاري ؟ الذي يتضرر فقط هو الماء الصافي ، لذلك العالم الآن يشبه خلاط كيف ذلك ؟ قطعة لحم ضأني في زجاجة ماء صافية ، وفاكهة ، وقطعة لحم خنزير ، وخمر ، ولتر مياه مالحة ، وضعناها في خلاط ودار الخلاط ، باعتبار التواصل الإعلامي الشديد وثورة معلومات ، وما يحدث في أيّ مكان في العالم ينتقل إلى كل أمكنة العالم ، فصار هناك تمازج ثقافات .

ثورة المعلومات والفساد الإعلامي

تعليقاً على كلام أخينا الكريم ، أحد الإخوة الكرام المتفوقون في الإنترنت صنع بطاقات إذا استعملها الأخ تحجب عنه كل المواقع السيئة ، هذا إنجاز كبير ، كنت أقول لكم دائماً : نحن قديماً كان الفساد في بلادنا ، وفي بلاد المسلمين يشبه حديقة حيوان تقليدية ، الوحوش في الأقفاص ، والزوار طلقاء ، الآن نحن وضعنا مع الفساد في حديقة حيوان إفريقية ، الوحوش طلقاء ، والزوار إما أن يدخلوا إلى سيارة مصفحة أو يُؤكلون ، التصفيح أعني به التحصين الداخلي ، كان من الممكن أن تحصن ابنك ، مِن منعه من الذهاب إلى السينما ، الآن الفساد في كل مكان ، تكتب كلمة إسلام يخرج موقع إباحي ، تكتب أسماء إسلامية يخرج موقع إباحي ، تفتح الفضائيات فيها شيء لا يستطيع الإنسان أن يراه منفرداً ، فكيف أمام أولاده ؟ وهناك حوادث من الانحراف الخلقي ـ إلى أن وصلنا إلى زنا المحارم ـ لا يعلمها إلا الله ، كلها بسبب هذه الصحون ، وكلما اتسعت على السطوح ضاقت صحون المائدة ، وكلما رخص لحم النساء غلا لحم الضأن ، وكلما قلّ ماء الحياء قلّ ماء السماء .

قال أحدُهم في مؤتمر حضرته : المسلمون استبدلوا كلمة اقرأ بالرقص ، وقد سئل أحد الأدباء : ماذا نأخذ وماذا ندع عن الغربيين ؟ فقال هذا الأديب : نأخذ ما في رؤوسهم ، وندع ما في نفوسهم ، إحساسنا ملكنا ، وإحساسهم ملكهم ، وقال : ثقافة أية أمة ملك البشرية جمعاء ، لأنها بمثابة عسل استخلص من زهرات مختلف الشعوب على مر الأجيال ، لكنه يقول أيضاً : وهل يعقل إذا لدغتنا جماعة من النحل أن نقاطع عسلها ؟ لذلك أنا لا أوافق على المقاطعة للأعمال العلمية ، نقاطع المستهلكات ، وذكرت في ندوة الدخان أن شركة واحدة اسمها (فيليب موريس) أرباحها في اليوم الواحد من العالم الإسلامي ثمانون مليون دولار ، ونصيب إسرائيل منها اثنا عشر مليوناً ، هذه شركة دخان واحدة ، فذلك المقاطعة يجب أن تكون لكل المستهلكات ، قال بعضهم وقد أعجبني كلامه في الدانمارك ، قال : إنكم تملكون حرية التعبير ، ونحن نملك حرية المقاطعة ، فكما أن رؤساءكم لا يستطيعون إجباركم على أن تقولوا شيئاً معيناً ، أنتم أحرار ، لكن نحن أيضاً رؤساؤنا لا يملكون أن يجبرونا على أن نأكل بضاعة دانمركية ، كل إنسان يملك شيئًا ، وفرق كبير بين حرية التعبير وحرية الإهانة ، هذا الذي حصل شيء آخر .

المداخلة الثانية :

يتحدد سلوك الإنسان وفقاً لدوافعه لإشباع حاجات اجتماعية ونفسية لا بد من إشباعها ، كحاجته للحب والتقدير .

التعليق

من أجل ذلك يكرس الفرد نفسه دائماً من أجل تقدير الذات والدفاع عنها ، ومن خلال الإحباطات والصراع الذي يتعرض له الإنسان لعدم القدرة على إشباع حاجاته تهتز صورة ذاته في مرآة نفسه الخاصة ، وتشوه مفهومها ، وهنا يدق ناقوس الخطر ، وينذر بتكوين شخصية إنسانية مضطربة نفسياً ، منحرفة اجتماعياً ، ولجوء بعض الأشخاص بأساليب منحرفة يلجأ إليها الفرد لخفض توتراته من خلال عالم وهمي يحياه من خلال هذه الأساليب ، وتؤكد نتائج البحوث والدراسات عن أهمية الوقاية ، وخاصة الوقاية بالدرجة الأولى التي تستهلك منع المشكلة أصلاً من الحدوث ... وهناك مقولة علينا أن ننتبه إليها ، هي : " العقل السليم في الجسم السليم " ، تلك المقولة تهدينا إلى خير سبيل ....
ميدان الرياضة التنافس الشريف ، والمثابرة ، وقوة التحمل على مواجهة الإحباط .
ميدان الرياضة ميزان القناعة بالفوز والخسارة ، ومواجهة الذات دون الهروب من الواقع .

ميدان الرياضة أشد ميادين الحياة خصوبة لبناء الشخصية الصحيحة ، وقبل ذلك ومع ذلك كله النظر إلى سيرة النبي عليه الصلاة والسلام ممارسة الرياضة بكافة أنواعها ، وعلى كافة مستوياتها ، لذلك نرى ضرورة أن تلتقي أو تلتفت جميع مؤسسات المجتمع إلى الاهتمام بالأنشطة التربوية ، وخاصة الرياضية منها ، ورعاية المتكاملة للنشء والشباب ، ولذلك نكون قد وضعنا أسساً وقواعد جسدية صحيحة ننطلق بها للدعوة إلى الله عز وجل ، وهي الأسمى في حياتنا .

المداخلة الثالثة :

حضرتك تجمعنا على شيء نتعاون به ، ونقدم شيئًا كمسلمين ، لماذا لا يكون عندنا شيء خاص ، نؤسس نوادي رياضية خاصة بالمسلمين لتعليم الرياضة بشكل سليم عقليًّا وجسديًّا ، نحن كمسلمين لا يمكن أن نعطي لأناس مختصين بالرياضة ومختصين بالحالات الرياضية النفسية والجسدية لتأمين نوادي خاصة ، في كل العالم عندهم نوادي خاصة ، نقلد هذه النوادي في أوربا للرياضات المختلفة ، لماذا نحن كمسلمين لا يكون عندنا أيضاً نوادٍ خاصة بنفس الطريقة التي يتعاونوا فيها كأجهزة ، وأن يكون هناك رياضة نفسية وجسدية ، كما علّمنا النبي عليه الصلاة والسلام أن يكون هناك جري وسباحة، هناك رياضة لتقوية الجسد والفكر معاً .

التعليق :

هذا الكلام يعني بالمصطلح الحديث أسْلمة الرياضة ، أن تكون رياضتنا إسلامية ، فأنا جمعت أحكاماً سريعة جداً :

أحكام خاصة بالرياضة

أولاً : لا يرضى الله عز وجل أن يلهو الشباب بالرياضة إلى حد نسيان الواجبات الدينية والواجبات الأخرى ، أنا عبرت عنها في الدرس الماضي ألا تكون الرياضة ديناً يمتص كل اهتمامنا .

ثانياً : ألا نمارس رياضة تؤذي الغير ، هذا مطلق أي أنواع الأذى .

ثالثاً : لا يرضى الله إذا مارسنا الرياضة بالتحزب الممقوت الذي فرق بين الأحبة ، وباعد بين الإخوة، وجعل في الأمة أحزاباً وشيعاً ، ليس على أساس سياسي ، بل على أساس رياضي فقط ، يتقاتلون من أجل فريقين رياضيين مشهورين في مصر .

رابعاً : لا يرضى الله عز وجل أن نوجه الكلمات النابية من فريق إلى فريق .

خامساً : لا يرضى الله بالتصرفات الشاذة التي لا تليق بإنسان له كرامته .

سادسًا : الآن لا يرضى الله عز وجل ، ولا أحكام الدين عن الألعاب الجماعية التي يشترك فيها الجنسان معاً ، هذه ممنوعة أيضاً .

سابعا : ولا يرضى الله عز وجل ، ولا إسلامنا العظيم عن ألعاب تثير الشهوة الجنسية وتحدث الفتنة ، يوجد رياضات مبنية على الرقص وللنساء بالذات .

ثامنًا : ولا يرضى الله عز وجل لجنس أن يزاول الرياضة أمام جنس آخر ، يحدث فتنة ، ولا أن تكشف العورات .

هذه الضوابط إذا طبقناها يكون العقل السليم في الجسم السليم ، ولما يكون الإنسان نشيطاً في جسمه يعطي عطاء كبيرًا .

لا حرمان في الإسلام ، بل كل شيء بضابطه

إذاً : الإسلام ليس فيه حرمان ، أهم نقطة في الدين الإسلام انهه لا حرمان فيه ، لكن فيه تنظيم فقط ، لأن الإنسان مخير ، كل شيء حيادي ، الرياضة حيادية ، يمكن أن تكون أداة فعالة لتقوية الأجسام ، أنا لا أنسى قول النبي عليه الصلاة والسلام حينما توسلا صاحبان أن يبقى راكباً على الناقة ، ويعطياه دورهما في الركوب ، فقال عليه الصلاة والسلام : ما أنتما بأقوى مني على السير ، ولا أنا بأغنى منكما عن الأجر .

لذلك الإسلام فيه حرية حركة مع الضوابط ، من دون ضوابط ـ وهذا عندي تعبير قاسٍ جداً ، هو دابة متفلتة ، لكن مع الضوابط فهناك رياضة إسلامية ، وأدب إسلامي ، وأكثر النشاطات المعاصرة فيها جانب إسلامي ، والإنسان لأنه مخير كان كل شيء حياديًّا ، إما أن يكون سلماً نرقى به أو دركات نهوي بها ، وأعمق شهوة في الإنسان شهوة الجنس ، يمكن أن تمارس هذه الشهوة بأعلى درجات الرقي فيما شرع الله لنا به في الزواج ، هذه قناة نظيفة طاهرة مصيرها أولاد وأصهار ، وأسرة وحياة سعيدة، ومستقبل للزوجة مع زوجها ، وكل ما يجري خارج نطاق الزوجية فهو انحراف .

النقطة الدقيقة أن الناس يتهيبون الدين لتصورهم أو لوهمهم أن فيه حرمانًا ، إنه لا حرمان فيه ، الدين فيه كل شيء ، لكن كل شيء نظيف ، وكل شيء لمصلحة عامة ، وتنتهي حريتك عند بدء حرية الآخرين ، في مداخلة أخرى ؟ تفضل .

فيما يبدو الآن هناك توجّه جديد أن يخصص المسلمون لأشياء كثيرة ، لكن أعجبني البارحة من هذا الإعلامي الذي قال : المجتمع عشرة بالمئة متمسكون بالدين تماماً الآن وعشرة متفلتون تماماً ، أما

الثمانون بالمئة فهم وسط ، لا فيهم تمسك شديد ، ولا انحراف شديد ، هم المعنيون بقناة سيفتحها ، لأنني أريد هذا الإنسان الذي ليس متمسكًا بالدين ، وما عنده انحراف خطير ، هذا نريد أن ننقذه من حالة اللامبالاة ، من حالة التحييد إلى حالة أن ينضم إلى الالتزام بالدين ، وعندي مصطلح جديد تمثلته تماماً، ألا يقولون : هناك ديكتاتورية أساسها القوة والبطش والقتل ، الآن هناك ديكتاتورية إعلامية ، نريد أن نأخذ منك كل شيء ، نقنعك فتعطينا كل شيء ، والإعلام هو السلاح الأول ، مثلاً شخص يؤلف كتاباً ، ويطبع ألف نسخة منه ، يقول لك : إذا بيعت طبعنا طبعة ثانية ألف ثانية ، طبعة ثالثة ، ثم طبعة رابعة، يقول لك : حضر عندي عشرة آلاف في الجامع ، أحياناً يصل مشاهدو هذه القنوات إلى ثلاثين مليونًا أو أربعين مليونًا ، معنى ذلك أن العالم الآن صار أسير هذا الذي يشاهَد ، فإذاً نحن أمام خطر كبير ، هذا الخطر يحتاج إلى صحوة ، وابنك أثمن شيء تملكه ، والله أيها الإخوة الكرام ، لا يمكن لأب أن يسعد إذا شقي ابنه ، ووسائل الشقاء موجودة في كل بيت ، ولذلك انتبهوا أيها الإخوة الكرام ، واحرصوا على أن نلقى الله بقلب سليم .

المداخلة الرابعة :

حكم اللعب بالنرد .

التعليق :

هو محرم ، وكلمات متقاطعة ، وبرجك هذا الأسبوع أيضا .

أولاً : مرّ الشيخ بدر الدين الحسني ـ رحمه الله ، كان شيخ سوريا ـ مرّ أمام مقهى ، فقال : يا سبحان الله ! لو أن الوقت يشترى من هؤلاء لاشتريناه منهم ، والحقيقة أن الإنسان وقت ، وأثمن شيء يملكه هو الوقت ، ورأسماله هو الوقت ، وإدارة الوقت أهم شيء في حياة الإنسان ، هذه الألعاب ، افرض أن ألعابًا ما فيها حرمة ، ففيها تضييع للوقت .

ضربت مرة مثلاً لطالب ، قلت له : أنت عندك فحص بكالوريا الساعة الثامنة صباحاً ، والمادة رياضيات ، وأنت معلقٌ آمالا كبيرة جداً على نجاحك بالشهادة ، ولعلك تختص في الطب ، أو الهندسة ، وهو فرع مرموق في الشام ، قال : طيب ، قلت : خطر في بالك أن تأكل فلافل ، وفي منطقة القصاع بائع فلافل درجة أولى ، وما عندك سيارة ، ستركب أول سيارة ، والثانية ، وترجع تركب مرة ثالثة ، ومرة رابعة ، وحتى وقفت في الدور تحتاج إلى نصف ساعة ، وأكلت الفلافل ، ورجعت ، أذهبت ثلاث ساعات ، فهل أكل الفلافل حرام ؟ قال : لا ، قلت له : في هذه الحالة صار حرامًا ، لأنك

استهلكت ثلاث ساعات أنت في أمسّ الحاجة إليها ، لو تعرف قيمتك في الحياة ، وتعرف رسالتك ، وتعرف هدفك فلا تضيع ثانية في أشياء كثيرة ليس لها معنى .

والله قال لي أخ : هناك ألعاب كومبيوتر لو عاش الإنسان مئتي سنة فعنده كل يوم مئتي لعبة ما لها نهاية بلا طائل ، وكثير من الناس يستفتوني في موضوع مقهى الإنترنت في غير موضوعات الإباحية.

موضوع ثان : استهلاك الوقت : هذه الأمة الشباب فيها هم عمادها ، أنا ذكرت منذ درسين أو ثلاثة أن هذا الذي يموت في سبيل الله والله نصغُر أمامه ، لكن بالمناسبة نحن بحاجة الآن لا إلى شاب يموت في سبيل الله بقدر ما نحتاج إلى شاب يعيش في سبيل الله .

فلذلك موضوع الوقت أخطر شيء في حياتنا ، الوقت وعاء العمل ، وهناك تناقضات في حياتنا ، كنت أقول دائماً كلمة دقيقة : أنا لا أقلق إذا كثر الباطل أو توسع ، أقلق ألا توجد بقعة حق واحدة ، يجب أن تكون هناك بقعة حق وبقعة ضوء لتتنامى ، وأنا أقول : لا تقلق على هذا الدين ، إنه دين الله ، ولكن اقلق ما إذا سمح الله لك أو لم يسمح أن تكون جندياً له ، قال تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ)

[سورة المائدة : 105]

إذا كنتم تعاهدونني ، وأعاهد كل واحد يهتم بشخصه أولاً ، وببيته ثانياً ، وبعمله ثالثاً فقط .

هناك تلبيسات إبليس : أن مئة عمل ، ألف عمل ، مليون عمل تفعله ، ولا تؤاخذ ، ولا تساءل ، ولا تحاسب ، بل يثنى عليك ، يزهدك الشيطان فيه ، وهناك أعمال لا تستطيعها الدول يقحمك فيها ، فنحن عندنا مليون عمل بإمكاننا أن نفعله ، بإمكانك أن تتقن عملك ، بإمكانك أن تربي أولادك ، بإمكانك أن تقدم كل شيء ضمن الحدود المعقولة ، فنحن لو تعاهدنا أن نصلح أنفسنا ، نصلح أسرنا ، نصلح أعمالنا، وأن تكون صادقاً في عملك ، وأن تكون أباً مثالياً ، وأن تربي أولادك ، وأن تهتم بهم ، هذا الذي نريده ، وهذا الشيء عندما يبدأ يتنامى ، ولا تعرف قد يقدر لنا الله عز وجل الخير ، ويقدر لنا أن نكون بوضع آخر إن شاء الله ، والوضع الآن صعب جداً ، لكن يبدو ، وكل محنة وراءها منحة ، ويبدو أنها شدة ، وكل شدة وراءها شدة إلى الله عز وجل .

من أكل التراب فقد أعان على قتل نفسه ، إلى يوم القيامة .

أريد أن أقول كلمة : أولاً كفكرة إجمالية : هل يعقل أن يكون منهج الله عز وجل فيه نقص ؟ مستحيل ، هل فيه زيادة ؟ مستحيل ، هذا إيماننا ، نحن كل شيء نحتاجه موجود في القرآن والسنة ، موجود بشكل نظيف ، وواضح ، وهادف .

والله مرة اضطررت أن ألقي كلمة مطولة في مؤتمر للبيئة ، فراجعت والله الذي وجدته في الإسلام ، في القرآن والسنة من توجيهات للبيئة ، والحفاظ على البيئة ، والله ما وجدته في أي جهة أخرى ،

انتبهت ، لأن هذا منهج الله عز وجل ، موضوع الهواء ، موضوع المياه ، موضوع المزروعات ، هذا كله وارد بتفاصيل حتى لدرجة غير معقولة .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((إِنْ قَامَتْ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ))

[أحمد]

ما هذا ؟ قامت الساعة ، وانتهى كل شيء ، اغرس شجرة ، فلذلك يجب أن تطمئنوا ، نحن لسنا بحاجة للأجانب إطلاقاً ، نحن في ديننا كل شيء ، لكن عندنا عقدة .

طرفة :

صنع أحدهم عطرا على يده ، أحضر (السبيترو) ، ووضع له الليمون ، وبعد سنتين نتج شيء في مستوى رفيع جداً ، فكل ما يعطر إنسان يقول له : ما هذا ؟ يقول له (ليمونز) ، من أين أحضرتها ؟ لو قال لهم : ليمون ، لم تُبَعْ ، لما قال : (ليمونز) بيعت ، فنحن دائماً عندنا عقدة ، تأتي كلمة (برمجة عصبية لغوية) ، والله كل مبادئها عندنا ، تأتي كلمة (رياضة) ، فترى في السنة والقرآن :

(وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ)

[سورة البقرة : 247]

(يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ)

[سورة القصص : 26]

نحن ديننا كامل ، لكن عندنا عقدة ، فكل شيء يأتي من الغرب نحتفل به ، ونعنى به .

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية – موضوعات مختلفة في التربية - دروس حوارية - الدرس (05-28) : الرياضة - 4

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 26-03-2006

بسم الله الرحمن الرحيم

أهمية الحوار وآثاره الإيجابية

أيها الإخوة الكرام ، لازلنا في دروس من نوع جديد ، إنها دروس الحوار ، والحقيقة أن الحوار يترك أثراً بليغاً في نفوس المتحاورين ، لأن الله مع الجماعة ، ويد الله مع الجماعة ، ومن شذ شذّ في النار ، وعليكم بالجماعة ، وإياكم والفرقة ، فإن الشيطان مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعد ، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية .

بعض الفلاسفة يرى أن الحوار يولد أفكاراً جديدة لا يملكها المتحاورون انفرادا .

قبل درسين توضّحتْ معالم موضوعات نحن في أمسّ الحاجة إليها ، انطلاقاً مما يدعى اليوم بفقه الأولويات .

فقه الأولويات

كلكم يعلم أن المسلمين إذا أراد عدوهم أن يفقرهم فاستخراج الثروات ، وتطوير الصناعات ، وإنشاء السدود ، واستصلاح الأراضي ، ورفع مستوى الدخل هو العبادة الأولى ، هذه أولويات .

وإذا أراد الطرف الآخر إضلالهم فترسيخ معالم الدين وتدعيم مبادئه وتعزيز قيمه والرد على خصومه العبادة الأولى .

وإذا أراد الطرف الآخر إفساد المسلمين فتحصين الشباب والشابات وتهيئة مناشط إسلامية تستوعب وقتهم وطاقاتهم هو العبادة الأولى .

وإذا أراد الطرف الآخر إذلال المسلمين فبذل الغالي والرخيص والنفس والنفيس هو العبادة الأولى .

إذاً نحن أمام فقه اسمه فقه الأولويات ، لك أن تسميه أيضاً فقه العصر ، الآن نحن نائمون سنوات طويلة جداً ، ونحن نائمون في ضوء الشمس ، وعدونا أو أعدائنا وما أكثرهم يعملون ليلاً نهاراً في الظلام ، لكن بالتأكيد الذي يعمل في الظلام يسبق النائم في الشمس ، بغفلة من الزمن ملك أعدائنا ناصية الأرض بأسلحتهم الفتاكة ، وتقنيتهم العالية ، فإذا أردنا أن نفهم فقه الأولويات لهذا العصر فيجب أن تتبع

هذه الأولويات من حاجة المسلمين إلى القوة ، ودائماً وأبداً لا تجد مشكلة في العالم إلا بسبب خروج الإنسان عن منهج الله ، واللهُ عز وجل يقول :

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ)

[سورة الأنفال : 60]

منهج الإسلام موضوعيٌّ

الذي وقع أنهم أعدوا لنا ولم نعد لهم ، نحن أعددنا لهم تواكلاً غير صحيح أعددنا لهم سباباً وشتماً ، أعددنا لهم فرقة ، أعددنا لهم بأساً فيما بيننا ، أعددنا لهم تقصيراً ، لذلك هذه الدنيا لها قوانين .

كلمة دقيقة جداً : الآخرة بالعمل الصالح والإيمان ، أما الدنيا فلها قوانين ، من يأخذ بها يتملكها مسلماً كان أو كافرًا .

الشيء المدهش أن الإسلام منهج موضوعي ، ما معنى موضوعي ؟ أنك إذا طبقته ولو لم تكن مؤمنًا به قطفت ثماره ، والحقيقة المؤلمة أنك إذا سافرت إلى بلاد الغرب أو إلى بلاد الشرق كل إيجابيات هذه البلاد إسلامية ، لا عن عبادة له إطلاقاً ، ولكن ذكائهم وتجربتهم قادتهم إلى احترام الإنسان ، والإنسان حينما تعطيه رغيف خبزه وكرامته يعطيك كل شيء .

قلت مرة في ندوة تلفزيونية : أعطِ الإنسان رغيف خبزه وكرامته ، وخذ منه كل شيء ، هذه الحقيقة أدركوها .

من فقه الأولويات الدروس الحوارية

لذلك أيها الإخوة الكرام ، من فقه الأولويات أن يكون الدرس حواراً لا إلقاءً ، وقد تنبع أفكار وتصورات لا تخطر في بالنا جميعاً ، من هذا النموذج من الدرس ، والحقيقة أن الدروس السابقة الأربعة كان النتاج منها طيبًا جداً ، وبعض الملاحظات ذكرتها .

من فقه الأولويات : تقوية الجسم

بدأنا بموضوع تقوية الجسم ، وقد قال تعالى :

(وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ)

[سورة البقرة : 247]

والنبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((المؤمن القوي خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف))

[مسلم]

ولأن مهمتك الأولى في الدنيا أن تقدم لله عملاً صالحاً يكون ثمناً لسعادة أبدية ، والعمل الصالح يحتاج إلى قوة ، كلام دقيق ، القوي متاح له من الأعمال الصالحة مالم يُتَحْ للضعيف ، القوي بمكانه ، والقوي بماله والقوي بعلمه ، متاح له من الأعمال الصالحة ما لم يتح للضعيف .

هناك بلاد تملك ثروات طائلة ، وهناك بلاد تملك ثروات نفطية ، لكن شعبًا مثل الشعب الهندي حقق أرباحًا من البرمجيات تصل إلى ثلاثة وثمانين مليارًا ، وليس عنده نفط ، ولا عنده شيء إطلاقاً من المواد الأولية ، عنده برمجيات علم فقط .

إن بلدًا مثل ماليزيا زرته أخبرنا السفير السوري هناك أن هذا الشعب كان في الغابات قبل خمسة وعشرين عامًا ، وهو عدّ ثلاثة وعشرين مليونًا ، مجموع صادراته على العالم تزيد على صادرات العالم العربي مجتمعاً بما فيه النفط ، وعندهم فائض نقدي يزيد على ستين مليار دولار .

إنّ فقه الأولويات يعني أن نكون أقوياء ، لأن القوي متاح له من العمال الصالحة التي هي علة وجوده مالم يتح للضعيف .

ذكرت في الدرس السابق أنه إذا كان طريق القوة سالكًا وفق منهج الله فيجب أن تكون قوياً ، كلامي دقيق ، إذا كان طريق القوة سالكًا وفق منهج الله يجب أن تكون قوياً ، لأن القوي متاح له من الأعمال الصالحة ما لم يتح لغيره ، القوي بجرة قلم وتوقيع يحق حقاً ، ويبطل باطلاً ، يقر معروفاً ، ويزيل منكراً ، يقرب مخلصاً ناصحاً ، ويبعد فاجراً منافقاً ، فالقوة يجب أن تكون في المؤمن إذا كانت وفق منهج الله ، فإن لم تكن إلا بمعصية الله فمرحباً بالضعف ، والضعف وسام شرف للإنسان ، المؤمن لا يساوم على دينه إطلاقاً ، وذكرت مرات عديدة كيف أن عمر جاءه ملك الغساسنة مسلماً ، فلما هشم أنف رجل من فزارة ، واشتكى له الرجل ، فقال سيدنا عمر : أصحيح ما ادعى هذا الفزاري الجريح ؟ قال جبلة : لست ممن ينكر أو يكتم شيئا ، أنا أدبت الفتى ، أدركت حقي بيدي .

قال سيدنا عمر : لابد من إرضائه ، ما زال ظفرك عالقاً بدمائه ، أو يهشمن الآن أنفك ، وتنال ما فعلته كفك ، فقال جبلة : كيف ذاك يا أمير المؤمنين ، هو سوقة ، وأنا صاحب تاج ، كيف ترضى أن يخرَّ النجم أرضاً ؟ كان وهماً ما جرى في خلدي أنني عندك أقوى وأعزّ ، أنا مرتدٌ إذا أكرهتني ، فقال عمر: عالم نبنيه ، كل صدع فيه بشبا السيف يداوى ، وأعز الناس بالعبد بالصعلوك تساوى .

سيدنا عمر ضحى بملِك ، ولم يضحِّ بمبدأ ، فنحن إذا كان طريق القوة سالكاً وفق منهج الله فيجب أن تكون قوياً ، لأن الأعمال الصالحة المتاحة للقوي ليست متاحة للضعيف ، والأعمال الصالحة المتاحة للغني ليست متاحة للفقير ، والأعمال الصالحة المتاحة للعالم ليست متاحة للجاهل .

أحد الإخوة الكرام تفوق تفوقاً كبيراً جداً في أطفال الأنابيب ، طفل الأنابيب في مجمع البحوث الإسلامية الذي عقد في جدة سمح بحالة من ست حالات ، أن يؤخذ ماء الرجل ، ويوضع في أنبوب ، ثم يوضع في رحم زوجته ، هذا شيء مسموح به شرعاً ، وهناك خمس حالات مرفوضة ، فهذا الأخ بتفوقه في العلم حلَّ مشاكل أسر كثيرة جداً .

أحيانا يكون الوفاق عاليًا بين الزوجين ، لكن ليس لديهما أولاد ، والمشكلة مربكة ومحرجة ، فتمكن إنسان بتفوقه العلمي أن يرمم مئات الأسر التي كانت على وشك الانهيار بعدم إنجاب الأطفال ، العلم قوة ، والمال قوة ، يجب أن تكون قوياً وفق منهج الله ، وإلا كان الضعف وسام شرف لك ، هذا مبدأ .

إنّ من فقه الأولويات أن نكون أقوياء ، ولنبدأ بقوة أجسامنا ، ذكرت خبرًا أن مجموع الضرائب التي تحصلها البلاد الغربية من تجارة تصنيع الدخان أقلّ بكثير من الأموال الطائلة التي تنفق من أجل معالجة أمراض المدخنين .

مرة التقينا بمندوب شركة هولندي ، فذكر لي فكرة لفتت نظري ، قال لي : نحن إذا نرشح مرتين في العام نخسر عملنا ، معنى ذلك انه لا يعتني بصحته ، معنى ذلك أنه عطل العمل أربع أيام في أربعة أيام، العناية بالصحة أنا أقول : جزء من الدين ، لأن صحتك قوامك ، وقوام عملك ، وقوام حركتك ، وقوام عطاءك ، وقوام طلبك للعلم .

هناك وهم ذكرناه سابقاً ، أن الإنسان أحياناً يظن أن الرياضة تطيل العمر ، أبداً ، العمر محدود ، لكن هناك فرق كبير بين أن تمضي هذا العمر واقفاً متحركاً نشيطاً معطاءً فعالاً ، وبين أن تمضي الثلاثين سنة المتبقية طريح الفراش ، المعنى دقيق جداً ، أنا أتمنى أن أمكَّن من توضيحه :

حينما تحترم قوانين ربك فأنت عابد ، وحينما لا تعبأ بها فأنت غير عابد ، قلت : القوانين ، ومن هذه القوانين قوانين الجسم ، والناس بسذاجة يتوهمون أن المرض مقدّر لا بد منه ، من قال لك : إن المرض ليس له أسباب ؟ إذا تلافى الإنسان أسباب المرض فأغلب الظن مكافأة له الله يمنحه الصحة .

أنا يؤلمني أشد الإيلام أن تجد مسلمًا لا يعبأ بتوجيهات الأطباء ، ولا بتوجيهات الاختصاصيين ، يقول لك : كُلْ وَسَمِّ ، لا يضر مع اسمه شيء ، ولا يعبأ بالحركة إطلاقاً ، تراه لا يتحرك ، تراه في سن مبكرة بأزمات واحتشاء وجلطات ، وآلام ، وتنهار الأسر بهذا التقصير ، فأنا خطر في بالي أنه لا بد أن أفرق بين القضاء والقدر و جزاء التقصير .

هل تستطيع أن تقول لطالب لم ينجح لأنه لم يدرس : هذا قضاء الله وقدره ؟ هل تستطيع أن تقول لطالب لم ينجح لأنه لم يدرس : هكذا ترتيب سيدك ؟ هكذا الله يريد ؟ هذه اسمها زعبرة وتلبسة ، ما نجحت لأنك لم تدرس ، أما لما يدرس الإنسان إلى أقصى درجة ، وفي يوم الامتحان يصاب بحادث قاهر ، أو مرض مفاجئ فهذا قضاء وقدر ، وهناك فرق بين القضاء وقدر وجزاء التقصير .

لما يكون مأخذ الكهرباء في الحمام مكشوفًا ، والحمام بتيار مئتين وعشرين ، هذا تيار قاتل ، فإذا وضع طفلك الصغير ـ لا سمح الله ولا قدر ـ يده على المأخذ ، وكان في الأرض ماء يفقد حياته ، لا تقل : سبحان الله ! مات بأجله ، قل : أنا قصرت ، أنت حينما تأخذ بالأسباب الذي يأتي بعد الأخذ بها قضاء وقدر .

يمكن للرياضي أن يمرض ، هذا قضاء وقدر ، لكن لما نقول : فلان أهمل صحته إلى أقصى درجة ، أهمل غذاءه ، أهمل حركته ، أهمل نوع غذاءه ، فهذا تقصير منه .

بالمناسبة أيها الإخوة الكرام ، إن شاء الله في دروس قادمة نتحدث عن التغذية ، وأفضل أنواع الغذاء هو أرخصها .

اتفقنا أن يكون عملنا أو موضوع حوارنا في هذا اليوم عن الرياضة ، وأنا عندي تحفظات كبيرة جداً وضعتها بين أيديكم في الدرس الماضي :

أنا أرفض أشد الرفض أن تكون الرياضة ديناً ، الرياضة وسيلة ، وليست غاية ، أما حينما تغدو غاية، وتغدو ديناً ، وتغدو محط نزاع ، ومحط تراشق تهم ، ومحط معصية ، ومحط كشف عورات ، ومحط اختلاط وإثم ، ومحط إبراز مفاتن المرأة ، ومحط الاختلاط بين النساء والرجال ، هذه مرفوضة ، أما أن يكون جسمك قوياً ذا لياقة عالية ، فهذا من الدين ، ولا أنسى قول النبي عليه الصلاة والسلام حينما قال لصاحبيه :

((ما أنتما بأقوى مني على السير ، و لا أنا بأغنى منكم عن الأجر))

[أحمد]

والكلمة التي قلتها في الدرس الماضي تركت أثرًا كبيرًا فيما بلغني ، أن كلمة طموحات التي تطمح إليها في ابنك تحبه أن يكون أمينًا صادقًا نظيفًا مرتبًا أنيقًا ، تحب أن تكون مواعيده دقيقة ، يعتني بأسنانه فرضاً ، يعتني بمواعيده ، كل هذا الذي تطمح إليه لا يرسخ فيه إلا في السنوات السبع الأولى ، وبعد هذا السن الأمر صعب جداً ، هذا كلام للآباء ، أو لمن سيكونون بعد حين آباء ، الأبوة رسالة ، الأبوة أمانة ، الأبوة رسالة لأنك إذا كانت عينك قريرة بابنك فأنت أسعد الناس ، وإن لم تكن كذلك فهناك آلام لا تحتمل ، واللهُ عز وجل أثنى على الذين يعتنون بأولادهم على شكل دعاء فقال تعالى :

(وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً)

[سورة الفرقان: 74]

مداخلات متعلقة بالرياضة في هذا الدرس الأخير ؟ إذا لكم مداخلة قصيرة ومعدة سابقاً شفهياً أو كتابياً.

مداخلة أولى عن المشي

التعليق :

لي تعليق ، هناك مشي اسمه مشي التسوق ، هذا لا يفيد إطلاقاً ، بطء شديد ، لكن المشي الذي تفضل به أخوكم الكريم ، هو مشي جاد ، والعلامة بالضبط للمشي بجد : إن كان نبضك مئة وعشرين فهذا مشي جيد ، أما على الثمانين فهذا مشي غير مفيد ، مشي التسوق لا أعتقد أنه يحقق الهدف الذي تكلم عنه الأخ الكريم ، مشي فيه شيء من الجهد ، هذه واحدة .

الرياضة الجماعية أنفع وأنشط

لكن سبحان الله ، قضية الجماعة : لما تصلي جماعة ترى في نفسك نشاطًا ، وإذا كان ثمة اتفاق فيجتمع الناس بجامع فهذا باعث على المجيء إلى المسجد .

أنا سوف أنصحكم نصيحة أساسية : من الصعب للإنسان أن يمارس وحده الرياضة ، يملّ ، والإنسان أميل إلى الراحة ، أميل إلى الاسترخاء ، أميل للاعتذار ، أما إذا اتفقت مجموعة على أن يمشوا خمسة عشرة لا خمسة فقط بموعد رسمي فهذه الجماعة رحمة ، مثل الصلاة تماماً ، الجماعة في كل شيء رحمة ، فأنا أفضل إذا كانت بيوت بعض الإخوة متقاربة ، أو أعمالهم متقاربة ، واتفقوا إذا مشوا بالحديث ، قد يكون الحديث ممتعًا جداً ، قد تنقلب الرياضة إلى عبادة ، لو أنك كنتَ وحدك تمشي يمكن أن تقرأ القرآن الكريم ، إذا كنت وحدك يمكن أن تسمع القرآن ، وكثير من الأجهزة صغيرة جداً تسمع أرقى القراء كل يوم ساعة .

التقيت مع طبيب قال لي : أنا لي ساعة مشي ، ومعي قرآن (ديجتال) ، أسمع في هذه الساعة سورتين أو ثلاثًا أتأمل فيها .

يمكن أن تمارس نشاطًا مزدوجًا ، مشي وسماع القرآن ، مشي وذكر ، مشي وتفكر ، مشي وقراءة للذي عنده قدرة على القراءة ، يمكن أن يمشي ويقرأ ، مشي وحديث عن الله عز وجل ، مشي وذكر ، دائماً الوقت أثمن شيء في حياتنا ، أحياناً يقال لك : فلان ضرب عصفورين بحجر ، يعدون هذا ذكيًّا

جداً ، أيضاً إذا استطاع الإنسان ضمن الرياضة أن يمارس عبادة التفكر والذكر والدعاء والابتهال والمناجاة وقراءة القرآن والحديث عن الله عز وجل فهذا أفضل .

والله أحياناً جلسات الرياضة الصباحية فيها تجلٍّ عجيب جداً ، تجلٍّ ديني ، ترى التألق ، طرحت أفكار رائعة جداً ، مع تبادل خبرات ، وتبادل أحوال .

أحياناً يتأثر الإنسان جداً بآية أو بحديث طرحه لإخوانه ، إخوانه تأثروا به ، هذا في أثناء المشي ، الرياضة تحتاج إلى مشي جاد أولاً ، وإلاّ فهناك رياضة اسمها تسوق ، هذه أثرها ضعيف ، وهناك كتاب لبعض الآباء فيه معايير دقيقة للرياضة .

لها تعبير عامي : يا تمشي يا تمشي ، إما أن تمشي ، وإما أن تمشي ، هذا جناس ناقص ، تفضل .

مداخلة ثانية :

شكراً جزيلاً ، أنا حدثني طبيب قلب أن الإنسان إذا خدم نفسه في بيته فهذا حد أدنى من الرياضة .

التعليق :

لكن أحد إخواننا بعد أن تكلم أخونا الكريم له اعتراض ، أحيانا المشي في الشوارع المزدحمة مع وجود غاز عوادم السيارات وثاني أوكسيد الكربون قد يكون الأفضل منه المشي بمكان نشيط في شوارع خارجية حيث التلوث فيها قليل ، وهذا ملاحظة جميلة جداً .

أخونا الكريم قال : نقتطع وقتًا للرياضة ، أنا معه ، لكن أحياناً يكون ضغط العمل وأعباء كبيرة على الإنسان لا يستطيع أن يقتطع وقتًا للرياضة ، يمكن أن يقوم بحركة من بيته إلى عمله إذا كان طريق بيته إلى عمله في شوارع معقولة ، أقول : معقولة ، ليست جيدة ، يمكن أن يكون ذهابه إلى عمله مشيًا، كما تفضل أخونا ، من ثلاث إلى أربع ساعات أسبوعياً ، والإنسان يمشي بالساعة خمسة كيلو مترات ، فإذا سار كل يوم اثنين كيلو مترًا يمشي ست ساعات عدا الجمعة ، ستة ضرب اثنين أو ثلاثة أيام ، يمشي ، و يرتاح يومًا ، على كل لا بد من الحركة تفضل .

مداخلة ثالثة :

ما معنى رياضة داخلية ؟ ضمن البيت .

التعليق :

رياضة نفسية ، سبحان الله ! القلب ينبض ، النبض ثمانون في الدقيقة ، وللدم سرعة معينة ، ولما ينام الإنسان يسترخي فيهبط نبض القلب أحياناً إلى الستين أو خمسة وخمسين ، ولما يضعف النبض تقلّ النبضات بالدقيقة ، يمشي الدم ببطء شديد ، ومع حركة الدم البطيئة تترسب المواد العالقة بالدم على جدر الأوعية ، لذلك الذي كتب هذه المقالة في هذا الموضوع ينصح بقطع النوم بعد أربع ساعات ، وإجراء بعض التمارين لربع ساعة ، ثم يعود وينام ، قلت : سبحان الله ! هي صلاة الفجر ، وعنوان المقالات " النوم المديد " ، النوم المستمر مؤذٍ جداً ، لأن القلب يضعف نبضه ، والدم تبطؤ حركته ، و قد تترسب المواد العالقة بالدم في الجدران ، فالأولى بالإنسان أن يقطع نومه .

المقالة : إما أن نجري تمرينات رياضية ، أو أن يمشي ربع ساعة ، نمشي إلى المسجد أو نقوم بحركات الصلاة ، هذا يحقق عدم استمرار النوم .

مداخلة رابعة : استعمال الأجهزة الرياضية :

التعليق :

هذا مفيد جداً ، لكنه مملّ ، أنا عندي بعض الأجهزة لا أستخدمها أبداً ، لأنها مملة ، ولأنه مشي غير طبيعي ، هو مشي على شريط أو دراجة ، تمشي بالهواء الطلق ، لذلك في بعض الرياضات في أوربا يعتني بحديقته رياضة ، والحقيقة أن أرقى أنواع الرياضات الرياضة الهادفة ، يقوم بعمل مجهد هادف، فأصبحت الرياضة وسيلة .

مداخلة خامسة : الطب في الإسلام

التعليق :

موضوع الطب في الإسلام :

هناك أربعة أنواع من الطب .

هذا أول نوع ، الطب الطبيعي ، لما كان النبي عليه الصلاة والسلام مع أصحابه في سفر ، وأرادوا أن يعالجوا شاة قال أحدهم : علي ذبحها ، وقال الثاني : علي سلخها ، وقال الثالث : علي طبخها ، فقال عليه الصلاة والسلام : علي جمع الحطب ، قال : نكفيك ذلك ، قال : أعلم أنكم تكفونني ، لكن الله يكره أن يرى عبده متميزاً على خلقه ، من ناحية إيمانية ، من ناحية أخلاقية ، من ناحية ذوقية ، ومن ناحية رياضية .

بذل الجهد : أحياناً تجد بناء فيه من كبراء القوم ، وفي هذا البناء خادم ، لو فحصت جسم هذا الخادم فهو أصح مِن كل مَن في البناء جهداً ، لأن العطاء الإلهي ثابت ، أنت تتلقى جهد الآخرين ، فيك كوليسترول ، والتهاب مفاصل ، وأسيد أوريك ، وشحوم ثلاثية ، تتلقى جهود الآخرين ، ولما تخدم الآخرين تحرق كل الغذاء الذي أكلته ، فصار الجسم قويًّا ، فكأن الله عز وجل أعطى كل إنسان مئة علامة ، الخادم عنده تسعون علامة ، نشاط ، وقوة أجهزة ، وقلب نبضه جيد ، وأوعية مفتوحة كلها .

تفحص إنسانًا يبذل جهدًا كبيرًا شيء غير معقول ، والكبراء الذين يتلقون جهود الآخرين عندهم عِلل لا يعلمها إلا الله ، فكأن المجموع ثابت ، فالنبي كان يمارس الطب الطبيعي .

ويوجد الطب النفسي ، وهو التوحيد ، والطب الوقائي ، والطب العلاجي ، لكن أكثر نقطة دقيقة أقدمها لكم أن مؤتمرًا عقد في بريطانيا في أمراض القلب ، وهو مؤتمر قديم ، لكن ذكروا شيئين عجيبين غريبين ، ما سر صحة السلف الصالح ، وما سر المرض المستشري في العالم الحديث ؟ فتوصلوا إلى نقطتين :

السلف الصالح حياته خشنة ، كانت فيها أعباء ، وجهد عضلي كبير جداً ، وراحة نفسية ، وطيب ، وإيمان ، ومحبة ، وتواضع ، وكانت الحياة بسيطة ، لما تقتني آلة غالية جداً ، وابنك لا سمح الله يسيء إليها ، أو يعطبها ، وأنت دفعتَ ثمنها ، وهي بالتقسيط ، يمكن أن تنفجر على ابنك ، وتضربه ضربًا مبرحًا فيصير معه عاهة دائمة ، السبب هذه الآلة ، وأنا أقول لكم هذه الكلمة ، والحقيقة أخطر كلمة :

هذا مجتمع الاستهلاك ، مجتمع الاستهلاك الأغنياء في أي مكان في العالم خمسة بالمئة ، والخط العريض تسعون بالمئة وسط ، لعل إنفاقه يساوي دخله ، ولما يشتكي إنسان لي أن دخله لا يوجد شيء زائد ، ولكن الحمد لله مستور ، أقول له من باب الدعابة : أصابتك دعوة النبي عليه الصلاة والسلام ، هو يتألم من هذه الكلمة ، ماذا دعا علي النبي ؟ أقول له : يقول عليه الصلاة والسلام :

((اللهم من أحبني فاجعل رزقه كفافاً))

كفافًا لا يعني أنه فقير ، هو مكتفٍ ، مصروفه بقدر دخله ، لكن حينما يعرف الإنسان حقيقة الحياة الدنيا يعترف بكل شيء ، لذلك قالوا : خذ من الدنيا ما شئت ، وخذ بقدرها هماً ، فالسلف الصالح حياتهم خشنة ، نحن نشأنا بالأربعينات والخمسينات ما كان الغسيل إلا يدويًّا ، والخبز والطبخ على كانون وحطب ، وتنظيف الطناجر شيء صعب جداً ، والبيت عربي ، وأدراج ، ما كان ثمة أزرار ، كله يدوي ، الآن كله بالأزرار ، لكن هناك فراغ مميت ، أصبحت الزوجة عبئًا على الزوج ، فارغة ، ما عندها شيء ، فينبع من يدها المشاكل .

جاء إنسان إلى بائع محاصيل ، قال له : أريد كيلوين من العدس ، و كيلوين من الحمص ، وكيلو برغل ، قال له : على عيني ، قال : اخلطها كلها معاً ، قال : لماذا ، قال : أريد أن أشغل زوجتي بالتنقية حتى يشغلها .

كل شيء جاهز الآن ، فصار الوضع صعبًا جداً ، والإنسان إن لم تشغله بالخير شغلك بالشر ، وسبب شيوع الأمراض الآن عكس شدة نفسية مخيفة ، قلق ، خوف ، ضغوط ، حصار ، أسلحة ، ارتفاع أسعار ، ارتفاع الدولار ، ارتفاع المشتقات النفطية ، دخول قليلة ، شركات احتكارية ، بضاعة استوردت تنافس بضاعة وطنية ، توقف البيع ، هذا شيء واضح جداً ، هناك ضغوط نفسية عالية جداً ، وكسل عضلي ، كل شيء جاهز ، الكسل العضلي زائد الشدة النفسية وراء جميع الأمراض ، والتعب العضلي زائد الراحة النفسية وراء الصحة كلها ، لذلك مرة أحد إخواننا الكرام كان مع طبيب قلب ، وأحبوا أن يأكلوا : اللحم ، طبيب القلب الذي كان يحرم الدهن على المرضى طلب قطعة دهن ، والثانية والثالثة مع اللحم ، فصديقه تعجب ، قال له : معقول ؟ قال : ثلاث قطع دهن ولا هزة بدن واحدة ، أهون من هزة بدن ، لأن الشدة النفسية قاتلة ، وقال تعالى :

(قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ)

[سورة آل عمران : 119]

دواء الشِّدة النفسية

إن كثيرًا من الناس يصيبهم مرض ، عضال مرض خبيث من خبر سيئ ، لأن الخبر السيئ يضعف جهاز المناعة ، أنت أخطر جهاز في حياتك هو جهاز المناعة المكتسب ، هذا الذي يتولى محاربة جميع الأمراض الجرثومية والإنتانية ، والخوف والحقد يضعفان هذا الجهاز ، وحياتنا فيها تمزق ، فيها شدة نفسية عالية ، لذلك الآن ما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد .

أيها الإخوة الكرام ، دواء الشدة النفسية التوحيد ، لنا إله عظيم بيده كل شيء ، ما أسلمنا إلى غيره .

(وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)

[سورة البقرة : 216]

(وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ)

[سورة هود : 123]

(مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ)

[سورة فاطر: 2]

التوحيد يمتص كل الحقد ، وكل القلق ، وكل الهم ، وكل الحزن ، لأن الإيمان بالقضاء والقدر يذهب الهم والحزن ، فعلاج الشدة النفسية التوحيد ، وعلاج الكسل العضلي الرياضة .

نحن دخلنا في هذا الموضوع من باب إذا كان عند إنسان حديقة ، واعتنى بها يكون قد حقق هدفين ، إذا كان عنده أشياء يجب أن يرتبها ، وبذل جهدًا كبيرًا فيها فهذه رياضة أيضاً ، ويكون حقق هدفًا نفعيًّا، وحقق هدفًا صحيًّا ، أما الرياضة من دون هدف فحركة مملة .

إن من الصعب جدا لإنسان وحده أن يمارس الرياضة ، ولابد من جماعة رياضية على ألا تكون ديناً ، وعلى ألا يداخلها معصية .

مداخلة سادسة :

إذا كان القميص الداخلي امتلأ بالعرق يكتفى بغسله بالماء فقط ، وينشر من جهته الداخلية ، بارك الله فيكم .

التعليق :

هناك طُرَف معاكسة ، دائماً الإنسان عنده فكر ، وعنده فكر وقاد ، وعنده تعليقات ساخرة ، هناك طرفة معاكسة :

قال أحدهم : أنا هوايتي المفضلة أن أمشي في جنائز الرياضيين ، وقال آخر : ديناصور وضع يده على ديناصورة ، قالت له : أبعد يدك ، قال : من حيونتك انقرضنا .

هذه طرف معاكسة للذي ندعو إليه .

معلوماتي أنا في هذا الموضوع أن في مكان ثقوب الأوزون ارتفعت النسبة إلى السبعين بالمئة ، مكان ثقوب الأزون يسبب نسب سرطان جلد سبعين بالمئة ، لذلك الحضارة الحديثة لها منظر ممتع ، لكن في الحقيقة فيها أشياء متعبة .

أحد أصدقائي كان في أمريكا سمع ندوة علمية ، ملخصها أن السيارة تجلب للإنسان أمراض القلب والكبد والكليتين ، وركوب الحصان ينفي عن الإنسان أمراض الكبد والكليتين ، تفضل .

مداخلة سابعة :

سبحان الله ! ذهبت مريضة إلى رومانيا لتعالج من مرض الشقيقة ، فالطبيب هناك ملحد ، قال لها : هل أنت مسلمة ؟ قالت له : نعم ، قال لها : صلّ تذهب عنك الشقيقة ، فغضبت أشد الغضب ، قالت له : جئتك من بلاد بعيدة ، وتكلفت نفقات كبيرة كي تقول لي : صلّ فأجابها : إن السجود من لوازمه أن الدم يتوجه إلى الرأس ، فتتوسع الأوعية ، وتزداد التروية ، وبعض أسباب الشقيقة نقص تروية في أوعية الدماغ فلذلك نحن نصلي ، لأنها عبادة ، لكن كما قلت قبل قليل : إن إنسانا يقول لك : ضربت عصفورين بحجر ، الله عز وجل في تشريعه مليون هدف بأمر واحد ، وأيضاً لما أجروا تمرينات رياضية أرادوا وضع تمرينات للصغار والكبار والذكور والإناث بكل الأعمار والأوقات ، جاءت هذه التمرينات كالصلاة تماماً .

أنا أعتقد الآن أن الذي يمارس الرياضة محترم ، عند الكبر جبة حمراء ، مرة شاهد ملك مباراة كرة قدم ، ظن أنهم يتنافسون على الكرة ، فأمر لكل لاعب كرة .

مقدمة تمهيدية لموضوع التغذية

إن شاء الله ننتقل إلى موضوع ثانٍ الأسبوع القادم ، وندخل في التغذية .

الآن هناك معلومات دقيقة أنه ما مِن إنسان معه المعلومات كلها ، كل واحد معه جزء منها ، فإذا صار تبادل خبرات يكون التعاون أيضاً ، قال تعالى :

(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)

[سورة المائدة : 2]

وقد يكون الأخوان مختصين باختصاص معين معهم معلومات دقيقة جداً ، الأخ قال لنا : موضوع المنظفات أنا معي معلومات أن كوشوك السيارات مع احتكاكه بالزفت يصنع مادة مسرطنة ، وكوشوك ثمنه خمسون ضعفا هذا غير مسرطن ، نحن حياتنا كما قال تعالى :

(الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ)

[سورة الشعراء]

بعض المفسرين قالوا أدباً ، أنا قناعتي معنى دقيق : المرض أساسه من الإنسان لمخالفة الواحد الديان، إما مخالفة إرادية فردية ، أو خطأ بالعصر كله ، إذا كان شعب كل أكله معلبات ومواد حافظة مسرطنة، ومعامل تتساهل بالكميات ، وإذا شعب كل أكله زيوت مهدرجة مثلاً ، أنت لما تنتبه أنه للتصدير فقط فهذه الكلمة خطيرة ، هذه العبوة ممنوع بيعها في بلد المنشأ .

حدثني أخ طبيب أن دواء يستخدمه أهله بكميات كبيرة ، يبدو أنهم انتفعوا به ، فذهب إلى ألمانيا وأوصوه أن يشتري هذا الدواء ، أول صيدلية ، الثانية ، الثالثة ، بعد ذلك اضطرب ، لما شاهده صيدلي اضطرب أدخله إلى مكان أعمق بالصيدلية ، وفتح الكومبيوتر ، وخرج اسم الدواء ، وقال له هذا ، هذا فقط للتصدير للشرق الأوسط . مرة كنت في أمريكا ، وأحد إخواننا الكرام يعمل في شركة أدوية عملاقة مشهورة جداً ، هناك طبخة فسدت خطأ ، والطبخة بالملايين ، يقول مدير المبيعات ، ولا يعلم أن هذا الذي يسمعه من بلادنا ، قال لهم : ما من مشكلة ، نبيعها للشرق الأوسط .

وحدثتكم من يومين أن أوراق التبغ بأوربا وأمريكا يأخذون منها الشوائب ، ذنب الورقة ، ورقة معسقلة ، هذه الشوائب كلها يجمعونها ، ويصنعونها دخان للشرق الأوسط ، نسب النيكوتين فيه عشرة أمثال ، والسعر نفسه ، إنهم يعتمدون على جهلنا ، ويعتمدون على سذاجتنا ، لذلك هذه صحتنا رأس مالنا ، والأمة بشبابها وشبابها ، والشباب معقد الأمل ، والشباب بصحتهم ، أما إذا فتكت الأمراض بالأمة فالمشكلة كبيرة جداً ، الطاقة العاملة توقفت ، فأنا أرى من العبادة أن نعتني بصحتنا ، ولا تكون الرياضة دينا كما قلت ، أن تكون وسيلة ليكون الإنسان قوياً في جسمه .

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية – موضوعات مختلفة في التربية - دروس حوارية - الدرس (06-28) : الرياضة - 5

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2006-04-02

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة تذكيرية

أيها الإخوة الكرام ، جرينا على أسلوب الحوار في هذا اللقاء في درس الأحد ، وفي بدايات هذه الدروس تحاورنا في الموضوعات الحيوية التي يمكن أن ينتفع بها المسلم ، ذلك لأن الأمة كما هي بحاجة ماسة إلى أناس يموتون من أجلها ، ونحن إذا سمعنا أخبارهم نتضاءل أمامهم ، لكننا أيضاً بحاجة ماسة إلى أناس يعيشون في سبيل أمتهم ، يعيشون في سبيل الحق ، كما أنه ينبغي أن يكون هناك أناس يضحون بالغالي والرخيص ، والنفس والنفيس من أجل الحقيقة التي آمنوا بها ، ومن أجل دين الله الذي اعتنقوه وأحبوه ، نحن بحاجة ماسة إلى أناس يعيشون في سبيل الله ، وإلى أناس يعيشون في سبيل الله .

وطرحت موضوعات كثيرة كان في مقدمتها تربية الأولاد في الإسلام ، وموضوع العلاقات الزوجية ، وموضوع التغذية ، وموضوع الرياضة ، موضوع إدارة الوقت ، موضوع فريق العمل ، وموضوع البرمجة اللغوية العصبية ، وهذه كلها وسائل قوي بها أعداؤنا وفرضوا على العالم هيمنتهم وثقافتهم ، بل وفسقهم وفجورهم ، فلا سبيل إلى مقاومة هذه العولمة المدعمة بالقوة إلا أن نواجه الطرف الآخر بقوة مماثلة ، فلا بد من بناء أنفسنا .

وأمضينا لقاءين في موضوع الرياضة ، ووصلنا إلى أن الرياضة لا ينبغي أن تكون ديناً ، ولا ينبغي أن يسمح أن يرافقها معصية وإثم بين المتباريين ، وبينت الألعاب التي هي جائزة في الأصل ، والألعاب التي فيها كشف عورات ، وفيها أذىً للطرف الآخر ، وكيف أنها محرمة ، وكانت النية أن ننهي موضوع الرياضة في الدرس السابق ، ولكن لنا أخ كريم له باع طويل في موضوع الرياضة ، ويتمتع بلياقة صحية عالية ، لأنه من ثلاثين عاماً فيما أعلم ما ترك الرياضة يوماً واحداً ، وثمار الرياضة عنده واضحة جداً ، فعزمت عليه في الدرس الماضي أن يتحفنا ببعض مداخلاته في موضوع الرياضة .

المداخلة الأولى :

بالنسبة للرياضة ، كثير من الناس يحبون أن يمارسوا الرياضة ، لكن لا يعرفون أين ، و لا يعرفون شيئاً ، والذي يريد أن يمارس الرياضة يمنّي حاله ، ويقول : إن شاء الله من السبت أبداً ، يأتي السبت ولا يخرج .

هلك المسوفون .

أول فكرة ، يأتي أول الشهر ، أيضاً لا يخرج إلى الرياضة ، الذي يريد أن يمارس رياضة يجب أن يربطها بشيء ، يربطها بصلاة الصبح ، صلاة الفجر هي فرض ، يخرج من الصلاة ليمارس الرياضة، أفضل وقت للرياضة هي بعد صلاة الفجر مباشرة لصلاة الضحى ، هذا الوقت الجو فيه نظيف وهادئ ووقت ميت لا بيع فيه ولا شراء ، ولا عمل .

من فوائد الرياضة

أولاً : هي ضد الكآبة .

ثانياً : ضد الإمساك ، الجسم أهم مرض له هو الإمساك ، والبطن منبع الأمراض ، والذي يمارس الرياضة لا يعرف الإمساك ، ولا يعرف الشحوم والترهلات .

ثالثا : من إيجابيات الرياضة أنها تنظم الوقت .

رابعا : الذي يأتي من الرياضة يأتي نشيطاً وسعيداً ، وبعد الرياضة يشعر بسعادة ما بعدها سعادة ، لأن هرمونًا في الجسم اسمه هرمون السعادة ، هذا يفرز بعد الرياضة ، وفي أثناء التعرق يطرح الجسم كل هذه السموم ، وكل هذه الميكروبات التي تتجمع كلها في الجسم فيفرزها بعد التعرق .

إن الرياضة قد أشبعها الأطباء كلاماً بالنسبة للشحوم الثلاثية ، الكولسترول ، والترهلات ... فنحن نتكلم عن إيجابياتها النفسية ، إذا كان للشخص مشكلة في البيت ، أو في عمله ، يحلها دون عناء ، هذه يقولون لها : الروح الرياضية ، الرياضي لا يغضب مثل غيره ، إذا وُضِع اثنان ، أحدهم رياضي ، والثاني عادي ، فموقف الرياضي لا يستثار ، فوراً تجد روحه رياضية ، هذا أفضل شيء أعرفه بالنسبة للرياضة ، وأشكر سيدي الدكتور راتب أن سمح لي أن أتكلم ، وأنا من غير أهل للكلام .

التعليق الأول :

لكن لفتت نظري صباحاً كلمة تركت في نفسي أثراً كبيراً ، أقسم لي بالله أنه من سن العشرين إلى الآن ما تغير وضعه الصحي ، وما قلّ نشاطه ، ما قلّت همّته .

مرة قال لي أستاذ ، لكن كدعابة ، توفي ـ رحمه الله ـ قال لي : أنا منذ خمسين سنة كنت أنشط من الآن، فلما وازنتها بكلمة أبي وائل ، أنا منذ سن العشرين إلى الآن ما اختلف وضعي ونشاطي ، وفاعليتي ورغبتي في العمل وتفاؤلي .
الحقيقة أنه يمكن الجسم أن يفرز سمومًا ، هذه حقيقة أنا الآن مقتنع فيها .

مرض الكآبة بين المعالجة النفسية والرياضية

هناك إنسان معه كآبة ، الكآبة مستعصية ، وجعلته يقبع في البيت ، دائماً له سلوك قاسٍ جداً ، فجئنا له بطبيب مؤمن ، طبيب نفسي ، فما مِن مجال يقبل به ، بطريقة أو بأخرى أعطي حقنة معينة فهدأ ، معنى ذلك أن أحماضًا وسمومًا في دمه ، هذه رافقت الكآبة .
حتى أكون دقيقاً معكم ، إذا أخذ دواء لإزالة هذه السموم يقول أبو وائل : الإنسان بالرياضة يفرز جسمه مواد تمتص هذه السموم في دمه فيصبح متفائلاً ، وهناك شيء يرافق الحالات النفسية ، ومواد كيماوية ترافق الحالات النفسية ، وأنا أقول دائماً : الكآبة أساسها التشاؤم ، وهذا موضوع ثانٍ ، لكن مرض الكآبة فيه اختلال في تركيب دمه ، هذا له معالجة .
دخلنا في موضوع ثان ، الذي عنده قريب ، ابن ، صديق ، معه كآبة مستحكمة ، هذه الكآبة لها علاج دوائي ، وأحدُ إخواننا طبيب مختص من أمريكا في الأمراض النفسية فصّل لي بين التشاؤم ومرضٍ له سبب عضوي ، له سبب كيميائي تركيبي في جسم الإنسان ، فقد ألهم الله عز وجل الإنسان لحكمة بالغةٍ بالغة طريق الدواء ، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ))

[مسلم عن جابر]

هذا الكلام يسمعه مريض فيتفاءل ،

((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُنْزِلْ دَاءً إِلاَّ أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ))

[الجامع الصغير عن أبي سعيد بسند صحيح]

هذا الحديث يعطي المريض تفاؤلاً كبير جداً .

المعنويات العالية وأثرها في الشفاء

أنا أذكر أخًا توفي ـ رحمه الله ـ كان معه أزمة قلبية ، فسافر إلى بريطانيا ليجري عملية جراحية ، ذكر لي القصة التالية فقال : وأنا في المستشفى دخلت ممرضة فلم تلتفت إلي إطلاقاً ، لكن نسقت الزهور ، بل أعطتني ظهرها ، وسألتني : مَن طبيبك ؟ قلت لها : المستر جيبسون ، قالت : ليس معقولا ، هذا

ليس عنده وقت أبداً ، كيف قبل ؟ قال : كان هناك اتفاق بيني وبينه ، قالت له : أبداً ، مستحيل أن يقبل ، لا يحكّم إنسانًا من خارج بريطانيا إطلاقاً ، عليه ضغط يفوق حد الخيال ، قال : ما السبب ؟ قالت له : هذا أقوى طبيب في العالم ، وأجرى عشرة آلاف عملية قلب ، ولا واحد أخطأ معه .

قال لي : انتعشت جداً ، وشعرت بمعنويات عالية جداً ، معنى هذا أني أتيت إلى طبيب من فلتات الزمان ، قال لي : بعد أن انتهت العملية ذهبتُ لأحاسب المستشفى ، فوضعوا علي ألفي جنيه رفعًا للمعنويات .

هذه الحقيقة أساسها أن الإنسان إذا كانت معنوياته عالية جداً فهذه المعنويات العالية تعين على الشفاء .

جهاز المناعة المكتسب

دخلنا في موضوع آخر ، في عندك جهاز مناعة مكتسب ، هذا الجهاز أخطر جهاز بالإنسان ، وهذا الجهاز شغل العالم اليوم ، لأن أرقام مرض الإيدز قد لا تصدق ، الآن خمسون مليون مصاب بالإيدز في بعض البلاد الإفريقية ، كل ثلاثة واحد معه الإيدز ، هذا المرض جعل جهاز المناعة المكسب شغل العالم الأول ، هذا الجهاز الذي هو أخطر جهاز يقوى بالحب ، يقوى بالتفاؤل ، يقوى بالأمن ، يقوى بالود ، ويضعف بالخوف والقلق والحقد ، لذلك الشرك من لوازمه الخوف ، من لوازمه الحقد ، من لوازمه الندم ، من لوازمه القهر ، من لوازمه الإحباط ، قال تعالى :

(سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا)

[سورة آل عمران : 151]

التوحيد يعني أنا عبد لله ، لا يعقل أن يأمرني أن أعبده وأمري إلى غيره ، ليس هذا معقولاً ، قال تعالى :

(وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ)

[سورة هود : 123]

طمأنني أن أمري بيد الله عز وجل .

إن سعيد بن جبير لما أراد الحجاج قتله قال له : سأقتلك ، قال له : والله لو علمت أن حياتي بيدك ما عبدت غيرك ، ولكن حياتي بيد الله لمجرد أن تعتقد أن أمرك بيد الله ، ولن يسمح الله لجهة في الأرض مهما كانت قوية أن تتولى عنه أمرك علاقتك مع الله ، فكرة التوحيد وحدها صحة فكرة التوحيد ، وحدها تقوي جهاز المناعة .

حدثني أخ طبيب مقيم في أمريكا قال لي : كل المؤمنين جهاز المناعة طبيب عالٍ جداً ، تأتي أعراض مرضية وأمراض إنتانية وجرثومية وسرطانية ، جهاز المناعة القوي بسبب الأمن والحب والود والثقة

بالله والإيمان بالله يطغى على كل الأمراض ، بينما الإنسان المشرك خائف مقهور ، محبط متردد متشائم ، أقلّ مرض يهز كيانه ، لذلك الناجحون في الحياة والذين آمنوا بالله عندهم مقاومة عجيبة للأمراض .

الصلاة وعلاقتها بالصحة

لو دخلنا في موضوع آخر ، الإنسان الذي يصلي ، والصلاة وقوف وركوع وسجود ، لما سجد هجم الدم إلى رأسه ، فتوسعت الأوعية وارتوت ، ولما رفع رأسه رجع الدم إلى ما كان عليه ، فانقبضت الأوعية ، فالأوعية تتوسع وتنقبض طوال النهار ، في وقت الصبح أربع ركعات ، وفي الظهر أربع ، والعصر أربعة ، مع النوافل ، والمغرب خمسة ، والعشاء تسعة فتنشأ حالة اسمها مرونة الأوعية بالدماغ ، المرونة من التوسع والانقباض ، فباستمرار ينشأ المرونة ، الآن إذا ارتفع ضغط المصلي إلى ثمانية وعشرين فلا يصاب بشيء ، والإنسان الذي لا يصلي أوعيته غير مرنة ، يرتفع ضغطه إلى اثنين و عشرين فيصاب بخثرة في الدماغ فينفجر الدماغ .

أنا لا أقول لك : صلِّ لأن في الصلاة صحة ، أبداً ، لكن صدّق أن قضية الصلاة قضية تؤدي الحد الأدنى من الرياضة يومياً ، وقلت : أنه اجتمع علماء التربية البدنية ، ورتبوا تمارين تتناسب مع الصغار والكبار والنساء والرجال ، وفي كل الأوقات ، وفي كل الأمكنة فكانت هذه التمارين مشابهة تماماً لحركات الرياضة الصلاة ، إذاً : أنا أقول : اعبدوا الله من أجل الصحة ، هذه ليست عبادة ، لكن تأكد أنك حينما تصلي ، وحينما تصوم ، وحينما تحج ، وحينما تستيقظ لصلاة الفجر فإنك تمارس أرقى أنواع الرياضة من دون أن تشعر .

تكلمت عشرات المرات عن إنسان عاش إلى الثمانية والتسعين ، وكان مدير مدرسة ، وكان يقول للشاب : يا بني ، أنت كنت تلميذي ، وكان أبوك تلميذي ، وكان جدك تلميذي ، من الثمانية عشرة إلى الثامنة والتسعين ثمانون سنة في العلم ، وفي الثامنة والتسعين كان منتصب القامة ، حاد البصر ، مرهف السمع ، أسنانه في فمه ، ذاكرته قوية ، وكان يقول دائماً : يا بني ، حفظناها في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر ، من عاش تقياً عاش قوياً .

وأنا التقيت في بعض الأعياد مع والد صديقي ـ توفي رحمه الله ـ وهو كبير في السن ، عمره ستة وتسعون عامًا ، قال لي : يا عم ، أنا عمري ست وتسعين سنة ، أجرينا البارحة تحليلا كاملا فكانت النتيجة لا شيء ، وكله طبيعي ، قال : والله ما أكلت قرشاً حراماً في حياتي ، ولا أعرف الحرام ، تأثرت تأثراً بالغاً ، ما أكلت قرشاً حراماً في حياتي ، ولا أعرف الحرام .

فلذلك الاستقامة صحة ، والصيام صحة ، والصلاة صحة ، وصلاة الفجر صحة ، وكل شيء أمرنا الله به له آثار عجيبة في الجسم ، لكن أكبر شيء أنت مؤمن موحد ، ترى أن أمرك بيد الله ، وأن الله لن يسلمك إلى أحد ، وأنه طمأنك أن أمرك بيده ، ثم أمرك أن تعبده ، لهذه المعطيات عندك جهاز مناعة قوي جداً ، يقوى على معظم الأمراض ز

لذلك أقيم مهرجان في جامعة دمشق لتكريم القراء ، خطر في بال واحد أن كل الحاضرين فوق الثمانين سنة ، وأحدهم في السادسة والتسعين ، يستقبلون الناس في بيوتهم من الصباح وحتى المساء كل يوم ، من عاش تقياً عاش قوياً .

البطولة أيها الإخوة لا في مقتبل العمر ، البطولة في خريف العمر ، أحيانا يخرف الإنسان ، فيعيد القصة مئة مرة ، فيتضايق أهله منه ، يأتي الضيف يقول : لا يطعمونني فيفضح أهله ، يضعونه بغرفة وحده ، يصرح فيحرجهم ، وترى إنساناً في السادسة والتسعين في أعلى درجة من الوقار والفهم ، والله هذا والد صديقي أنا أزوره كل عيد ، اشتهيت أن يعيد القصة مرة ثانية ، كنت كل عيد أزوره ثم توفي ، وكان واعيًا تماماً ، لذلك من عاش تقياً عاش قوياً .

أعتقد أيها الإخوة الكرام أنه لا شيء أغلى من الصحة بعد الإيمان ، مع أن عندنا أولويات ، عندنا إيمان ، وعندنا صحة ، وعندنا كفاية ، وكلما قال لي شخص : كيف الوضع ، إن شاء الله مرتاح ، يقول: والله الدخل على قدر المصروف ، أقول له : إذاً أصابتك دعوة النبي عليه الصلاة والسلام ، فينتبه هل دعا عليّ النبي ؟ نعم ، لقد دعا عليك ، قال : اللهم من أحبني فاجعل رزقه كفافاً ، فإذا كان للإنسان المؤمن طعامه ، ويسكن في بيت ، وصحته جيدة ، وعنده مأوى دافئ ، وعنده أولاد فما فاته من الدنيا شيء ، لذلك خذ من الدنيا ما شئت ، وخذ بقدره هماً ، ومن أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ من حتفه وهو لا يشعر .

وهذه الحياة بقدر ما فيها هموم ومتاعب جميلة جداً ، معنى جميلة جداً جميلة بمعرفة الله عز وجل ، جميلة بالعمل الصالح ، جميلة بالقرب من الله ، قال أحد العلماء : " في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة " ، وهذه الجنة مؤكدة في القرآن الكريم ، جنة الدنيا ، يقول تعالى :

(وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ)

[سورة محمد]

في الدنيا ، من منا لا يحب أن يكون سعيداً ؟ هل فينا شخص ، أو هل في بني البشر واحد لا يتمنى السلامة والسعادة ؟ السلامة والسعادة ثمنها طاعة الله عز وجل ، قال تعالى :

(وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً)

[سورة الأحزاب]

لذلك أيها الإخوة الكرام ، مستحيل وألف ألف مستحيل أن تطيعه وتخسر ، أو أن تعصيه وتربح ، سبحانك إنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، أيضاً مستحيل أن توالي خالق الأكوان وتكون ذليلاً ، أو أن لا توالي الله عز وجل وتكون عزيزاً ،

(إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ)

والله عز وجل ذكر في القرآن الكريم العذاب الأليم ، والعذاب المهين والعذاب العظيم ، العذاب المهين للمتكبرين ، والعذاب الأليم للعصاة والمذنبين ، والعذاب العظيم هذا لمن شرد عن الله شرود البعير .

الملخص : العقل السليم في الجسم السليم

الملخص أن العقل السليم في الجسم السليم ، وصحتك رأسمالك ، والرياضة لا تطيل الأعمار ، حتى لا تتوهموا أن الرياضة تطيل العمر ، لكنك تستمتع بهذا العمر استمتاعاً تاماً ، فأنت من البداية حتى النهاية قائم تتحرك ، ولا شيء يزعجك .

يجب أن نكمل الدرس بالرياضة .

هل أحد هناك مداخلة أخرى حتى نبدأ بالغذاء في درس قادم إن شاء الله ، تفضل .

المداخلة الثانية :

بالنسبة للرياضة ، الصغار يريدون أن تنمو عضلاتهم حتى تصبح البنية قوية ، ويصبح فوق العشرين، يجب أن يحافظ على الرشاقة ، هذه البنية تكون متناسقة مع بعضها البعض ، الطول مع الوزن ، بالنسبة للكبار المشي كل يوم ساعة كافٍ ، إذا كان هناك همّة للجري فهذا أفضل ، والتمارين السويدية أفضل شيء للصدر واليدين ، فهي تعطي نشاطاً طوال النهار ، ويشعر بالسعادة ولا سيما عندما يعود إلى البيت فيشعر بسعادة غريبة ، وهذه لا يعرفها إلا الذي يجربها ، والذي يريد أن يمارس الرياضة يجب أن يمارس ، ولا يصل إلى نتيجة ، يمارس الرياضة عشرة أيام فينظر إلى نفسه أنه خف وزنه كيلو ، فيرى شيئاً طويلاً ، يجب أن يمارس باستمرار حتى يقطف النتيجة ، وبالاستمرارية تصبح عادة ، ولا يتركها .

الجمع بين الرياضة والعبادة

هناك ملاحظة : كيف أن صلاة الجماعة مريحة ، أنا اقتراحي أنه من الصعب للإنسان أن يمارس الرياضة وحده لأنه يملّ ، ويتكاسل ، لو اتفق ثلاثة أو أربعة بيوتهم متقاربة ليمشوا ساعة في اليوم ،

ويمكن لهذه الساعة أن تكون عبادة ، فيمكن أن تقرأ القرآن فيها ، أو تسمع القرآن ، والسماع أسهل ، والآن هناك أجهزة لطيفة تضعها في جيبك فتسمعك سورة ، يمكن لهذه الساعة أن لا تكون ساعة رياضة ، بل ساعة ذكر ، ساعة سماع قرآن ، أو ساعة مذاكرة لدرس الجمعة ، أو ساعة حديث عن الله عز وجل ، دائماً ازدواج الأهداف مريح ، وإذا كان الإنسان يصلح حديقته أو بستانه إذا عمل عملا مثل الرياضة ماذا فعل ؟ حقق هدفين ، مرّن جسمه ، وأنجز عمله ، إذاً تستطيع أن تقوم بعملين معاً ، الرياضة أحدهما ، هذا عمل عظيم ، نحن نريد ساعة ذكر فقط بالرياضة ، أو ساعة تلاوة .

هناك طبيب عالجني بموضوع قال لي : أنا كل يوم أسمع اسمًا من أسماء الله الحسنى ، معي مسجلة ، كل يوم أمشي ساعة ، وأسمع هذا الدرس هذا نظام عنده ، النظام رائع جداً ، عنده ساعة رياضة ، يسمع فيها اسمًا من أسماء الله الحسنى .

أريد أن أقول لكم نقطة : انتبهوا ، في الغرب قيمة المسجلة كبيرة ، لأن هناك كتبًا كبيرة جداً ، وثمينة جداً ، وغالية جداً لا أحد يقرأها ، لا وقت لذلك ، فبعض دور النشر الكبرى أتوا بكبار المذيعين ، وقرءوا هذه الكتب ، وسجلوا هذه الكتب في شريط ، وأنت تمشي تستطيع أن تسمع فصلا من الكتاب .

إخواننا في أمريكا يمكن أن يستغربوا ، سبب هدايتهم الطرق الطويلة بين بيتهم وعملهم ، معه ساعة أو ساعتان قيادة سيارة ، أخذ الشريط فوضعه في السيارة ، سمع تفسيراً ، شيئاً جميلاً جداً ، تعود إلى التفسير ، بعد فترة تراكمت المعلومات ، وتعمقت القناعات ، فوجد نفسه يمشي على الطريق الصحيح ، لأن القناعات لها أوزان ، والشهوات لها أوزان ، أحياناً شهوة وزنها خمسة كيلو ، حضرت درس علم ، أعطاك عشر غرامات ، يبقى في الميزان الشهوة راجحة ، لكن في درس ثاني صاروا عشرين غرامًا ، عشر دروس ، عشرون درس ، بعد هذا صار عندك كيلو ، لما تصل قناعاتك إلى خمسة كيلو تتردد الشهوات ، متى تدخل في الصراع ؟ إذا كانت قناعاتك تكافئ شهواتك ، إذا كانت القناعات عشرة أضعاف فقد دخلت في الأعماق ، ومستحيل أن تعصي الله عز وجل ، فأنت لما تحضر الدرس تتراكم عندك القناعات ، قناعة مع قناعة دون أن تشعر تجد نفسك تمشي إلى الله بخطى ثابتة ، فأنت لا تستهين أن تجعل هذه الساعة ساعة عبادة ، إما قراءة قرآن إذا كنت حافظاً ، وإذا كان معك مصحف ، يمكن ، لكن في هذا صعوبة ، أو تحمل مسجلة صغيرة فتسمع القرآن منها ، أو تذكر الله عز وجل ، أو تناجي الله عز وجل ، اعمل ساعة عبادة ، لك عند الله ساعة يومياً اجعلها مع رياضة ، فتكون حققت هدفين في هدف واحد ، ونتمنى أن تكون جماعة في الوقت الباكر ، كما تفضل أخونا أبو وائل ، في وقت جميل ، وفي طرقات جميلة بالمدينة ، وفي طرقات صباحاً ، لا يوجد فيها ازدحام ، وأنا أنصح الإنسان فوق الخامسة والخمسين وفوق الستين أن لا يمارس رياضة تنافسية ، يمكن أن يكون في القلب آفة ، أو شيء له مضاعفات ، أما المشي كما تفضل أخونا أبو وائل فلا إشكال عليه .

الكسل والاسترخاء عدو الصحة

في وقت ما عقد مؤتمر لأمراض القلب في بريطانيا ، كانت التوصية رائعة جداً ، وواضحة جداً ، قالوا : " إن الكسل العضلي والشدة النفسية في عصرنا وراءها كل الأمراض ، وإن الجهد العضلي البالغ الذي كان يمارسه أجدادنا ، والراحة النفسية الناتجة عن إيمانهم كانت وراء صحتهم القوية .

إنه لا شيء يدمر الإنسان كالكسل العضلي والاسترخاء ، والشدة النفسية ، ولا شيء يقوي صحة الإنسان كالراحة النفسية ، والجهد العضلي .

شاهد أخ من إخواننا ندوة علمية حول ركوب الحصان ، فملخص الندوة أن السيارة تجلب للإنسان أمراض القلب والكبد والكليتين ، وأن ركوب الحصان ينفي عن الإنسان أمراض القلب والكبد والكليتين، لأن الله صمم الركوب حصان ، أما السيارة فمريحة جداً ، هذه الراحة الشديدة لها شيء مؤلم جداً ، وأكثر الاحتشاءات كانت قديماً في سن الستين ، الآن في الثمانية والثلاثين ، والخامسة والثلاثين ، جلطة في الثامنة والعشرين ، من كثرة الهموم والراحة ، وأجدادنا كانوا في راحة نفسية وجهد عضلي كبير ، والإنسان الذي يعمل يعطيه الله عز وجل قوة .

المجموع ثابت والجهد مختلف

هناك نقطة دقيقة : أن المجموع ثابت ، الذي يعطي أمرًا ولا يتحرك عنده خمسون علة ، والذي ينفذ وما عنده القوة الاجتماعية ليعطي أمرًا صحته جيدة جداً ، فترى الإنسان أحيانا في بناء أنشط من كل سكان البناء ، لأنه أكثرهم جهداً وتعباً ، المجموع ثابت ، يتوضح بحالة أخرى ، موظف دخله محدود يكفيه بصعوبة ، هذا عنده راحة نفسية .

صدر قانون منعوا به تحويل العملات ، والذي يحول يسجَن عشرين سنة ، ليس له علاقة ، كما صدر قانون جمع الأموال ، كل مسجد جمع أموال لابد له من إيصالات ، وإلا يوضع الكلف في السجن ، ليس له علاقة ، .

العامل دخله محدود ، لكن راحته النفسية كبيرة جداً ، وصاحب العمل دخله أكبر بكثير ، لكن عنده هموم لا تتحملها الجبال ، والمجموع ثابت ، إذا أعطينا الدخل الكبير علامة ، والتعب النفسي علامة فالاثنان أخذوا مئة ، وإن أعطينا محاسبًا بشركة للراحة النفسية علامة ، وللدخل علامة كان الاثنان قد أخذوا مئة ، إذاً المجموع ثابت ، الله كبير ، الفقير أحياناً أكله خشن ، من يصدق أنه أفضل أكل في العالم الأكل الرخيص ، لا أحد يصدق ، أفضل أكل في العالم أكل الشرق الأوسط ، من فقرنا نأكل الحمص والفول ، وأفضل بروتين في العالم البروتين النباتي ، والدول الغنية جداً التي تأكل اللحم

بكميات كبيرة نسب أمراض القلب ثمانية أمثال ، نحن نأكل زيت الزيتون ، ونأكل الخضار غير معلبة طازجة ، ونأكل البروتين النباتي ، وهذا أفضل غذاء في العالم ، لذلك بالمجموع ثابت .

أحيانا ترى امرأة بارعة في شكلها لكنها غبية جداً ، وامرأة أخرى أقلّ جمال ، لكنها ذكية جداً ، أعطي للذكاء علامة ، وللشكل علامة ، يكون الاثنان مثل بعضهما ، نفس المجموع ، المجموع الثابت مريح جداً .

خذ من الدنيا ما شئت ، وخذ بقدره هماً ، ومن أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ من حتفه وهو لا يشعر، لذلك إذا كان للإنسان بيت يأويه ، وزوجة ترضيه ، ورزق يكفيه فما فاته من الدنيا شيء ، وفي الحديث شريف :

((إذا أصبح أحدكم آمناً في سربه ـ أنا أضيف لكلمة آمن أمْنَ الإيمان ، لأنه مؤمن بالله عز وجل ، وعنده شعور أن الله لا ينساه ويحبه ، وله عند الله شيء في الجنة ـ معافى في جسمه ، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها))

[الترمذي]

سعادة المؤمن الحقيقية

مرة قال لي أخ : تقول : المؤمن سعيد ، واللهِ ليس سعيداً أمام ثلاثين إنسانًا ، مثله مثل الناس ، ما له ولا ميزة ، أحرجني ، قلت : كيف هذا ؟ مرة أحضر إنسان أولاده من أماكن بعيدة جداً ليعطيهم درساً قبل أن يموت ، فأحضر عيدان متفرقة ، وأحضر حزمة كبيرة أعطى عودًا لواحد ، قال له : اكسره ، فكسره ، هذه واضحة ، أعطى الحزمة لواحد ، فكسرها ؟ لم يستطع أن يقول كلمة ولا حرف ، هو هدفه أنه يصعب على أحد كسر الأولاد ، هذه الحزمة يا بني اجتمعوا حتى لا يتحداكم أحد ، فكسر له الحزمة انتهت ، فقال لي : المؤمن ليس سعيداً ، مثله مثل الناس ، قلت له : لو إن إنسانًا فقيرًا جداً معاشه أربعة آلاف ، وعنده ثمانية أولاد ، بيته بالأجرة ، عليه دعوى إخلاء ، معه خمسة أو ستة أمراض ، هذا الإنسان له عم يملك خمسمئة مليون ، وليس له أولاد ، ومات في حادث ، ما الذي حصل؟ في قانون الميراث هذا الإنسان الفقير الذي بيته بالأجرة نقل له فجأة خمسمئة مليون ، أنا أقول له : الجواب باعتبار المالية والضرائب والتركات والمعاملات والروتين المعقد جداً ما قدر أن يقبض قرشًا من هذه الإرث قبل سنة ، لماذا في هذا العام هو أسعد الناس ؟ ما أكل لقمة زيادة ، وما غيّر بيته ، وما اشترى ثيابًا إطلاقاً ؟ لأنه أيقن أنه صار في حوزته خمسمئة مليون ، إن شاهد سيارة فخمة جداً يقول : سوف أشتري هذه ، وإن وجد بيتا فخمًا جداً يقول : سأشتريه ، ماذا قال الله ؟

(أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)

[سورة القصص : 61]

أعظم سبب لسعادة المؤمن الذي قد يكون بيته متواضعاً ، وقد يكون معه عدة أمراض ، وقد يكون عمله صعبًا ، وقد يكون وقد يكون ، لكن عنده شعور قطعي أن الله عز وجل هيأ له الجنة ، قال تعالى :

(وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)

[سورة يونس : 87]

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ)

[سورة فصلت]

المؤمن سعيد ، لا لأن معه مالا كثيرًا ؟ أبداً ، لا لأن ما عنده مرض ، عنده مرض ، وعنده مشكلات ، لكن عنده شعور أن مصيره للجنة ، والله بشره بها ، ويطمع أن يكون في رحمة الله ، إذاً سعادته ناتجة من اتصاله بالله عز وجل ، ومن تطمين الله له .

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية – موضوعات مختلفة في التربية - دروس حوارية - الدرس (28-07) : الطب الطبيعي والطب النفسي

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 16-04-2006

بسم الله الرحمن الرحيم

مــقدمــة :

أيها الإخوة الكرام ، يحسن بالإنسان أن يتعامل مع ما يسمى بالأولويات ، ففي رأي بعض الصحابة الكرام أن أول شيء على الإطلاق ينبغي أن نهتم به إيماننا بالله ، وثاني شيء صحتنا ، وثالث شيء كفايتنا ، لذلك قال عليه الصلاة والسلام :

((إذا أصبح أحدكم آمناً في سربه))

ـ وهو أمن الإيمان ، المؤمن يتمتع بنعمة الأمن التي ينفرد بها ، ينفرد ، لكن أقول : أمن الإيمان ، هناك أمن المال ، الغني يشعر بأمن مزيف ، أن كل شيء يحل بالمال ، قد يفاجأ بمرض عضال لا يحله المال ، أما المؤمن فمطمئن لرحمة الله ، والله بيده كل شيء ، كل جهة بيد الله عز وجل ، فلذلك الأمن الحقيقي لا يكون إلا للمؤمن ، الدليل : قال تعالى :

(فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ* الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)

[سورة الأنعام]

أمن الإيمان ، أيها الإخوة الكرام ،

((إذا أصبح أحدكم آمناً في سربه معافى في جسمه ، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها))

[الترمذي]

الطب والصحة في الإسلام :

كل الدروس حول الإيمان ، ننتقل الآن إلى البند الثاني ، وهو الصحة ، فلنبدأ بموضوع الطب في الإسلام ، أنطلق في هذا الدرس إن شاء الله من قوله تعالى :

(الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ* وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ)

[سورة الشعراء]

السياق خلقني يطعمني ، وقد يتوقع أحدكم أن تأتي الكلمة الثالثة : وإذا أمرضني فهو يشفين ، جاءت الكلمة الثالثة منسوبة إلى الإنسان :

(وَإِذَا مَرِضْتُ)

بعض استنباطات هذه الآية :

أصلُ المرض مخالفةُ منهجِ الله :

طبعاً هناك استنباطات عديدة ، من هذه الاستنباطات أن أصل المرض مخالفة لمنهج الله ، يعني إتقان صنعة الله ودقة صنعة الله ، قال تعالى :

(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)

[سورة التين : 4]

معنى ذلك أنك مصمم بحيث لا تمرض ، فإذا طبقت منهج الله عز وجل في كل تفاصيله المرجح ألا تمرض إلا مرض الموت ، مرض الموت أنا أسميه بوابة الخروج ، فكل واحد منا شاء أو أبى حينما يدنو أجله له بوابة يخرج منها ، البوابات لا تعد ولا تحصى ، هذا مرض الموت لا شفاء له ، بل إنه يتفاقم ، لكل داء دواء إلا مرض الموت ، إلا السام ، أي مرض الموت .

دعونا من مرض الموت ، ولنبحث كيف نقي أجسامنا من الأمراض التي تقض مضجع الإنسان ، وتقلقه ، وتجعل حياته جحيماً لا يطاق .

أنواع الطب : (1) الطب الطبيعي :

الحقيقة أن الطب أنواع أربعة :

الشطر الأول : بذل الجهد :

أول نوع هو الطب الطبيعي .

أيها الإخوة الكرام ، الطب الطبيعي بذل الجهد فقط ، هذا الجسم بحسب قوانين الله عز وجل يحتاج إلى حركة ، الآن السؤال : أن أجدادنا الكرام كانوا يتمتعون بصحة تفوق حد الخيال ، لا لأن معلوماتهم الطبية كانت أوسع ، بالعكس معلوماتهم الآن أوسع بكثير ، بل لأن حياتهم كانت خشنة ، ومعنى حياتهم خشنة ، أي كانوا يبذلون جهداً كبيراً ، ومع هذا الجهد الكبير راحة نفسية ، وإذا سألتني عن سببين

أساسيين لتمتع الإنسان بصحته فهما : بذل الجهد وراحة نفسية ، بذل الجهد حياتهم خشنة ، بيوتهم عدة طوابق ، وصعود ونزول ، طبخهم على الحطب ، غسيلهم في الطبق ، كما تعرفون ، حياتهم صعبة ، مواصلاتهم صعبة ، أكثرهم يتحركون ، فبذل الجهد أحد سببين أساسين من أسباب الطب الطبيعي .

الآن لو انتقلنا إلى بذل الجهد وعلاقته بالمجتمع ، كل إنسان يستهلك جهد الآخرين ممقوت وكل إنسان يقدم جهده للآخرين محمود ، بعيداً عن الصحة وعن أن بذل الجهد أحد سببين أساسين لتمتعك بالصحة، بذل الجهد يجعلك متواضعاً وبذل الجهد يحبب الناس إليك فكان عليه الصلاة والسلام يقول :

((برئ من الكبر من حمل حاجته بيده))

(الجامع الصغير عن أبي أمامة بسند ضعيف)

بذل جهداً ، وحينما كان مع أصحابه في سفر وأرادوا أن يعالجوا شاة قال أحدهم : عليّ ذبحها ، قال الثاني : عليّ سلخها ، قال الثالث : عليّ طبخها ، فقال عليه الصلاة والسلام : عليّ جمع الحطب ، يا رسول الله ، نكفيك ذلك ، قال : أعلم أنكم تكفونني ، ولكن الله يكره أن يرى عبده متميزاً على أقرانه .

فكان عليه الصلاة والسلام مع أنه قمة المجتمع ، ومع أنه زعيم الأمة ، ومع أنه نبي هذه الأمة ، ورسول هذه الأمة ، بل هو آخر الأنبياء والمرسلين ، وسيد ولد آدم أجمعين ، كان يبذل جهداً كأصحابه تماماً .

في معركة بدر قال :

((كل ثلاثة على راحلة ، قال : أنا وعلي وأبو لبابة على راحلة ، ركب الناقة ، فلما جاء دوره في المشي توسلا صاحباه أن يبقى راكباً ، قال : لا ، ما أنتما بأقوى مني على السير ، ولا أنا بأغنى منكم عن الأجر))

(أحمد)

بذل الجهد .

حدثني طبيب قلب قال لي : الإنسان الذي يخدم نفسه في البيت يؤدي الحد الأدنى من الرياضة ، صيانة للقلب ، فإذا أكلت ، وأعدت الطعام إلى المطبخ ، وغسلت الصحنين ، وأتيت بحاجتك بنفسك ، وخدمت نفسك هذا الحد الأدنى الأدنى من الرياضة ، أنت حينما تبذل جهداً تصون جسمك ، لذلك الذين يتلقون جهود الآخرين العلل في أجسامهم لا تعد ولا تحصى ، والذين يقدمون جهدهم للآخرين هم يتمتعون بلياقة صحية تفوق حد الخيال .

لكن أيها الإخوة الكرام ، في موضوع الصحة أروي هذه القصة مئات المرات ، يمكن أن تستمتع بنشاطك وحيويتك وصحتك طوال عمرك ، والبطولة ليست في مقتبل العمر ، بل في خريف العمر ، البطولة أن تكون في السبعين وأنت نشيط ، وأنت تتحرك بحرية تامة ، وتقضي حاجتك بيدك ، هذه من

نعم الله الكبرى ، والذي أقول عنه دائماً كان في السادسة والتسعين منتصب القامة ، حاد البصر ، مرهف السمع ، أسنانه في فمه ، إذا سئل : يا سيدي ، ما هذه الصحة التي أكرمك الله بها ؟ يقول : يا بني حفظناها في الصغر ، فحفظها الله علينا في الكبر .

الآن يتوهم بعض ضيقي الأفق أن الذي يعمل بيده ، ويتعب إنسان في الدرجة الدنيا من المجتمع ، أما الذي يعطي الأوامر فهو في الدرجة العليا ، بالعكس الذي يبذل جهداً يتمتع بصحة لا تقدر بثمن ، لذلك قال بعض الصحابة الكرام :

<< أمرني حبيبي أن لا أسأل الناس شيئاً >> .

يقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مادمت قادراً على أن تخدم نفسك ، وأن تأتي بحاجاتك بنفسك، وأن تحمل حاجاتك بيدك ، وأن تكون في مهنة أهلك ـ وقد كان عليه الصلاة والسلام في مهنة أهله ـ فأنت حققت شطر الصحة .

الشطر الثاني : الراحة النفسية :

صدقوا أيها الإخوة الكرام ، لن يتمتع ضعيف الإيمان ، ولا ضعيف التوحيد بالراحة النفسية :

(أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)

[سورة الرعد : 28]

قلبك سعادته بذكر الله ، قال تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً)

[سورة الأحزاب : 41]

التوحيد هو الراحة النفسية :

لكن أبرز شيء متعلق بالذكر في موضوع الصحة التوحيد ، هناك إله أمرني أن أعبده ، وأنبأني أن أمري بيده ، وليس بيد عدوي ، هذه الفكرة إذا تحققت منها كانت وحدها شطر الصحة ، لا حقد ، ولا ندم ، ولا قهر ، ولا ضغط ، ولا شعور بالإذلال ، ولا شعور بالإحباط أمرك بيد إنسان ، وهو عدو لك، وأقوى منك ، ويتفنن في إذلالك ، وفي إفقارك ، وفي إضلالك ، وفي إفسادك .

والله أيها الإخوة الكرام ، الذي تسمعونه من أخبار والله لولا التوحيد لكان وحده كافياً بأن يصيب الناس بأزمات قلبية ، الأخبار فقط ، القطب الأوحد يأمر أن تجرى انتخابات في فلسطين ، شيء جميل ، ديمقراطية ، أجريت انتخابات نجحت حماس ، لأنها نجحت هي نقطع عنها كل المساعدات كي تموت ، شيء غير معقول ، تناقض لا يحتمل ، كيل بمكيالين ، لذلك الأخبار تحتاج إلى توحيد ، وما تعلمت

العبيد أفضل من التوحيد ، أن تثق أن الأمر بيد الله ، وأن هذه الدنيا زائلة ، والعبرة بالآخرة ، وأن هذا الذي صحت عقيدته ، وصحت استقامته هو الملك الحقيقي ، وهو الذي يفوز بالآخرة ، لأن هذه الدنيا جيفة طلابها كلابها ، هي دار من لا دار له ، ولها يسعى من لا عقل له ، خذ من الدنيا ما شئت ، وخذ بقدرها هماً ، ومن أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ من حتفه وهو لا يشعر .

حينما تؤمن أنك مخلوق للجنة ، وأن أبواب الجنة مفتحة في الدنيا ترضى أن تكون فقيراً ، أنا أطالب أن تكون غنياً ، لكن إذا كان الطريق إلى الغنى وفق منهج الله ، أما إذا كان على حساب دينك فالفقر وسام شرف لك ، أنا أطالب أن تكون قوياً إذا كان طريق القوة سالكاً وفق منهج الله ، فإذا كان طريق القوة على حساب دينك وعلى حساب استقامتك فالضعف وسام شرف لك .

الطب الطبيعي قائم على بذل الجهد والراحة النفسية التي أساسها التوحيد ، ليس مع الله أحد ، والله ثمة آية قرآنية دخلت إلى مسجد في بعض المدن السورية حجمها كبير جداً في صدر المسجد :

(يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِهِمْ)

الأعداء الطغاة الذين يملكون أسلحة فتاكة يملكون الإعلام ، يملكون تشويه صورة الإسلام ، يملكون القهر ، يملكون التدمير ، يملكون أسلحة يحار فيها العقل ، هؤلاء يد الله فوق أيديهم ، قال تعالى :

(اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ)

[سورة الزمر : 62]

(لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ)

[سورة الأعراف : 54]

(مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً)

[سورة الكهف : 26]

(مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا)

[سورة فاطر : 2]

مرة كنت بمتحف ، لكنه متحف يفوق حد الخيال ، قاعة الاستقبال مساحتها ألفا متر مربع دنمان اثنان ، مزينة بخمسة أطنان من الذهب ، القصر هو متحف الآن ، شيء من الخيال ، كل الأدراج الحواجز من الكريستال ، الرخام من الرخام الشفاف الغالي جداً ، وجدت ساعة قد قفلت على التاسعة وخمس دقائق ، ثابتة ، سألت عن هذه الساعة ؟ قال : هذه الساعة ضبطت على التاسعة وخمس دقائق وقت موت صاحب هذا القصر ، هذا صاحب القصر أراد إنهاء الإسلام كلياً ، لا أذان ، ولا زي إسلامي ، ولا حروف عربية ، أراد إنهاء الإسلام كلياً ، فقلت هذه الكلمة : والله ألف طاغية يفطسون ، وقد أرادوا إلغاء الإسلام ، والإسلام باق إلى يوم القيامة .

في سفري لهذا البلد سافرت من بلد إلى بلد مسافة ثلاثمئة وستين كيلو مترا ، لفت نظري أن كل عشر سيارات ثماني نساء في السيارات محجبات مسلمات ، إذاً البلد وصاحب هذا القصر أراد إلغاء الإسلام، الأمر بيد الله

(يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ)

وهذا الذي يحصل الآن في الدانمارك والله سوف يدخل الناس في هذا الدين بمئات الألوف بسبب هذه الصور .

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حســـــود

لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

***

الصحة أساسها بذل جهد وتوحيد ، توحيد راحة نفسية ، بذل الجهد صيانة لهذا الجسم ، والعوام لهم كلمات رائعة ، الحركة بركة ، ولا من باب الحتم ، ما رأيت إنساناً معمراً إلا وحركته عالية جداً ، من الصعب أن ترى إنساناً في الخامسة والثمانين أو التسعين إلا يتحرك كثيراً ، وأيضاً هذا القرآن الكريم ، طبعاً حينما كرم قراء القرآن الكريم لأول مرة في دمشق في أعلى تكريم في مدرج جامعة دمشق ، الشيء الذي يلفت النظر أن هؤلاء جميعاً فوق الخامسة والثمانين ، بعضهم بالسادسة والتسعين ، ويتمتعون بصحة عالية جداً .

إذاً التقوى زائد الحركة .

الطب الطبيعي أساسه التوحيد مع بذل الجهد ، لذلك ما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد ، هذا الطب الطبيعي ، أما الشدة النفسية (الستريس) بالتعبير الطبي تميت ، الدليل : قال تعالى :

(قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ)

[سورة آل عمران : 119]

كم من إنسان يموت فجأة بسبب تهديد ، أو وعيد ، أو ضريبة معينة ، أو خبر ، أو مصادرة بضاعة ، يموت فوراً ، لا يحتمل ، لذلك المؤمن يرى أن يد الله وحدها تعمل فيطمئن ، هذا الطب الطبيعي .

الطب النفسي : التوحيد :

الطب الثاني الطب النفسي ، الطب النفسي أساسه التوحيد ، أقول لكم بدقة بالغة : أعرف شخصاً درس في أمريكا ، وذكر لي بعض معلوماته التي قرأها هناك ، قال لي : السعداء في حياتهم جهاز مناعتهم قوي جداً ، السعداء يقصد هو الذي نجح في الحياة ، أنا أقصد الذي عرف الله ، الذي عرف الله جهازه مناعته عالي جداً ، لأن هذا الجهاز المناعة المكتسب الذي هو شغل العالم اليوم ، يزداد قوة بالشعور

بالأمن ولا أمن إلا للمؤمن ، يزداد قوة بالحب ، ولا حب حقيقي إلا عند المؤمن ، يزداد بالمودة ، انظر بيت فيه مودة فيه محبة ، فيه زوج رحيم ، زوجة مخلصة ، أولاد أبرار ، هذا البيت فيه سعادة ، وفي الأعم الأغلب الأمراض قليلة جداً في هذا البيت ، الأمراض تأتي من شدة نفسية ، من القهر ، من الضغط ، والله أكاد أقول : إن تسعين بالمئة من أمراض الناس قهر وقلق ، وخوف وحقد ، وأن الإيمان يبرئ من كل هذه المشاعر القاتلة .

مثلاً : إنسان معه ورم خبيث ، طبيب درس في أمريكا ، ليس معه مجاملة إطلاقاً ، قال له معك ورم خبيث ، تعيش أربعة أشهر ، دبر شؤونك في هذه الأربعة أشهر ، ثاني يوم مات ، ما تحمل أربعة أشهر، وكم من إنسان معه مرض خبيث والله شفاه شفاء تاما بالإيمان بالله .

والله لي صديق حصل معه ورم خبيث برئتيه ، والأطباء الذين عالجوه قمم في هذا البلد ، وأرسلت خزعات إلى بريطانيا ، والجواب القطعي : أنه لا أمل بالشفاء إطلاقاً ، إلا بحالة نادرة أن يذهب إلى بلاد بعيدة جداً ، ويزرع رئة ، ونجاح العملية بالمئة ثلاثون ، والعملية تساوي ثمن بيته الجديد ، وعنده أولاد صغار ، أنا والله كنت مرة في زيارته فبكيت ، والله كل شيء انتهى ، هذا البيت الذي ورثه من أقربائه سوف يباع ، وأولاده صغار ، إلا أنني أشهد أنه مؤمن ، ولا أتألى على الله ، أحسبه صالحاً ، ولا أزكي على الله أحداً ، كيف تراجع هذا المرض تلقائياً ، والقصة عمرها عشرون سنة ، والآن يتمتع بصحة تامة .

الإيمان يقوي المعنويات ، أنا أمري بيد الله عز وجل ، الطب النفسي التوحيد ، أما نحن الآن فكل شيء مريح ، لا يتحمل ، يرفع بلور السيارة يدوياً ، ليس على الكهرباء ؟ لا ليس على الكهرباء ، لا يتحمل هذا الإنسان الحديث ، إذا لم يكن ثمة مصعد مشكلة ، كل شيء يريده أوتوماتيكيا ، ما هذه الغسالة يدوياً؟ يريد أن يضع الغسيل ، وينام ، يستيقظ كل شيء منتهٍ ، الآن هناك آلة تجفيف أيضاً لا ينشر إطلاقاً ، حياتنا أصبحت لا تطاق من السكون ، كل شيء أوتوماتيك .

إن هذا الكسل العضلي ، الراحة والشدة النفسية ، كل يوم خبر سيئ ، ضغوط ، مقاطعة اقتصادية ، ارتفاع الدولار ، مضاعفة الجمارك ، مضاعفة الأسعار ، ارتفاع البنزين ، دائماً ضغوط ، ضغوط وراحة ، هذا المرض ، شدة نفسية ، وكسل عضلي ، حتى في فراشي أسنان على الكهرباء ، أن تعمل هكذا متعبة تدور بنفسها ، والله الشيء الذي يراه الإنسان في السوبر ماركت كما يقولون مذهل ، دخلت امرأة إلى هذا السوق الكبير قالت : يا إلهي ، ما أكثر الحاجات التي لا يحتاجها الإنسان ، لكنها ترهق حياة الإنسان .

أقول لكم هذه الكلمة الدقيقة : إن رئيس الجمهورية الفرنسي جيسكار ديستان أراد أنْ يجيبه ثلاثون عالماً من كبار علماء الاجتماع عن سبب العنف في العالم ، فاجتمعوا في منتجع جميل ، ودرسوا ،

وتحاوروا ، ثم توصلوا إلى هذه النتيجة : مجتمع العنف سببه مجتمع الاستهلاك ، تطالعك كل يوم آلاف الأدوات الحديثة بالإعلانات الطرقية ، وبأي مكان في الصحف والمجلات ، سيارة 2006 فول أوتوماتيك ، لونها أزرق ، والأرض تتناسب مع لونها ، يضعون دعاية بلون يتناسب مع لون المركبة ، غسالات ، مكيفات ، نائم مرتاح ، يأتي الهواء البارد عليه ، وليس معه ثمن مكيف ، والإعلانات المستمرة تخلق حاجة لهذه الحاجات التي لا يحتاجها الإنسان أحياناً ، عندك ثلاث حالات ، إما الإحساس بحرمان دائم ، تصبح حالة نفسية مرضية ، أو أن يمد يده إلى الحرام فيسقط من عين الله ، أو يلغي وقت الفراغ ، يعمل ليلاً نهاراً ، هذه مشكلة العالم الآن أيها الإخوة الكرام .

الشدة النفسية سبب كل الأمراض :

الطب الأول هو الطب الطبيعي ، والطب الثاني هو الطب النفسي التوحيد ، التوحيد صحة نفسية ، واسألوا أي طبيب ، قل له : اذكر لي الأمراض التي تكون بسبب الشدة النفسية ؟ أمراض قرحة المعدة، احتشاء القلب ، سكته دماغية ، خثرة بالدماغ ، آلام عضلية شديدة جداً ، الورم الخبيث هذه كلها تتأتى من الشدة النفسية لأن الشدة النفسية تضعف جهاز المناعة المكتسب ، قوام حياتك على جهاز المناعة المكتسب ، الشدة النفسية تضعف هذا الجهاز وقد ذكرت لكم من قبل أن في كل إنسان مليارات الخلايا السرطانية إلا أن لكل خلية قامعاً يمنع تفعيلها ، ما الذي يفك القامع عن الخلية السرطانية ؟ الشدة النفسية، والمواد البترولية ، والمواد البلاستيكية ، والإشعاعات النووية ، أربعة عوامل تفك القامع عن الخلية السرطانية ، وجهاز المناعة المكتسب مسؤول عن مكافحة الأمراض الإنتانية والجرثومية ، هذا الجهاز يقويه الحب ، يقويه الأمن ، يقويه الود ، وهذا الجهاز يضعفه الخوف والقلق ، أحياناً مدير عام بمؤسسة ، أو بشركة خاصة ، أو عامة عنيف جداً ، العنف يسبب قلقا للموظفين ، القلق يربكهم ، وقد يصيبهم بالأمراض ، حتى الزوج إذا أعطى زوجته راحة نفسية ، وطمأنها إذا كان الزوج أحب أن يمزح يمزح إما بالطلاق ، أو بزوجة ثانية ، وهو غير جاد إطلاقاً ، لكن يربك الزوجة ، يجعلها في قلق مستمر ، فقدت طمأنينتها ، فقدت أمنها ، هذا ليس مزاحاً ، هذا مزاح مؤذٍ.

إذاً الشدة النفسية وراء معظم الأمراض ، معلوماتي المتواضعة في الطب أنه كلما تقدم العلم كشف عن أمراض جديدة وراءها الشدة النفسية ، و الشدة النفسية سببها الشرك ، قال تعالى :

(سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا)

[سورة آل عمران : 151]

مع التوحيد أمن ، مع الشرك خوف ، والخوف يصيب الأفراد والجماعات والأمم ، ويصيب أقوى الدول ، مادام فيها شرك ، والشرك يساوي الخوف ، والتوحيد يساوي الأمن ، يا رسول الله لقد رأونا ، قال : يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟

هذا الأمن ، النبي عليه الصلاة والسلام أعطوه دواءً لذات الجنب ، فغضب ، قبل موته قال : ذلك مرض ، ما كان الله ليصيبني به .

المؤمن يشعر أنه محصن من أشياء مدمرة ، الله عز وجل حكيم ، المؤمن يعالج بأشياء لطيفة ، لكن هناك أشياء مدمرة المؤمن ينجو منها ، لقول الله عز وجل :

(قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا)

[سورة التوبة : 51]

سيدنا يونس في بطن الحوت : قانون وَكَذَلِكَ نُجي الْمُؤْمِنِينَ :

ليس أمام المؤمن إلا الخير ، وليس أمامه إلا التوفيق ، أصعب مصيبة على الإطلاق تصور أن تجد نفسك فجأة في بطن حوت أزرق ، بإمكانك أن تقف في فمه ، وجبته المتواضعة أربعة أطنان ، ووزنُك أنت خمسون كيلوا ، هذه لقمة واحدة ، وزنه مئة وخمسون طنّا ، يرضع وليده ثلاثمئة كيلو بالرضعة ، ثلاث رضعات طن حليب ، سيدنا يونس نبي كريم وجد نفسه فجأة في الحوت ، فنادى في الظلمات ، وثمة تغطية ، قال تعالى :

(فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ)

[سورة الأنبياء]

وانتهت القصة ، جاء التعقيب ليقلبها إلى قانون قال تعالى :

(وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ)

[سورة الأنبياء : 88]

في أي عصر ، في مصر ، في ظرف الله ينجي المؤمن .

طائرة وقعت فوق جبال الألب على ارتفاع ثلاثة وأربعين ألف قدم ، ونجى الله راكبا واحداً ، الطائرة انشطرت عند مقعده فنزل في غابات جبال الألب ، ارتفاع الثلج خمسة أمتار ، والأغصان امتصت الصدمة ، فنزل واقفاً .

(وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ)

[سورة الأنبياء : 88]

قصص كثيرة جداً ، لذلك الإيمان يعطي الإنسان الأمن ، والأمن يقوي جهاز المناعة ، وإذا قوي جهاز المناعة تغلب على معظم الأمراض .

هذا كلام دقيق وعلمي ، التوحيد يعني الصحة ، بالمعنى العلمي المادي التوحيد صحة ، الموحد جهاز المناعة المكتسب قوي جداً ، وما دام هذا الجهاز قوياً جداً فهو قادر على مواجهة معظم الأمراض .

فضلاً عن ذلك ذكرت في درس سابق فيما أذكر أن الإنسان لما يصلي هذه الأوعية بدماغه بالسجود يزداد ضغط الدم عليها ، بالقيام ينزل الضغط ، ارتفاع وهبوط ، ارتفاع وهبوط ، باليوم كم ركعة ، وكم ركوع ، وكم سجود ؟ هؤلاء الركعات بركوعها وسجودها تشكل ما يسمى مرونة الأوعية بالدماغ ، شيء يتوسع ، ويرجع فصار مرنا ، الأوعية المرنة تقاوم أي ضغط مرتفع ، ضغط الدم يرتفع للثمانية وعشرين الوضع سليم ، إنسان آخر لا يصلي أوعيته بالدماغ ليست مرنة ، يرتفع ضغطه ثمانية عشر ينفجر وعاء بالدماغ ، خثرة بالدماغ شلل كامل ، الصلاة صحة ، التوحيد صحة ، كل أوامر الله عز وجل فضلاً عن أنها عبادات هي في الحقيقة صحة كاملة للإنسان .

نحن اليوم في هذا اللقاء الطيب تحدثنا عن الطب الطبيعي والطب النفسي ، وفي درس آخر نتحدث عن الطب الوقائي والطب العلاجي .

عندنا أربعة أنواع من الطب ، وبعدها تأتي المداخلات ، إذا كان أخ طبيب طالب طب مرّ معه بحث متعلق بالطب الطبيعي ، الطب الطبيعي والطب النفسي و الطب الوقائي والطب العلاجي ، وهيئه لنا نكون له من الشاكرين ، لأن أساس الدرس هو الحوار ، لكن لا بد لأي موضوع جديد ، أنا أبدأ بموضوع أساسا وبعدها تأتي المداخلات .

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية – موضوعات مختلفة في التربية - دروس حوارية - الدرس (08-28) : الضوابط التي يجب أن تراعى في الرياضة

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 23-04-2006

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام ، نلخص كل الدروس السابقة المتعلقة في الرياضة بهذه الحقائق البينة التي ينبغي أن تكون واضحة لدى كل الأخوة الكرام .

حقائق مهمة في ممارسة الرياضة :

أولاً : حكم الرياضة في الإسلام .

الحكم العام هو الجواز لأن الأصل في الأشياء الإباحة ، ولا يحرم شيء إلا بدليل قطعي وثابت ، بينما العبادات الأصل فيها الحظر ، ولا تشرع عبادة إلا بالدليل القطعي والثابت ، لأن الرياضة من الأشياء ، إذاً الأصل فيها الإباحة .

أما إذا كانت من أجل تقوية الأبدان ، ومقارعة العدوان فإنها ترتفع من مستوى الإباحة إلى مستوى الاستحباب ، بل والندب ، بشرط أن تكون الممارسة بريئة من كل معصية ، وهادفة إلى ما فيه التدريب على تقوية الأبدان ، وتقوية الأرواح ، وهذا أرجح أقوال أهل العلم في الرياضة .

ثانيًا : ضوابط ممارسة الرياضة :

شيء آخر ، ضوابط ممارسة الرياضة ، إسلامنا إسلام الحياة ، إسلامنا دين الفطرة ، إسلامنا مع الحياة بكل تفاصيلها ، ولكن مع الضوابط ، الفرق بين الإسلام والتفلت فرق الضوابط فقط ، فما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا وجعل لها قناة نظيفة تسري خلالها ، إذاً الضوابط في ممارسة الرياضة هذا الكلام لجميع الشباب وللشابات .

تنوعت الرياضة في عصرنا ، ودخَلها كثير من المخالفات الشرعية ، إما في نظام الرياضة ذاتها ، أو في كيفية أدائها ، مما استدعى معرفة الضوابط الشرعية في هذه الممارسة .

الضابط الأول : ألا تلهي الرياضة عن واجب شرعي :

أول ضابط شرعي في الرياضة : ألا تلهي الرياضة عن واجب شرعي ، قال تعالى :

(رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ)

[سورة النور : 37]

أول ضابط شرعي في الرياضة ألا تلهي الرياضة عن واجب شرعي .

طبعاً ألا تلهي الرياضة عن واجب شرعي كإقامتها في أوقات الصلاة ، أو ما يقارب أوقات الصلاة لأن هذا لا يجوز بحال وهو من المنكرات الواجب إنكارها لأن اللهو عن الصلاة معصية كبيرة .

الضابط الثاني : مراعاة المقصد الحسن عند مزاولة الرياضة :

الرياضة إما أن تكون وسيلة لإعداد الإنسان ليكون قوياً ليواجه أعداءه ، وهي أرفع صور الرياضة ، تدخل في وسائل نشر الحق ، أو تكون وسيلة لتقوية الأبدان وتنشيطها ، ولاستجمام المباح ، روحوا قلوبكم ساعة بعد ساعة ، فإن القلوب إذا كلت عميت .

لتعين المسلم على القيام بالواجبات المنوطة به في الحياة فينبغي مراعاة المقصد الحسن عند مزاولة الرياضة ، حتى يؤجر المرء ، فإنه قد تقرر عند الفقهاء ـ رحمهم الله عز وجل ـ أن الأمور بمقاصدها ، استدلالاً بقول النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث المتواتر الجامع المانع :

((إنما الأعمال بالنيات))

[البخاري عن عمر]

هذه قاعدة عظيمة ، يجب أن ترتبط بأحد أهداف المسلم ، إما من أهدافه الكبرى أن ينتشر الحق ، أو أن يعيش حياة ببدن قوي يعينه على طاعة الله ، أو أن يستجم استجماماً بريئاً يعينه على متابعة النشاط الديني ، إما أن تتقوى بها الأبدان على مواجهة الأعداء ارتبطت بالجهاد ، أو أن تتقوى الأبدان كي تتفرغ لعبادة الله والقيام بواجبات الخلق ، أو استجمام مباح يعين على متابعة النشاط .

أيها الإخوة الكرام ، سائر ما يتلهى به البطالون من أنواع اللهو وسائل ضروب اللعب مما لا يستعان به على هدف نبيل مضيعة للوقت ، لأن الوقت أثمن شيء في حياة الإنسان .

أول ضابط : ألا تلهي عن ذكر الله .

والثاني : أن ترتبط بمقاصد يؤمن بها الإنسان ، فقد أصبحت الرياضة من الوسائل التي تحقق بها الأهداف .

الضابط الثالث : وجوب ستر العورات والبعد عن مواطن إثارة الغرائز :

هناك لاعب كرة بمصر من كبار لاعبي الكرة اعتزل اللعب ، وقبع في بيته ، كان هناك مباراة دولية ، المسؤولون في وزارة الشباب يحرصون على النجاح في هذه المباراة حرصاً لا حدود له ، فذهب وفد من قِبَل وزير الشباب إلى بيت هذا اللاعب ، وطلب منه أن يعود عن قراره باعتزال اللعب ، وأن يدخل في هذه المباراة ، اشترط أن يرتدي بنطالاً طويلاً ، ولأنهم في أمسّ الحاجة إليه وافقوا له ، فلما وافقوا قلّده رياضون كثر ، والآن يمكن أن يمارس اللاعب لعبة كرة القدم ببنطال طويل يستر عورته .

إذاً : وجوب ستر العورات والبعد عن مواطن إثارة الغرائز ، طبعاً بعض ألعاب الكرة يكثر فيها كشف العورات على وجه مثير للفتنة ، وهذا لا يجوز ، ومن الرياضات ما يمارسه النساء فقط ، ويكشفن فيه المواطن التي نهى الشرع عن كشفها ، سواء كان ذلك الكشف بحضرة رجال أو نساء ، كل ذلك محظور شرعاً ، وبعض الرياضات تشتمل على ما يثير الغرائز ، كالاختلاط المحرم ، الذي يمكن أن يحدث في أثناء ممارسة الرياضة ، والنصوص الشرعية تؤكد على خطورة اختلاط الرجال بالنساء ، إذاً : فلا يجوز ممارسة هذه الرياضات المشتملة على هذه المحرمات .

الضابط الرابع : عدم اشتمال الرياضة على خطر محقق أو غالب الظن :

لأن الله عز وجل قال :

(وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)

[سورة البقرة : 195]

وقال أيضاً :

(وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً)

[سورة النساء: 29]

وقال عليه الصلاة والسلام :

((لا ضرر ، ولا ضرار))

إذاً : أية رياضة تؤدي إلى إيذاء الطرف الآخر ، أو إلى إيذاء اللاعب نفسه فهذه رياضة محرمة ، لأن حياة الإنسان ثمينة جداً ، ولأن الله خلقه لجنة عرضها السماوات والأرض ، ومستحيل أن يزهق روحه لسبب تافه .

فإن كانت الرياضة خطرة ، أو يغلب على الظن أنها خطرة ، سواء أكان هذا الأذى والضرر يلحق باللاعب ، أو يلحقه هو بغيره ، فإنها ممنوعة ، لأن مفهوم الرياضة يقوم على أساس التمرين دون إيذاء أو ضرر .

الضابط الخامس : البعد عن المكاسب المحرمة في الرياضة :

إنّ أكثر أنواع سباقات الخيول فيها قمار ، وفيها مراهنة ، والقمار محرم ، لذلك إذا كانت الرياضة وسيلة للقمار بشكل أو بآخر فإنها محرمة .

الضابط السادس : ألا يترتب على إقامة المسابقات الرياضية موالاة أو معاداة :

ألا يترتب على إقامة المسابقات الرياضية موالاة أو معاداة بسبب تلك المسابقة ، المؤمن يوالي عادة المؤمنين ، ولا يوالي أهل الشرك والكفر ، أما حينما ينتقل ولاءه من ولاء للدين إلى ولاء لفريق معين ، وحينما ينتقل براءه من براء من كافر أو مشرك إلى براء من لاعب كرة فكأن هذه الرياضة أصبحت ديناً جديداً .

ذكرت لكم مرة أني كنت في طريقي من مكة المكرمة إلى جدة بسيارة عامة ، ورأيت السائق يكاد يخرج من جلده ، ويتأثر تأثراً لا حدود له ، ويعلو صوته ، لأن الفريق الذي يواليه خسر المباراة ، بدل أن تغضب لله ، بدل أن تغضب إذا انتهكت حرمات الله ، تغضب فقط إذا لم يستطع الفريق الذي تواليه أن يربح المباراة ، قلت لكم : لا يجوز بحال من الأحوال أن تكون الرياضة ديناً ، الرياضة وسيلة لتقوية الأجساد .

الآن مع الأسف الشديد جداً أن نساءنا الطاهرات المحجبات لا يعتنين بصحتهن ، ولا يمارسن الرياضة، فتجد المرأة في سن مبكرة تترهل ، ويضعف قلبها ، وتضعف مفاصلها ، هناك أمراض كثيرة تتأتى للمرأة ، مع أنها طاهرة ومؤمنة ومحجبة ، لكن ضعف وعيها الصحي ، وضعف ممارستها للرياضة يسبِّب لها ذلك .

ما حكم ممارسة المرأة للرياضة ؟

ما حكم ممارسة المرأة للرياضة ؟ الأصل عموم الأحكام الشرعية للرجال والنساء ، إذا قال تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ)

[سورة النساء: 135]

يعني يا أيتها المؤمنة كوني قوامة لله ، كما أن الرجل مأمور أن يكون منصفاً المرأة كذلك هي مأمورة أن تكون منصفة ، إذاً : الأصل في الدين أن الأحكام الشرعية تشمل الرجال والنساء ، وقبل قليل قلنا : الأصل في الرياضة الجواز .

الأدلة على جواز ممارسة المرأة للرياضة :

أما ما الدليل على أن المرأة يجوز لها أن تمارس الرياضة : السيدة عائشة رضي الله عنها كانت مع النبي عليه الصلاة والسلام في سفر قالت فسابقته فسبقته فلما حملت اللحم ازداد وزنها سابقته فسبقني فقال

((يا عائشة هذه بتلك))

[أبو داود عن عائشة]

تعادل .

طبعاً النبي مشرع ، سمح لها أن تسابقه ، والسباق من الرياضة ، والحديث صحيح ، لكن بعضهم يقول: إنه مكّنها أن تسبقه تطيباً لقلبها ، وهذا يدل أيضاً على كرم رسول الله ، وعلى حسن معاشرته مع الأهل ، وتطييب قلوبهم ، وكان زوجاً ناجحاً .

فالمرأة أيضاً بحاجة ماسة إلى الرياضة في تنشيط جسمها ، فإن للرياضة أثراً في نشاط البدن وحيويته، إلا أن المرأة لأنها محببة إلى الرجل ، وما ترك النبي عليه الصلاة والسلام من بعده فتنة أشد من النساء ، لذلك لا بد من بعض التنبيهات :

تنبيهات مهمة في ممارسة المرأة للرياضة :

1 - عبادة المرأة الكبيرة : إعفاف الشباب :

كيف أن الرجل له عبادة يفخر بها ألا وهي الجهاد ، وله عبادة يفخر بها ألا هي حضور الجمع والجماعات ، والمرأة لها عبادة ينبغي أن تتيه بها ، وهي إعفاف الشباب ، حجاب المرأة إعفاف للشباب، وستر مفاتن المرأة عن الشباب إعفاف له ، وهذه عبادة منوطة بالمرأة ، لذلك كل سنتمتر من ثياب المرأة متعلق بدينها ، وكل نوع قماش من القماش الذي ترتديه المرأة متعلق بدينها ، كل سنتمتر ، وكل نوع ، فلذلك ضوابط المرأة في الرياضة أشد من ضوابط الرجل .

2 - وجوبُ ابتعاد المرأة عن الرجال في ممارسة الرياضة :

لا بد من البعد عن الرجال في ممارسة الرياضة ، ولا بد من البعد عن مواطن الفتنة ، فإن الفتنة بالنساء عظيمة ، كما صح عن النبي عليه الصلاة والسلام :

((ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء))

[الترمذي وابن ماجه عن أسامة]

لكن يجوز بلا قيد ولا شرط أن تمارس المرأة الرياضة في بيتها ، وثمة بيوت كثيرة فيها يضع الزوج عمودًا في الممر ، هذا العمود له تمرينات لا تعد ولا تحصى ، والإنسان ميسور الحال يضع شريطًا متحركًا ، وهناك بعض الأجهزة ، وبعض الراصورات يمكن أن تمارس المرأة بها الرياضة في البيت .

3 - ممارسة المرأة الرياضة التي تليق بها :

لكن لا بد أن تمارس المرأةُ الرياضة التي تلحق بها ، فلو فرضنا أنها تمارس رياضة رفع الأثقال ، بعد حين تصبح رجلاً ، لأن طبيعة هذه التدريبات تظهر العضلات ، الله عز وجل جعلها في الأصل انسيابية الخطوط ، أما الرياضي الذي يزهو بعضلاته ، كل عضلة تعد على حدة ، فإذا مارست المرأة رياضة لا تليق بأنوثتها تشبهت بالرجال .

4 – ستر المرأة والابتعاد عن الاحتكاك بالرجال :

أما أن تمارس المرأة الرياضة خارج بيتها فهذا ممكن ، ولكن مع الحرص الشديد على ستر المرأة أحياناً وأن تبتعد عن الاحتكاك بالرجال ، لو فرضنا أن ناديًا ما فيه إلا نساء فقط ، ممكن ، وبالتالي فقد حبب لها الشرع البقاء في بيتها ، وإن خرجت فينبغي أن تخرج وهي محتشمة ، وغير مبدية للزينة الظاهرة ، وغير متطيبة ، مع عدم الضرب بالأرجل ليعلم ما تخفي من زينتها ، وهكذا ربَّانا القرآن الكريم ، كل ذلك من أجل صيانتها عن أن تنتهبها الأعين الزائغة ، قال تعالى :

(وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى)

[سورة الأحزاب: 33]

وقد قال عليه الصلاة والسلام ، وهذا حديث متوازن :

((لا تمنعوا نساءكم المساجد ، وبيوتهن خير لهن))

[أبو داود عن ابن عمر]

إذا كان الزوج عالمًا ، ولديه مكتبة ، وأشرطة ، وكل شيء في البيت ، وإذا كان الدرس في الجامع ، والطريق سالك ، والمرأة محشومة ، ومحجبة فلا مانع في ذهابها ، الأصل ألا يفتن بها أحد ، وألا تفتن أحداً ، وألا تنكشف مفاتنها لغير من يحل لها أن يرى مفاتنها ، فإن أصرت أن تمارس المرأة الرياضة خارج البيت فلا بد أن يكون المكان الذي تمارس فيه المرأة الرياضة خالياً من الرجال ، ومستوراً عن الأعين ، وأن يتأكد أن هذا المكان ليس فيه آلات تصوير خفية .

5 - احذروا الأعين الخفية (آلات التصوير) !!!

أيها الإخوة الكرام ، هناك حقائق قد لا تصدق ، في بعض غرف القياس في المحلات كاميرات تصوير، فإذا تعرت المرأة في هذه الغرفة التي تتوهم أنها مستورة فقد تلتقط لها صورة ، و هي شبه عارية ، و قد تبتز بهذه الصورة ، وقد ترسل هذه الصور إلى بلاد قصية .

هناك قصص لا تعد ولا تحصى أتَرّفع عن ذكرها في هذا المكان الطاهر ، فأنْ تضع المرأة ثيابها في غير بيت زوجها هناك مشكلة ، يمكن أن تضع ثيابها عند أمها ، أو عند أمهاتها ، لكن ما معنى أمهاتها؟ هناك بيت يشبه بيت أمها ، هو بيت أختها ، صاحبة البيت حريصة على صيانتها وعفافها حرصاً لا حدود له ، بيت عمتها ، هناك بيوت أمهاتها يمكن أن تضع المرأة ثيابها في بيت زوجها ، أو في بيوت أمهاتها ، أمّا أن تخلع المرأة ثيابها ، وهي ليست متأكدة من خلو المكان من عين خفية ، ومن آلة تصوير خفية فهذه مشكلة كبيرة .

حدثني أخ قال : أقيم عرس في فندق من فئة الخمس نجوم ، التأكيدات أن هذا المكان مستور ، ولن يدخله أحد من الرجال ، وكل من يقوم على خدمة هذا الحفل من النساء ، هذا كلام طيب ، ثم فوجئ بعض أقرباء أصحاب الحفل أنه في مكان آخر الحفل كله مراقب تلفزيونياً ، وأن شاشة كبيرة تظهر عليها كل هؤلاء النساء المتبرجات شبه العرايا ، وأن شباباً خمسة يمتعون أعينهم بمنظر هؤلاء النساء المتكشفات ، سبحان الله !! كلما تقدم الوقت تعرف خطورة قول النبي عليه الصلاة والسلام :

((إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون))

6 - قيام النساء الموثوقات بمراقبة الأماكن المخصصة لرياضة المرأة :

وعدم كشف ما لا يحل كشفه من العورات ، وألا تظهر المرأة مواضع الفتنة منها ، وألا يكون هناك خلوة في هذا المكان ، وألا تمارس رياضة تتناقض مع طبيعة جسمها كأنثى ، وأن يقوم على هذه الأماكن الرياضية نساء مؤمنات ثقات حازمات دقيقات ذكيات حتى ينتبهوا إلى أي مخالفة .

الموازنة بين التحسينات والضروريات والحاجات :

بالمناسبة ، نحن عندنا في الفقه تحسينات وحاجات وضرورات ، دائماً نضحي بالأقل من أجل الأكثر ، أقلّ شيء تحسينات ، أعلى منه الحاجات ، أعلى منه الضرورات ، فإذا كانت الرياضة تحسيناً لصحة المرأة فسترها حاجة ، نضحي بالتحسين من أجل الحاجة بالضبط .

مثلاً : حينما ترى تفاحة في نجاسة ، مع أنها تفاحة هي للأكل ، لكن المكان الذي فيه التفاحة منعك من أن تأكلها ، فأنا أحياناً أضحي بالتحسين من أجل الحاجة ، وأضحي بالحاجة من أجل الفرض .

حفظ الأعراض مقصد ضروري ، والرياضة لا تخرج عن مقصد تحسيني ، فإذا تعارضت الرياضة مع الضرورة نضحي بالرياضة من أجل الضرورة ، والمؤمن معه منهج دقيق جداً .

أيها الأخوة الكرام ، بهذا أنهينا موضوع الرياضة الذي بقينا فيه عدة دروس ، وانتهى بهذه الضوابط التي ينبغي أن تراعا في ممارسة الرياضة ، والضوابط واضحة جداً ، ومشتقة من أقول النبي عليه الصلاة والسلام ، ومن الآيات ومن مقاصد الشريعة .

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية – موضوعات مختلفة في التربية - دروس حوارية - الدرس (09-28) : الحجامة 1
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 30-04-2006

بسم الله الرحمن الرحيم

حكمة الله في خلق أجهزة الإنسان على ما هي عليه :

أيها الإخوة ، في الإنسان أجهزة خطيرة جداً ، أساسية ونبيلة جداً ، بالغة التعقيد ، على رأسها الدماغ ، أين وضعه الله عز وجل ؟ في صندوق عظمي في مفاصل ثابتة ، وبين الجدار والدماغ سائل لامتصاص الصدمات .

أين وضع الله النخاع الشوكي ؟ في العمود الفقري .

أين وضع الله القلب ؟ في القفص الصدري .

أين وضع الله الرحم ؟ في عظام الحوض .

قال تعالى :

(ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ)

[سورة المؤمنون]

معمل الكريات الحمراء :

لكن أخطر معمل في الإنسان قد لا تعرفونه ، إنه معامل كريات الدم الحمراء ، هذه المعامل وضعت في أحصن مكان في الجسم ، وضعت في نقي العظام ، داخل العظام ، إذا أكل الإنسان طبق لحم ، والأطفال يحبون أن يأخذوا العظمة الكبيرة ، ويضربونها ، ينزل منها ماسورة رمادية ، الماسورة الرمادية هي معامل كريات الدم الحمراء ، هذه المعامل تصنع في الثانية الواحدة اثنين ونصف مليون كرية ، الآن هناك درس مدته خمسون دقيقة ، الدقيقة ستون ثانية ، خمسون في ستين ثلاثة آلاف ، ضرب اثنين ونصف مليون سبعمئة وخمسون مليون كرية تصنع فينا جميعاً في مدة هذا الدرس ، ولأنه يموت في كل ثانية اثنان ونصف مليون كرية حمراء .

الآن : سؤال هذه الكريات الحمراء التي تموت ما مصيرها ؟ قد يقول أحدكم : تطرح مع مفرزات الجسم ، الجواب : لا ، هذه تساق إلى مقبرة في الجسم ، هذه المقبرة اسمها الطحال ، في هذه المقبرة معامل تأخذ هذه الكريات الحمراء ، وتحللها إلى مكوناتها الطبيعية ، المكونات حديد وهموجلوبين

صفراء ، الحديد يشحن إلى معامل نقي العظام مرة ثانية ليعاد تصنيعه ، و الهموجلوبين يصبح المرارة، يصبح المادة الهاضمة للدهون .

ماذا نستنبط من ذلك ؟ هذا صنع الإله ، الله عز وجل أمْرُه كن فيكون ، زل فيزول ، ومع ذلك فليس عند الله هدر إطلاقاً ، هذه الكريات الحمراء سبعمئة وخمسون مليون كرية في خمسين دقيقة تذهب إلى المقبرة ، في المقبرة تحلل هذه الكريات إلى عواملها الأساسية في الهموجلوبين الصفراء لهضم الدهون، والحديد يؤخذ إلى نقي العظام ليعاد تصنيعه كريات دم حمراء ، إذاً الاقتصاد كمال بشري ، الاقتصاد تدين ، الاقتصاد حضارة ، الهدر والاستهلاك وعدم ترشيد استهلاك المياه ، وعدم ترشيد استهلاك الكهرباء ، وإتلاف المواد ، وعدم العناية بالآلات هذا سلوك متخلف ، لأن خالق الأكوان الذي أمْره كن فيكون علمنا كيف نستخدم الأشياء إلى أقصى مرحلة .

هذا المعمل يصنع في الثانية الواحدة اثنين ونصف مليون ، لا يزال هذا المعمل فيه أسرار لم تكشف عنه بعد ، وأحياناً يتوقف كلياً عن تصنيع الكريات الحمراء ، وإذا توقف فالموت محقق ، والمرض اسمه فقر دم لا مصنع ، اسمه الحديث ابيضاض الدم ، هذا المعمل كيف يتوقف عن العمل ؟ لا أحد يعلم، لذلك مرض ابيضاض الدم أو فقر الدم اللامصنع مرض قاتل .

الآن قال الله عز وجل :

(سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ)

[سورة فصلت : 53]

اكتشف العلماء الغربيون أن هذا المعمل صيانته في نقص الدم المنتظم مبرمجة ، هذا المعمل كلما قلت كمية الدم في الجسم زاد نشاطه ، وكان هذا الإقلال تنشيطاً لآلية العمل ، كيف أن شرب الماء يصون الكليتين .

وبالمناسبة الإنسان ، يجب أن يشرب في اليوم اثنين لتر ماء ، أعجبه أم لم يعجبه ، كان عطشاً أو غير عطش ، وإلا فخطر أن يصاب الإنسان بفشل كلوي واردٌ .

وبالمناسبة في بعض البلاد الحارة أعلى نسبة فشل كلوي فيها لتناول المشروبات الغازية ، أنا أنصح : اشربوا المشروبات الطبيعية ، اشربوا اللبن ، اشربوا الليمون المعصور ، البرتقال المعصور ، هذه المشروبات الجاهزة صدقوا أو لا تصدقوا كلها مواد كيماوية ما فيها شيء طبيعي ، إذاً هذا الجهاز صيانته في نقص الدم .

الحجامة بين الحقيقة الشرعية وواقع الناس :

قبل سنتين سرت لوثة الحجامة ، وبولغ بها إلى درجة غير معقولة ، الأطباء كانوا يعملون ليلاً ونهاراً في الحجامة ، الآن طرح غير منطقي ، وغير معتدل ، وغير متوازن ، لدرجة أنّ الدولة اضطرت إلى أن توقف هذه الهجمة على الحجامة عقدت ندوات ، وأتت بعلماء ، لكن إنسان قال كلاماً غير صحيح ، قال : هي طريقة بدائية في معالجة بعض الأمراض ذكرها النبي ، هنا الغلط ، النبي مشرع ، كل شيء قاله لا يمكن أن يكون من ثقافته ، ولا من اجتهاده ، ولا من رأيه ، ولا من معطيات بيئته ، ولا من اختراعه ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الله كلامه بأنه لا ينطق عن الهوى .

الحجامة إذاً لها فوائد كبيرة جداً ، وقائية دققوا ، هذه الفكرة في العالم الغربي أن هذه المعامل صيانتها بنقص الدم المنتظم في والنبي أمرنا أن نحتجم من حين إلى آخر كل عام ، كل عام مرتان أو ثلاثا لا مانع ، قد يقول قائل : لمَ لا نأخذ الدم من الوريد ؟

الجواب والجواب دقيق جداً أيها الإخوة ، في أماكن الاحتكاك والحركة الدورة الدموية نشطة ، والدليل لما يقلّ شعر الإنسان ينصح بفرشاة دبابيس كي تحرض جلدة الرأس على جريان الدم وتغذية الشعر ، فعند المفاصل الدورة نشطة ، لذلك كل إنسان يصلي ، و يتوضأ في الأعم الأغلب هو بعيد عن مرض الغرغرين ، ما الغرغرين ؟ هذا مرت خطير ، هذا مرض الموات ، الدم يضعف في أن يصل إلى نهاية الأطراف السفلية فيتفاجأ الإنسان أن إبهامه أصبح أسود اللون ، لا يبالي ، فينتقل السواد إلى القدم ، قال له الطبيب : لا بد من قطع القدم ، يتردد ، الساق يتردد ، لا بد من قطع الرجل من أعلى الفخذ ، هذا المرض في الحقيقة نقص تروية نهايات الأوعية .

لما أمرنا النبي الكريم إذا توضئنا أن نخلل بين الأصابع معنى ذلك أنت تنشط الدورة الدموية في نهاية القدم .

أيها الإخوة ، الظهر أكبر مساحة في الجسم ، ودورة الدم فيه راكدة بسبب انعدام الحركة في الظهر ، فتوجيه النبي أن يؤخذ الدم من الظهر ، لأنها منطقة ركود .

بيان النبي المعصوم لخطورة تبيُّغ الدم على الأجهزة في الجسم :

الآن مع موضوع ثان ، الحديث :

((من أراد الحجامة فليتحر سبعة عشر أو تسعة عشر أو إحدى وعشرين ، ولا يتبيغ بأحدكم الدم فيقتله))

[ابن ماجه عن أنس بسند صحيح]

حقيقة التبيُّغ :

ما هو التبيغ ؟ القلب ينبض الشريان مرن ، ما معنى مرن ؟ تماماً كالمطاطة ، ضع مطاطة جديدة ، وقس طولها بالميليمترات ، اسحبها ، قد يتضاعف طولها ، دعها تعود إلى ما كانت عليه ، المرونة أن يعود الشيء إلى حالته الأولى ، فالشريان مرن ، لما ينبض القلب يتوسع الشريان ، صار قلبًا ثانيًا ، لأنه مرن يجب أن يعود لما كان عليه ، توسع وعاد إلى ما كان عليه ، صار قلبًا ثانيًا وثالث ورابعا ، جميع الأوعية في الجسم قلوب ، والدليل : ضع يدك في شريان تسمع النبض ، ضعها هنا تسمع النبض، ضعها هنا تسمع النبض ، ضعها عند رجلك في مكان معين تسمع النبض ، معنى ذلك أن الأوعية نبضها يعين القلب .

حينما تمتلئ الأوعية بالدم تمتلئ وتضيق بالدم ذرعاً ، فلا تستطيع أن تكون مرنة ، فيتعب القلب ، والآن دخلنا في موضوع فرعي .

وسائل الوقاية من التبيّغ :

يقول النبي عليه الصلاة والسلام :

((أذيبوا طعامكم بذكر الله ، ولا تناموا عليه فتقسوا قلوبكم))

[الجامع الصغير عن عائشة بسند فيه مقال]

تحت يدي دراسة : أن أفضل شيء للإنسان أن يأكل نصف طعامه صباحاً ، لأن هذا الطعام بعده ثماني ساعات عمل ، وكثير من الناس يدعي أنه أكابر ، فلا يأكل صباحاً ، لكن يتعشى عشاء ، ويذهب إلى النوم فوراً ، تأكل مواد دسمة ، وكثيرة ، والنوم راحة ، لذلك أفضل دراسة أن تأكل الطعام صباحاً نصف كمية الطعام ، لأن عقبه ثماني ساعات عمل ، الظهر تأكل خمسة وثلاثين بالمئة ، مساءً تأكل خمسة عشر بالمئة :

((أذيبوا طعامكم بذكر الله))

لي قريب توفي ـ رحمه الله ـ عنده نظام في حياته ، أنه يجب أن تجتمع الأسرة بأكملها على وجبة طعام واحدة ، هذا لقاء فيه حديث ومؤانسة ، وسؤال وجواب ، وطرفة ، وفيه تفقد وضع الطالب بمدرسته ، فيمكن أن يمتد الطعام ساعة ، ولا داعي أن نأكل مثل الجمال ، ونقوم قبل الرجال ، هذه لا آية ولا حديث ، هذا كلام فيه حمق ، كُلْ بهدوء لقمة لقمة ، امضغ جيداً ، آنس من حولك ، تحدث ، تأدب ، اجعل الجو مرحاً ، لأن السعادة النفسية تعين على الهضم .

((أذيبوا طعامكم بذكر الله ، ولا تناموا عليه فتقسوا قلوبكم))

الإنسان يأكل أكلة دسمة ، وينام ، والقلب ينبض خمسة وخمسين نبضة ، والدم حركته بطيئة ، كل حمولاته دهنية ، تترسب في الأوعية ، وكلما ترسبت هذه الحمولات ، ومضى عليها الوقت أصبحت متكلّسة ، عندئذ يفقد الشريان مرونته ، وما عاد قلب آخر ، لم يعُدْ يعين القلب ، بل صار عبئًا عليه ، فيتضخم القلب .

((أذيبوا طعامكم بذكر الله ، ولا تناموا عليه فتقسوا قلوبكم))

ما هي الحجامة ؟ هي نقص الدم المنتظم الذي يخفف الضغط على الأوعية .

بالمناسبة أيها الأخوة الدين النصيحة أنا علي أن آخذ بالأسباب ثم أتوكل ، أما التوكل بلا أخذ بالأسباب هذا خطير ، في عندنا أمراض خطيرة جداً لماذا هي خطيرة ؟ ليس لها أعراض أبداً ضغط الدم المرتفع من أخطر الأمراض لأن ما له أعراض يكون ضغطه ثمانية وعشرين دون أن يشعر ، ضغط الدم المرتفع سماه الأطباء القاتل الصامت ، من أعراضه أو من نتائجه بالتعبير المعاصي جداً من تداعياته خثرة بالدماغ يعني شلل أو عمى أو فقد ذاكرة أو صمم ، من تداعياته فقد البصر .

لذلك لا مانع أن يكون في كل بيت في جهاز ضغط ، لأنه لا أعراض للضغط ، وهو القاتل الصامت ، فأنت بالأربعينيات ضغطك 8/12 ، جيد ، بالخمسينات 13/ 9 ، ثم ، 16/10 ، هذا الضغط الحدي ، أما فوق 10/16 فهو مرض ، ولا بد من طبيب ، من فضل الله على الإنسان أن تقدم الطب لكرامة الإنسان عند الله ، الآن الضغط له أدوية يمكن تكون مثل الغذاء ، فيرجع الضغط طبيعيًّا ، لأن الضغط يكون ناتجًا أحيانا عن توتر عصبي .

أنا أقول دائماً : بعض أنواع ضغط الدم سببها ضغط الهم ، وهناك ضغط عصبي ، وضغط نفسي ، شدة نفسية ، وضغط وعائي ، لأن المواد الدهنية مترسبة على جدر الشرايين ، وفقدت مرونتها ، فارتفع الضغط ، والنبي الكريم يقول :

((من أراد الحجامة فليتحر سبعة عشر أو تسعة عشر أو إحدى وعشرين ، ولا يتبيغ بأحدكم الدم فيقتله))

[ابن ماجه عن أنس بسند صحيح]

سآتيكم بشاهد : الذي عنده كومبيوتر (الهارد) الأساسي C المشغل إذا كان ممتلئاً لا يعمل الكومبيوتر لا بد من فراغ بالمئة خمسة عشر ، لو أنت فحصته في الخصائص تخرج دائرة معظمها أزرق ، وقسم أحمر ، لولا هذا الفراغ لا يعمل الهارد ، والدم كذلك لا بد من فراغ حتى تتجاوب الأوعية مع القلب ، لذلك :

((من أراد الحجامة فليتحر سبعة عشر أو تسعة عشر أو إحدى وعشرين ، ولا يتبيغ بأحدكم الدم فيقتله))

هذا الكلام مرة ثانية : ليس من عند النبي ، ولا من ثقافته ، ولا من خبرته ، ولا من معطيات عصره ، ولا من توقعاته ، إنما هو وحي يوحى ، قال تعالى :

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى)

[سورة النجم]

قال تعالى :

(الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ)

[سورة الشعراء]

الأخذ بالأسباب قمّة الإيمان والتوكل :

ما قال : وإذا أمرضني ، قال : وإذا مرضت ، فالأخذ بالأسباب قمة الإيمان ، الإيمان بحقيقته أن تأخذ بالأسباب ، وكأنها كل شيء ، ثم تتوكل على الله ، وكأنها ليست بشيء .

لكن جاءني سؤال مرة : أن المرأة هل عليها حجامة ؟ فكان جوابي : إن المرأة التي تصلي ، ثم لا تصلي لعذر ألمَّ بها ليس عليها حجامة .

بالمناسبة المرأة قلّما تصاب بالجلطة ، لكنها تسبّب الجلطة .

لكن بعد أن تصلي المرأة دائماً يجب أن تحتجم ، إذاً الحجامة من سنة النبي عليه الصلاة والسلام ، أحياناً مرض الشقيقة يزول بالحجامة .

بالمناسبة ، أنت مسلم ، ركعت نزل الدم إلى الرأس ، رفعت تراجع الدم ، فتوسعت الأوعية توسعت ، ثم رجعت إلى ما كانت عليه ، سجدت توسعت ، ثم رجعت ، سجدة ثانية ، أول ركعة ثلاث مرات ، والثانية ثلاثة ، والثالثة ، والرابعة ، الصبح أربعة ، والظهر عشر ، والعصر أربع والمغرب خمس ، والعشاء تسع ، كل ركعة ثلاث ، كم مرة صعدت ونزلتَ ؟ ما الذي يحدث ؟ يكتسب الوعاء في الدماغ مرونة ـ لا سمح الله ولا قدر ـ يرتفع الضغط فجأة لأسباب معينة ، فالذي يصلي أوعيته مرنة ، تتحمل الضغط ، والذي لا يصلي أوعيته غير مرنة فينفجر الوعاء ، فيسبب خثرة بالدماغ .

اللهم عافنا جميعاً من أمراض وبيلة .

والله يا أيها الإخوة ، هناك أمراض تجعل حياة الإنسان جحيماً لا يطاق ، والمعجزة ألا يصاب الإنسان بالمرض ز

هناك معنى دقيق جداً أتمنى أن أوضحه : لو أنّ طريقًا عرضه مئة متر افتراضاً ، وعلى اليمين وادٍ ، وعلى اليسار وادٍ ، والإنسان راكب مركبته ، ويمشي في الوسط ، غفل نصف دقيقة ، لا يحدث شيء ، لأن الطريق عريض جداً ، لكن لو أن الطريق عرضه بعرض السيارة ، وعلى اليمين واد ، وعلى

اليسار واد ، وغفل ، سيقع في الوادي ، الحالة الأولى فيها توسعة ، والحالة الثانية فيها دقة ، لأن الإنسان مكلف ، ولأنه مخير فطبيعة الحياة ليست على التوسع .

مثلاً : عندك خمسة أولاد ، أتيت بمئة كيلو من البرتقال مثلاً ، وضعتا في مكان ، قد لا يأكلون ، الكمية كبيرة جداً ، بهذه الطريقة لا يمكن أن يمتحن الأطفال بمدى انضباطهم الاجتماعي ، لكن فرضاً لو أحضرت عشر برتقالات ، الذي أكل ثلاثة ترك أخاه على برتقالة واحدة ، والذي أكل أربعة حرم أخاه البرتقال .

طبيعة الحياة أن يغتني إنسان ، ويفقر إنسان ، تغتني أمة بالعدوان وتفقر شعوب ، تصميم الأرض أن الهوامش ضيقة ، لماذا كانت الهوامش ضيقة ؟ لأن الإنسان مخير ، ومكلف ، فأي خطأ يرتكبه يظهر في الآخرين .

منذ أيام بلعت طفلة بذرة زيتون ، وأسيء معاملتها في مستشفى عامة ، حدث نقص أوكسجين في الدماغ ، فأصيبت بعاهة دائمة ، فطلقت أمها الزوج ، لأنه لا يعمل ، فيرعى ابنته ، قلت : هذا الذي قصر في معالجتها سبب شقاء أسرة ، الأب عاطل لا يمكن أن تترك البنت وحدها ، وزوجته مطلقة ، ولا أحد يرعاها ، قال تعالى :

(إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ)

[سورة يس : 12]

كل أعمالكم آثارها مسجلة عليك .

من التعليلات العلمية للحجامة :

إذاً : الإنسان المؤمن عنده حاجة كبيرة جداً إلى أن يكون منضبطاً بضوابط الشرع ، فالحجامة من تعليلاتها العلمية : أن هذا المعمل الضخم معمل كريات الدم الحمراء الذي أودعه الله في حصن حصين، والذي قد يتوقف كلياً عن العمل هذا المعمل صيانته وتقويته بنقص الدم المنتظم ، والذي قاله النبي عليه الصلاة والسلام وحي يوحى ، والحجامة لها أحاديث كثيرة ، هناك سبعة عشر حديثاً شريفاً يتحدث عن الحجامة ، وعن بعض ما فيها من فوائد .

لي صديق كان مقيم في مصر ، ثم أقام بالشام ، والده يتمتع بقدرة عالية جداً ، وله منصب رفيع في مصر ، معه شقيقة دائمة ، فزار مرة ابنه في الشام واحتجم ، معاناة الشقيقة خمسًا وعشرين سنة ، فشفي منها ، الغريب أنه يركب الطائرة كل عام إلى دمشق ليحجم ويعود .

أحياناً نصائح المصطفى صلى الله عليه وسلم من عند الخالق ، هذه من عند الصانع ، لذلك الحديث :

((من أراد الحجامة فليتحر سبعة عشر أو تسعة عشر أو إحدى وعشرين ، ولا يتبيغ بأحدكم الدم فيقتله))

[ابن ماجه عن أنس بسند صحيح]

طبعاً نحن حينما نبحث عن حكم الحجامة ، هذه من وسائل الدعوة ، أما المؤمن الصادق فيحتجم دون أن يفهم حكمة الحجامة ، لأن فيها حديثاً صحيحاً .

هناك قصة أذكرها دائماً : أن عالماً من علماء دمشق سافر إلى أمريكا ، والتقى بإنسان على جانب من العلم كبير ، لكنه أسلم ، فجاء موضوع لحم الخنزير ، وتحاورا ، وتحدث العالم الدمشقي ساعة وزيادة عن مضار لحم الخنزير ، فلما انتهى من حديثه الطويل قال له هذا المسلم : كان يكفيك أن تقول لي : إن الله حرمه من دون زيادة .

أنت مع طبيب يحمل شهادة عالية جداً من أعلى جامعة ، يعطيك توجيهات ، لا تفكر أن تحاوره فيها ، هكذا قال لي الطبيب ، عندك استسلام للطبيب ، لذلك الإمام الغزالي يقول : " يا نفس ، لو أن طبيباً منعك من أكلة تحبينها لا شك أنك تمتنعين ، أيكون الطبيب أصدق عندك من الله ؟ إذاً فما أكفرك ، أيكون الطبيب أصدق عندك من الله ؟ الله عز وجل حذرنا من المعاصي والآثام ، حذرنا من جهنم ، وبئس المصير ، يأتي طبيب فيعطي توجيهات لمريض فينصاع فوراً ، قال لها : يا نفس ، لو أن طبيباً منعك من أكلة تحبينها لا شك أنك تمتنعين ، أيكون الطبيب أصدق عندك من الله ؟ إذاً فما أكفركِ ، أيكون وعيد الطبيب أشد عندك من وعيد الله ؟ إذاً فما أجهلكِ .

فكل إنسان يعصي الله عز وجل هو متهم بالكفر والجهل .

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية – موضوعات مختلفة في التربية - دروس حوارية - الدرس (10-28) : الحجامة-2 - التغذية

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 07-05-2006

بسم الله الرحمن الرحيم

أوقات الحجامة المستحبة

أيها الإخوة الكرام ، وردت مداخلة في موضوع الحجامة ، تحدث الأخ الكريم الذي قدم هذه المداخلة عن موعد الحجامة ، وقد كان الموضوع في الدرس الماضي عن الحجامة بين السابع عشر من هذا الشهر وحتى السابعة والعشرين من الشهر القمري الموافق للأشهر الميلادية آذار ونيسان وأيار ، وألا يكون الجو شديد البرد .

احتياطات ضرورية قبل الحجامة

وأن تكون الحجامة تحت عظم اللوح ، والأولى أن تبدأ الحجامة من السن الثانية والعشرين ، وكل أنثى تصلي ، ولا تصلي بعذر ليس عليها حجامة ، أما إذا صلت باستمرار فيتوجب عليها الحجامة ، وأن تكون على معدة فارغة ، بالتعبير العامي على الريق ، وأن تكون بكؤوس معقمة ، وأن يكون الإنسان المتقدم للحجامة لا يعاني من دوار أو غثيان أو ذا ضغط منخفض ، أن يكون الذي يحجم مرتاحاً ، ولا يبذل أي مجهود في الليلة السابقة ، كالقيام بمجهود زوجي مثلاً ، يجب أن يكون مرتاحاً في الليلة التي تسبق الحجامة ، وعدم الاستحمام قبل الحجامة ، لأنه يؤدي إلى تنشيط الدورة الدموية ، مما يؤدي إلى تحريك الدم الراكد بما فيه من شوائب من منطقة الكاحل .

ثم يقول الأخ الكريم جزاه الله خيراً : يفضل الابتعاد عن الحليب ومشتقاته في عشاء اليوم السابق للحجامة ، وعدم تناول أدوية الضغط للمصابين بارتفاع الضغط في يوم الحجامة وقبلها بعدة ساعات .

احتياطات ضرورية بعد الحجامة

أما شروط ما بعد الحجامة : فأن يأكل المحجوم الطعام سهل الهضم ، كالخضار والفواكه ، ويأكل عادة الفتوش ، ويحظر تناول الحليب ومشتقاته ، كالجبن واللبن والقشدة ، والأكلات المطبوخة طوال نهاره ، كي لا يمتص الدم الكالسيوم مما يؤدي إلى ارتفاع الضغط فجأة .

النقطة الدقيقة أن الحجامة ليست أسلوباً علاجياً بدائياً ذكره النبي عليه الصلاة والسلام ، هكذا قيل في برنامج حول الحجامة ، ليس أسلوباً بدائياً ذكره النبي عليه الصلاة والسلام ، لأن النبي عليه الصلاة والسلام مشرع ، ولا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى .

دفاع عن الحجامة

مثلاً : القرآن الكريم ما ذكر إرضاع الطفل بحليب غير حليب المرأة ، وقد يقول قائل : إما أن يرضع الطفل الصغير من أمه أو غير أمه ، أما الآن فهناك رضاعات وحليب خاص بالصغار ، الحقيقة أنه يجب أن نعلم أن القرآن حينما أغفل الحليب غير البشري من بقر أو من أي مصدر آخر هذا الحليب فيه حموض أمينية خمسة أضعاف ما يحتمل الطفل ، لذلك هناك آفات كثيرة قلبية ووعائية تظهر في مستقبل حياة الطفل ، لم يذكر القرآن الكريم :

(وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى)

[سورة الطلاق : 6]

القرآن الكريم ما سمح أو ما أشار إلى حليب يأخذه الطفل عن طريق زجاجة وحليب معقم ، أو حليب بقر أو حليب ... ثبت أن أكثر آفات القلب والأوعية سببها أن الحليب فيه خمسة ضعاف من الحموض الأمينية ما يحتملها الطفل ، والحجامة كذلك ليست أسلوباً بدائياً للمعالجة بل هي من سنة النبي عليه الصلاة والسلام .

وكلما تقدم العلم كشف عن جانب من جوانب عظمة هذا الشرع الحكيم ، لكن الذي حصل قبل عامين فيما أذكر أن الناس أقبلوا على الحجامة إقبالاً وبائياً ،، توهموا من إعلانات ليست موضوعية ولا صحيحة ، أنها تشفي من كل مرض ، أسلوب وقائي أحياناً ، وأسلوب علاجي للشقيقة ، أو ارتفاع التوتر الشرياني ، الضغط ، وقاية وعلاج ، أما أن تصلح لكل مرض فهذا فيه مبالغة ، لذلك مرة شكا إنسان إلي أنه لا يجد بيتاً يسكنه ، قلت له : اذهب فاحتجم ، على هذا القياس كل شكوى علاجها الحجامة، أي قضية تعاني منها نقول له : اذهب واحتجم .

1 -ازدياد عدد الجرائم في الأيام التي تستحب فيها الحجامة

أيها الإخوة الكرام ، أجريت دراسة اجتماعية في أمريكا ، هذه الدراسة أساسها أن الباحث زار عددًا كبيرًا من مراكز الشرطة ، وأخذ ضبوط الجرائم التي وقعت ، وقلب هذه الضبوط من التاريخ الميلادي على التاريخ الهجري ، فتبين أنه في هذه الأيام الثلاثة ترتفع نسبة الجرائم ستين بالمئة ، هو أخذ ضبوط الجرائم في مراكز الشرطة بأكثر من ولاية ، وقلبها إلى التاريخ الهجري ، فإذا أحداث العنف والقتل والسرقة والعدوان والاغتصاب ترتفع نسبته في هذه الأيام الثلاثة إلى ستين بالمئة ، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى .

2 – ويخلق ما لا تعلمون

ذكرت اليوم إنسانًا راكبًا أحدث طائرة ، هناك 777 الآن ، وفي 380 ، هذه ألف راكب ، وإذا ركب الإنسان مثل هذه الطائرات ففيها رفاه يفوق حد الخيال ، أمامه مثلاً مئة محطة ، إنترنيت ، فضائيات ، أخبار ، عصير ، مقعده يصبح سريراً ، فإذا فتح القرآن الكريم وهو على هذه الطائرة ليقرأ فتح على صورة النحل ، فإذا بقوله تعالى :

(وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا)

[سورة النحل : 8]

وهو راكب 777 على مقعد وثير ، الجو مكيف ، كل عشر دقائق ضيافة ، الصحف ، المجلات ، الإنترنت ، الفضائيات ، يمكن أن يرى ما تحته بآلة تصوير أو أمامه ، و الحرارة ، سرعة الرياح ، الرياح المعاكسة ، الارتفاع ، الانخفاض ، المدن ، شيء كالخيال تماماً :

(وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا)

[سورة النحل : 8]

أي إذا كان النبي الكريم جاء بهذا القرآن من عنده تنتهي الآية هنا ، في حياة النبي خيل و بغال وحمير و زينة ، أما لأنه كلام الله عز وجل فقال :

(وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)

[سورة النحل : 8]

إذاً هو كلام الله ، فإذا ركبت طائرة فخمة فقد جاء ذكرها في القرآن :

(وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)

[سورة النحل : 8]

لذلك العقل متاح له أن يؤمن عن طريق الكون بإله موجود ، واحد كامل ، ومتاح له أن يؤمن بأن القرآن كلامه من خلال الإعجاز العلمي .

3 – علم الأجنة

دراسات في علم الأجنة طويلة ، اكتشف أن الذي يحدد كون الجنين ذكراً أو أنثى هي النطفة ، و ليست البويضة ، تفتح القرآن الكريم :

(وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى)

[سورة النجم]

الذكر والأنثى من نطفة .

4 – علم الذرة

تدرس في علم الذرة أن كل شيء في الكون يتحرك حتى هذه الطاولة ، حتى هذا الحجر الصلب ، كل شيء يتحرك ، ذرات ، نواه ، كهارب ، مدارات ، شحنات إيجابية ، شحنات سلبية ، تفتح القرآن قبل ألف و أربعمئة عام :

(وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)

[سورة يس : 40]

كل هذه الكلمة من ألفاظ الإبهام في اللغة ، أي أنها تصدق على كل شيء :

(وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)

[سورة يس : 40]

5 – الظلام في الفضاء الخارجي

يخترع الإنسان المركبة الفضائية ، و يصل إلى أعماق الفضاء فيما بين الأرض و القمر ، ويتجاوز الغلاف الجوي ، وسمك هذا الغلاف الجوي خمسة وستون ألف كيلو متر ، ثم فجأة ينتقل رائد الفضاء من جو مضيء إلى جو حالك الظلمة ، فيصيح من أعماقه : لقد أصبحنا عمياً ، أحد كبار علماء الذرة مصري الأصل كان في قاعدة إطلاق المركبات الفضائية بفلوريدا ، و سمع بأذنه صياح رائد الفضاء : لقد أصبحنا عمياً ، نفتح كتاب الله الذي نزل قبل ألف وأربعمئة عام ونقرأ :

(وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ)

[سورة الحجر]

بالعقل وحده يمكن أن تؤمن أن هذا القرآن كلام الله .

6 – وردة كالدهان

تعرض وردة في موقع فضائي ، هذا الموقع يمثل أكبر محطة فضاء في الأرض ، ناسا ، هذه لها موقع في الإنترنت ، عرضوا صورة قبل عشر سنوات لا يمكن أن تشك لحظة واحدة إلا أنها وردة جورية ، أوراق حمراء داكنة ، وريقات خضراء زاهية ، كأس أزرق في الوسط ، وتحتها التعليق التالي : " إنها صورة انفجار نجم اسمه عين القط يبعد عن الأرض ثلاثة آلاف سنة ضوئية " ، تفتح القرآن الكريم الذي نزل قبل ألف وأربعمئة عام وتقرأ :

(فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ * فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)

[سورة الرحمن]

لذلك القرآن الكريم معه أدلة أنه كلام الله ، وأنت بالعقل تؤمن يقيناً أن القرآن الكريم كلام الله ، ولأن الإنسان الذي جاء بهذا القرآن هو رسول الله ، إذاً يمكن أن تؤمن بالله واحداً ، وموجوداً ، وكاملاً ، وبأن القرآن كلامه ، وبأن محمد بن عبد الله رسوله ، فإذا آمنت يجب أن يتوقف العقل ليبدأ التلقي عن الوحي وحي السماء .

أهمية الإعجاز العلمي في الدعوة إلى الله

أيها الإخوة الكرام ، أنا لا أرى أنه في هذا الزمان الذي اشتدت الهجمات على الدين ، وعلى القرآن ، ما من مادة أقوى في الدعوة إلى الله من الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، الآن دققوا لماذا كانت معجزة النبي عليه الصلاة والسلام القرآن ، و معجزة سيدنا موسى معجزة العصا ؟

السحرة أتوا بأنابيب مطاطية ، ولونوها على شكل ثعبان ، وضعوا فيها زئبقًا ، وضعوها على سطح ساخن ، الزئبق تمدد ، تحرك ، فخيل إليه من سحرهم أنها تسعى ، أما سيدنا موسى فأمسك عصاً ، فألقاها فإذا هي ثعبان مبين ، لأن العصر تفوق في السحر جاءت معجزة رسول الله ، عصا تصبح ثعباناً مبيناً ، لا يستطيعها ساحر مهما تفوق ، ولأن الطب تقدم تقدماً عالياً جداً في عصر سيدنا عيسى فجاءت معجزته أنه يبرئ الأكمه والأبرص ، ويحيي الموتى بإذن الله ، ولأن عصر النبي عصر بلاغة وفصاحة وبيان جاء الإعجاز البلاغي في القرآن ، ولأن القرآن لنهاية الدوران ، والله عز وجل علم أن

العلم سيأخذ أكبر دور في حياتنا جاءت ألف وثلاثمئة آية ، أي سدس القرآن تتحدث عن الكون بشكل معجز .

أيها الإخوة الكرام ، ما من كتاب مؤلف من مئة عام بعد تطور العلم إلا ظهرت أخطاء كبيرة فيه ، أنا لا أذكر اسم العالم الجليل الكبير العظيم ، لكن هذا الذي حصل .

كتاب لعالم كبير جداً يقول : إن الإنسان إذا أكل طعاماً حاراً يصعد بخار الطعام إلى الدماغ ، لأن المعدة في تصوره كالوعاء مكشوفة ، فالبخار يصعد إلى الدماغ ، لكن حتى الآن ما ظهرت حقيقة علمية تناقض آية قرآنية أبداً ، فتوافق القرآن مع العلم توافق حتمي ، لكنني أحذركم من أن تثنوا على القرآن إذا وافق العلم ، إياكم ، يجب أن نثني على العلم إذا وافق القرآن الكريم ، القرآن وحي من عند المطلق ، فالعلم كلما تقدم يقترب من القرآن الكريم ، فالثناء لا على القرآن إذا وافق العلم ، بل الثناء على العلم إذا وافق القرآن .

نصائح طبية مهمة : كلوا كل شيء ، قليلا ، مع الجهد ، واحذروا الشدة النفسية

كُلْ كل شيء

أيها الإخوة الكرام ، أبدأ درس التغذية بكلام شفهي قاله طبيب لامع في هذه البلدة قال أربع كلمات ، وصدقوا أن هذه الكلمات الأربع تجمع الطب كله ، قال : كلوا كل شيء واحد، وكلوا قليلاً اثنين ، وابذلوا جهداً ثلاثة ، وابتعدوا عن الشدة النفسية أربعة .

احفظوا هذه الكلمات ، أي شيء وقعت عينك عليه أنا أرجح أن تشتريه ، وأن تأكله ، شوندر له وظيفة، اللفت له وظيفة ، الفلفل لها وظيفة ، أي شيء وقعت عينك عليه الأولى أن تشتريه ، أي شيء من الطعام طبعاً لتأكله ، فلو درست خصائص الأغذية لأخذك العجب العجاب ، إنها أدوية .

نضرب أمثلة بجهاز الهضم ، غشاء مخاطي ، هذا الغشاء المخاطي مهم جداً ، زلق إلى درجة مذهلة ، لا يسمح للطعام أن يعشعش في ثنايا الأمعاء ، هذا الغشاء المخاطي صيانته وتجديده بالملوخية ، أحببتها أم لم تحبها ، ينبغي أن تأكلها ، ينقلنا إلى شيء اسمه الحب العقلي والبغض العقلي ، وكلما ارتقى الإنسان يحب بعقله ، ويكره بعقله ، وكلما هبط مستواه العقلي يحب بأحاسيسه .

ذكرت لكم من قبل أن جلسة كل أسبوعين مع أطباء قلب ، أكثرهم قدمت حلوى نفيسة جداً ، أساسها القشطة ، لم يأكل ، فلما ضغط عليه صاحب البيت أن يأكل قال : والله أحبها أكثر منكم جميعاً ، لكنني أرى كل يوم الأوعية المسدودة بالقشطة فأكرهها .

فكلما ارتقى يحب بعقله ويكره بعقله ، أكثر من سبعين بالمئة من الناس لا يشربون إلا إذا عطشوا ، وهذا خطأ كبير ، ينبغي أن تشرب ، عطشت أم لم تعطش ، لأن الكليتان الصيانة الوحيدة لهما شرب الماء ، وكلما شربت أكثر كانت الكلية أسلم ، وأدت وظيفتها أكثر .

أهمية الوعي الصحي

إذاً الوعي الصحي مهم جداً أيها الإخوة الكرام ، والدول المتخلفة مع أنها متخلفة ، ومع أنها فقيرة ، نصف دخلها يذهب لمعالجة أمراض نتجت من ضعف الوعي ، والله أتمنى أن يكون كل واحد منكم متمتعًا بوعي صحي كبير جداً .

قلت لكم من قبل : أكثر السمون المهدرجة مؤذية جداً ، كلمة مهدرج مادة دهنية رخيصة جداً تهدرج ، فتغدو كالسمن تماماً ، وكلمة هدرجة تجعلها مشبعة ، والمشبعة لا تهضم ، تجول في الدم إلى أن تترسب في جدران الأوعية ، تضيق ، تخف مرونتها ، يتعب القلب ، أما الدهون غير المشبعة ، هذه تهضم ، وعلى رأسها زيت الزيتون ، زيت الزيتون لو تقرؤون عنه ما فيه من فوائد لوجدتم إلى أن يكون دواء أقرب أن يكون غذاءً .

إذاً كُلّ كل شيء ، براصية ، أكلة براصية ، ما من مادة الله خلقها إلا فيها فائدة للجسم من زاوية ، أنا ما كنت أصدق أن الجوز يعد مادة أساسية جداً لتغذية خلايا الدماغ ، الجوز غير المكدوس كل عام ، فكل مادة تراها عينك لها فائدة معينة ، أحياناً تستخدم الليمون في السلطة ، الليمون مادة معقمة ، عشر نقط ليمون في لتر ماء تعقمه نهائياً ، مادة معقمة ، إذا هناك أخطاء بالسلطة ، يوجد أشياء غير نظيفة مئة بالمئة ، الليمون يحل هذه المشكلة ، إذا كلْ كل شيء

و كلْ قليلاً و ابذل جهداً و ابتعد عن كل شدة نفسية .

بذل الجهد

بقي أيها الإخوة : نأكل كل شيء ، ونأكل قليلاً ، ونبذل جهداً ، وإذا خدم الإنسان نفسه في البيت هذا هو الحد الأدنى من الرياضة .

أنا أعجب ، الإنسان أحياناً يحس أن الرياضة حركات ، لكن غير هادفة ، يوجد أشخاص رياضتهم أن يصونوا مزرعتهم أحياناً ، يحفر ، يرتب ، الحركة الهادفة ، فيها متعة ، تقوم بعمل مفيد لك ، ومع أن هذا العمل مفيد لك يقوى جسمك ، إذا كان عند شخص إمكانية أن يعمل عملاً بالبيت بشكل ثابت يكون أنجز عملاً ، و كسب محبة من حوله ، واستفاد جسمه ، أما الحركات غير الهادفة أحياناً تكون مملة ،

هذه الملاحظة ، أي أن تعتني بحديقة بيتك ، أن تنقل بعض أجزائها من مكان إلى مكان ، أن تبذل جهداً هذا لعله مفيد جداً .

و قلت لكم من قبل : إن أحد أكبر أسباب انتشار المرض الآن ما هو ؟ كسل عضلي ، و شدة نفسية ، وأحد أكبر أسباب صحة الأجداد جهد عضلي عال ، و راحة نفسية ، أحد أسباب صحة السلف السابق أن حياته متعبة ، و التعب هو الصحة .

حدثني أخ كان بأمريكا شاهد ندوة ، أن السيارة تجلب للإنسان أمراض القلب والكبد والكليتين ، أما الحصان فيقي من أمراض القلب والكبد والكليتين ، يوجد حركة ، يوجد اهتزاز ، فلذلك قضية بذل الجهد يظن الإنسان أنه من وجهاء القوم ، يعطي أوامر ، يتلقى جهود الآخرين ، فهو من الوجهاء ، أما هذا الذي يقدم لك الخدمات فصحته أعظم منك بكثير ، لأنه يبذل جهداً ، لكن النبي يعلمنا أنه يبذل جهداً مع أصحابه ، ما أنتما بأقوى مني على السير ، و لا أنا بأغنى منكما عن الأجر ، وإن الله يكره أن يرى عبده متميزاً على أقرانه .

التوحيد علاج الشدة النفسية

الشدة النفسية تحتاج إلى توحيد وإيمان ، شخص قال لعبد عند صديقه ـ قصة قديمة جداً ـ قال له : سمعت أن سيدك ينوي أن يبيعك ، فأجابه : يعرف عمله ، قال له : أنا أفكر أن أشتريك ، قال له : تعرف عملك ، قال له : أقول لك هذا لكي تهرب ، قال له : أعرف عملي ، أنت عليك أن تطيعه فقط :

أطع أمرنا نرفع لأجلك حجبنا فإنــا منحنا بالرضا من أحبنا

و لذ بحمانا و احتم بجنابنـا لنحميــك مما فيه أشرار خلقنا

و عن ذكرنا لا يشغلنك شـاغل و أخلص لنا تلقَ المسرة و الهنا

و سلم إلينا الأمر في كل ما يكن فما القرب و الإبعاد إلا بأمرنا

إخواننا الكرام ، الشدة النفسية لها علاج ، هو التوحيد والاستقامة ، لأن الذين يسيئون ترهقهم ذلة ، إياك و ما يُعتذر منه .

أخت اختلف زوجها مع والدها ، فوالدها أمرها أن تفتري على زوجها بشيء هو بريء منه ، الآن دعاها لحلف اليمين ، إن حلفت سقطت من عين الله ، وإن لم تحلف فأمامها السجن ، يجب أن تتدبر الأمر قبل وقوعه ، أن تتدبر عاقبته ، التوحيد يحل مشكلة .

إخواننا الكرام ، بالاستقامة تبقى رافع الرأس ، تقريباً تسعة وتسعون بالمئة من فضائح البشر كبارًا وصغارًا عبر التاريخ البشري فضيحة جنسية أو مالية ، فإذا كنت محصناً من المال الحرام ، والمرأة

الحرام فأنت في حصن ، وأنت رافع الرأس ، لذلك احتج الرجل تكن أسيره ، واستغن عنه تكن نظيره ، أحسن إليه تكن أميره .

الإنسان إذا كان الإنسان مستقيما لا يحتاج إلى توفيق فلان أو علان ، ولا يتضعضع أمام قوي أو غني أبداً ، ورد في بعض الآثار أن الاقتصاد في المعيشة خير من بعض التجارة ، تجارة بأموال الناس ، ومفاجئات ، وإفلاسات ، وكل واحد معه سند ، ومعه وثيقة ، ويهدد بالسجن ، لا ، اكتف بدخل معقول ، وابتعد عن الهم ، دققوا في هذا الحديث :

((من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ من حتفه وهو لا يشعر))

[ورد في الأثر]

قلبه لا يحتمل الشدة النفسية ،

((من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ من حتفه وهو لا يشعر))

الشدة النفسية علاجها الاستقامة والتوحيد ، أنت بالاستقامة تسلم ، وبالتوحيد لا تحقد ، الأمر بيد الله عز وجل .

كُلْ كل شيء ، وكل قليلاً ، وابذل جهداً ، وابتعد عن الشدة النفسية بالاستقامة والتوحيد .

والله علم الصحة كله بهذه الكلمات الأربع ، كُلْ كل شيء ، وكل قليلاً ، وابذل جهداً ، وابتعد عن الشدة النفسية عن طريق الاستقامة والتوحيد .

التوحيد الأمر بيد الله عز وجل ، الآن ننهي هذا الدرس ، أنا كنت في أمريكا في لوس أنجلوس ، قدم لي أخ كريم كتابًا ، كل مادة نأكلها ما فيها من حريرات وبروتين وشحوم وسكر وفسفور مغنيزيوم كالسيوم حديد صوديوم بوتاسيوم ، كتاب ضخم جداً ، أنا أخذت الحريرات فقط ، وكل إنسان متقدم بالسن يحتاج إلى أن يأكل ، وأن يشبع دون أن يزداد وزنه ، رتبت هذه المواد ترتيباً تصاعدياً .

ترتيب المواد التي لا بد من أكلها بحسب الحريرات

الخل 0 : الخل أكبر مادة مذيبة ، والخل يذيب الكولسترول المترسب على جدران الشرايين ، وخل التفاح بالذات ، والنبي الكريم طوال عمري أظن أن الذي قدم له طعاماً خلاً قال :

((نعم الإدام الخل))

[الترمذي]

أنا ظننت هذا جبراً لخاطره ، لكن تبين بعد حين أن الخل مادة مفيدة جداً ، وأتمنى أن تستخدم يومياً بالسلطة ، الخل 0 .

الخس : 11 حريرة ، كي تعلموا القلوبات 1200 حريرة ، هناك إنسان يبيع موالح بالمصايف وزنه مئة وثمانون كيلوًا ، الموالح 1200 حريرة ، الخس 11 .

الخيار : 12 ،

بياض البيض : 15 ،

الهندبة : 16 .

الخيار : 17 .

البندورة : 19 .

هذه الحريرات مرتبة ترتيباً تصاعدياً ، وهذا الكتاب كتاب ضخم جداً ، أربعمئة صفحة ، أخذت الحريرات بالتسلسل التصاعدي .

كرفس : 19 .

لب الباذنجان : 19 .

الكوسا : 21 .

ورق الملفوف : 21 .

فاصوليا خضراء : 23 .

الفطر : 23 .

قرنبيط : 24 .

باذنجان : 25 .

هليون : 25 .

سبانخ : 26 .

فطر محفوظ يُعلى : 26 .

فليفلة : 26 .

لب الشوندر : 27 .

ملفوف أحمر : 27 .

اللفت : 29 .

ليمون : 29 .

بطيخ أحمر : 30 .

المئة غرام من كل هذه المواد يمكن أن تأكل أكلاً منوعاً جداً ، وشهياً جداً ، وأن تشبع جداً ، دون أن يزداد وزنك ، في أكل قاتولي ، وأهل الشام مختصون به .

الجزر : 32 .

السبانخ : 32 .

حليب من دون دسم : 34 .

أرضي شوكي : 35 .

بصل : 41 .

الفول : 44 .

اللبن : 46 .

اللبن مفيد جداً ، وفي بلد بروسيا يعمر أهلها فوق المئة عام ، معظمهم يأكلون اللبن ، هذا الغذاء الذي يؤخر شيخوخة ، أنا أفضل أن يستخدم اللبن كشراب دائماً ، ما شرب النبي عليه الصلاة والسلام إلا حمد الله عليه ، إلا اللبن قال :

((اللهم زدنا منه))

[ورد في الأثر]

لكن الوضوء باللبن شيء ثان ، هذا موضوع ثان .

البصل : 47 ، كل نوع فيه مئات الأنواع .

الدراق : 51 .

البرتقال : 54 .

البقدونس : 54 .

تفاح : 55 .

الأجاص : 56 .

أناناس طازج : 57 .

توت : 57 .

أرضي شوكي : 59 .

الخوخ : 62 .

المانغا : 62 .

جارنك : 67 .

العنب : 73 .

الجبنة البيضاء : 77 .

بيضة كاملة : 50 غراما 78 .

السمك : 96 .

لحم الدجاج : 99 .

لحم الضأن : 380 .

الدجاج مفيد جداً .

زيت الزيتون : 892 ، مفيد لكن دسمه عال جداً .

إن شاء الله هذه القائمة أنا أعرضها عليكم بلوحة إعلانات لتكتبوا بعض النقاط منها ، طبعاً الطفل له غذاء خاص ، الطفل يحتاج إلى نشويات ، مواد دسمة ، يمكن أن يكون الأكل منوعًا .

قال بعضهم : " إن عشر ما نأكله يكفي لبقائنا أحياء ، وتسعة أعشار ما نأكله يكفي لبقاء الأطباء أحياء".

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية – موضوعات مختلفة في التربية - دروس حوارية - الدرس (11-28) : تحريم التدخين من خلال القرآن والسنة

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 21-05-2006

بسم الله الرحمن الرحيم

نسبة المدخنين في العالم من المسلمين :

أيها الإخوة المؤمنون ، اطلعت على إحصاء أذهلني ، هو أن أكبر نسبة مدخنين في العالم في العالم العربي ، وأن أكبر نسبة مدخنين في العالم العربي من المسلمين ، وحينما أشعر أن أناساً كثيرين يرتادون بيوت الله ، وهم محسوبين على المسلمين ، ويدخنون فلا بد من توضيح الحقائق .

التدخين بين الدرس الشرعي والدرس العلمي :

أيها الأخوة الكرام ، هناك درسان ، درس شرعي ودرس علمي .

الدرس الأول : الدرس الشرعي : حُكم التدخين :

أنا لا أتمنى من أخ كريم أن يدع التدخين خوفاً على صحته بقدر ما يدعه خوفاً من الله عز وجل .
ما حكم التدخين الشرعي ؟

إذا ثبت له بالدليل القطعي أن الدخان محرم شرعاً فينبغي أن يقلع عنه ، بصرف النظر عن كونه نافعاً أو ضاراً ، مريحاً أو متعباً ، الشيء الذي حرمه الله ينبغي أن تَدَعه ، إنك إن فعلت هذا كنت عابداً لله ، أما حينما تدَع الشيء الضار حفاظاً على صحتك فهذا شيء جيد ، لكن هذا الترك لا يعد عبادة ، بل يعد سلوكاً عقلانياً .

في هذا الدرس سأبين لكم الحكم الشرعي من خلال آيات كثيرة ، ومن خلال أحاديث كثيرة ، وفي الدرس القادم إن شاء الله تعالى أبين لكم ما استجد في الطب من أضرار وبيلة من التدخين ، ولا عبرة بأن بعض العلماء السابقين أقر التدخين ، أنا لا أدافع عنهم ، لكنني أعذرهم ، لأنه ما وصلت إليهم الحقائق الخطيرة عن التدخين كالتي وصلت إلينا ، لأنه كما تعلمون الأصل في الأشياء الإباحة ، ولا يحرم شيء إلا بالدليل ، بينما في العبادات الأصل في العبادات الحظر ، ولا تشرع عبادة إلا بالدليل ،

العبادات شيء والأشياء شيء ، الأشياء الأصل فيها الإباحة ، ولا يحرم شيء إلا بالدليل ، الدليل القطعي بالدليل الواضح ، أما العبادات فالأصل فيها الحظر ، ولا تشرع عبادة إلا بالدليل .

أدلة تحريم التدخين :

1 - الأدلة القرآنية :

تذكرون أنني أذكر كثيراً هذه الآية :

الآية الأولى :

(وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ)

[سورة الأعراف : 157]

فكيف إذا وجدتم في كتاب الله اثنتي عشرة آية يمكن أن تكون هذه الآيات دليلاً على تحريم الدخان . أنا لا أريد أن يكون المدخن محسوباً على المسلمين ، هو مسلم لا شك ، لا أنفي عنه الإيمان ، ولا الإسلام ، لكن المدخن يوصف بأنه عاص لله عز وجل ، لا تكن محسوباً على المسلمين ، وأنت لست مستسلماً لرب العالمين .

الآية الثانية :

قال تعالى :

(وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)

[سورة البقرة : 195]

حدثني طبيب جراح طبيب جراحة القلب ، أقسم لي بالله أنه في ثماني سنوات في دمشق يجري عمليات قلب مفتوح ، أقسم لي قسماً مغلظاً أنه ما أجرى عملية قلب مفتوح إلا لمدخن ، وأن احتمال إصابة الإنسان بأمراض القلب من جلطة إلا بذبحة صدرية بين المدخنين ثمانية أضعاف ، واحتمال إصابة الإنسان بأمراض القلب بين المدخنين ثمانية أضعاف ، فحينما يثبت لك ، وهذا سيتضح في درس قادم إن شاء الله أن النيكوتين يعين على التصاق الصفيحات الدموية ، وهذا يسبب الجلطة ، وأن النيكوتين يرفع ضربات القلب ، ويكلف القلب جهداً إضافياً ، هناك أبحاث علمية دقيقة جداً الأطباء أعلم مني بها، لكنه شيء ثابت قطعاً أن الدخان ضرره محقق على جهاز القلب والدوران ، جهاز القلب والأوعية ،

وعلى جهاز التنفس ، وعلى الجهاز الهضمي ، وعلى مجموعة من الأنسجة والأعضاء ، سوف يتضح مداه في درس قادم .

الآية الثالثة :

(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ)

[سورة الأعراف : 157]

بربك هل الدخان طيب أم خبيث ؟ كما قلت في درس سابق : بالدليل الفطري هل تستطيع قبل أن تدخن أن تقول : بسم الله الرحمن الرحيم ؟ وهل تستطيع بعد أن تدخن أن تقول : يا رب أدِم فضلك علينا ، يا رب زدنا منه ، ولا تنقصنا ؟ كاللبن والحليب ؟ لا تستطيع ، هل تستطيع أن تقرأ القرآن وأنت تدخن ؟ هل تستطيع أن تذكر الله وأنت تدخن ؟ هل تستطيع أن تكون في مسجد وأنت تدخن ؟ بالفطرة هو خبيث.

(يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ)

وإذا قلت لي : هي عادة آسرة ، أقول لك : أين إرادتك ؟ ما قيمة شخصيتك إن لم تكن مريداً ، إن لم تكن حراً في اتخاذ القرار ، أين شخصيتك ؟ أين رجولتك ؟

أحد التابعين اسمه الأحنف بن قيس ، هكذا تذكر الكتب ، كان قصير القامة ، أسمر اللون ، ناتئ الوجنتين ، غائر العينين ، أحنف الرجل ، ليس شيء من قبح المنظر إلا وهو آخذ منه بنصيب ، شكل عجيب جداً ، كل صفات الدمامة في هذا التابعي الجليل ، وكان مع ذلك سيد قومه ، كان إذا غضب غضِب لغضبته مئة ألف سيف ، لا يسألونه فيما غضب ، وكان إذا علم أن الماء يفسد مروءته ما شربه.

هذا هو الرجل ، سيد قومه ، وقد جمع جسمه كل صفات الدمامة ، الرجل قيمته بإرادته ، وقيمته بقراره ، وقيمته بعلمه ، وقيمته بأخلاقه .

(يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ)

وهذه الآية الثانية .

الآية الرابعة :

(وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)

[سورة البقرة : 195]

التهلكة محققة في الدخان .

أعرف أخاً توفاه الله عز وجل ، كان عند طبيب القلب ، قال له : أنت سوف تصاب بجلطة ، لا لشيء إلا أنه كان يدخن ، والله الذي لا إله إلا هو لا مِن علم الغيب ، بل من علم القوانين ، بعد ستة أشهر أصيب بجلطة ، وبعد سنتين كانت القاضية ، فلا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة .

ملمح لطيف :

هناك ملمح لطيف جداً ، أن الذي عنده امرأة سيئة ، ولم يطلقها لا يقبل دعاءه ، هو سمح له الشرع أن يتخلص منها ، ولم يطلقها ، فإذا بالغت في إيذائه يكون هو قد سد الطريق على نفسه ، يا رب ، نجني منها ، أنا رسمت لك طريقاً للخلاص منها ، أنت لم تستجب ، إذاً لا أستجيب لك .

لو أن رجلا سأل ربه الصحة ، وهو يدخن ، لا يستجاب له ، بشكل أوضح ، هل من المعقول أن يكون معك مئة ألف ، ثم تحرق هذه المئة ألف ، يا رب ارزقني ، أحرقت المئة ألف بيدك ، كيف يرزقك الله عز وجل ؟

الفكرة دقيقة ، من كانت عنده امرأة سيئة فلم يطلقها لا يقبل دعاءه ، هناك ألف امرأة تتمنى الزواج ، وهي مطواعة مؤنسة ، لطيفة ، ترعاه في بيته ، وفي أولاده ، تطيعه إن أمرها ، تحفظه إذا غاب عنها، تسره إن نظر إليها ، وتتمنى الزواج ، وهذه الزوجة التي تكفر العشير ، والتي تتنعم بزواج ، ثم لا تشكر هذه النعمة هذه ينبغي أن تطلق ، فلذلك الذي عنده امرأة سيئة لا يطلقها ، لا يقبل دعاءه ، والذي يتلف ماله على الدخان لو أنه سأل الله عز وجل أن يرزقه لا يستجيب الله دعاءه ، ولو أن الذي يدمن على الدخان سأل ربه الصحة لا يستجيب الله دعاءه ، الفكرة بديهية ، مئة ألف تتلفها بيدك ، ثم تقول : يا رب ، ارزقني ، هذا تناقض ، أما حينما تحفظ مالك بعدم التدخين ، وحينما تحفظ صحتك بعدم التدخين عندئذ يستجيب الله لك دعاءك .

أيها الإخوة الكرام ، من الحقائق الخطيرة ، لا أقول لكم : جربوا ، معاذ الله ، لو جئت بدخينة واحدة ، ونقعتها في كأس ماء حتى الصباح ، وشربت الماء تموت فوراً ، كلها مواد سامة .

هذا ما يجهله المسلم في صناعة التدخين ونوعيته :

وبالمناسبة ، الشيء الذي يندى له الجبين أن الأجانب ـ قاتلهم الله ـ يضعون واحدًا بالمئة من النيكوتين في الدخان ، والدخان المصدر إلى الشرق الأوسط فيه عشرة بالمئة من النيكوتين ، أسوأ أنواع التبغ يصدَّر إلينا ، نسب المدخنين في بلاد الغرب تهبط ، ونسب المدخنين عندنا تصعد إلى متى ؟ إلى متى

هذه الغفلة ؟ إلى متى نضيع أموالنا ؟ إلى متى نضيع أموالنا ؟ إلى متى نؤذي أجسامنا ؟ إلى متى لا نعبد ربنا ؟

الآية الخامسة :

(وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ)

[سورة النساء : 29]

إتلاف الصحة بالتدخين قتلٌ صريح :

من قال لك : إن هذه الآية أنه محرم عليك أن تأتي بمسدس ، وأن تضعه على رأسك ، وأن تطلق النار، هذه معنى ضيق جداً ، لكنْ أيّ شيء يتلف صحتك هو في حكم القتل ، إنك تقتل نفسك بهذا الدخان ، هذه الآية الثالثة .

كنتم تسمعون مني آية واحدة أصلٌ في تحريم الدخان :

(وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ)

[سورة الأعراف : 157]

أنا الآن آتيكم باثنتي عشرة آية في القرآن الكريم ، كلها يمكن أن يستنبط منها تحريم الدخان .

(وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ)

[سورة النساء : 29]

أنا أعجبتني جداً بعض اللوحات الاجتماعية ، أن المشنقة موت سريع ، الدخان موت بطيء ، ويوجد صورة رائعة جداً ، صحن سيجارة ، وشخص نائم مثل السيجارة ميت ، والله أشياء مؤثرة ، لذلك قالوا: من لم تحدث المصيبة في نفسه موعظة فمصيبته في نفسه أكبر .

إن لم تتأثر بهذا التحذير فأنت المصيبة ، أنت المصيبة .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا ، وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا))

[البخاري ، مسلم ، الترمذي ، النسائي ، أبو داود ، ابن ماجه ، أحمد ، الدارمي]

إذاً : والدخان ؟ الدخان هنا لم يأتِ ، أكثر شيء في الدخان مؤذٍ ؟ القطران ، قال :

(سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ)

[سورة إبراهيم : 50]

ثيابه من بترول ، هو في جهنم جالس ، ما قولك ؟ ائت بقطعة قماش ، وبللها بالبنزين ، وألقها في النار:

(سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ)

[سورة إبراهيم : 50]

الآية الأولى :

(سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ)

[سورة إبراهيم : 50]

و الآية الثانية :

(وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ)

[سورة الأعراف : 157]

و الآية الثالثة :

(وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ)

[سورة النساء : 29]

ومن مات بالدخان فقد قتل نفسه .

قال تعالى :

(سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ)

[سورة إبراهيم : 50]

الآية السادسة :

(وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ)

[سورة الإسراء]

المبذر هو الذي ينفق ماله في معصية أبداً ، تشتري تفاحاً ، تشتري طعاماً ، تشتري لحماً ، تشتري ثياباً ، تشتري لعباً لأولادك الصغار ، تشتري الفواكه لهم ، تشتري حلويات ، هذا كله في الحلال ، تشتري الدخان ، وهو معصية ، فالمال الذي ينفق في معصية هو تبذير ، والمبذر إخوان الشياطين ، وهل الشياطين مؤمنون ؟ لا ، إنهم كفار :

(إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً)

[سورة الإسراء : 27]

إن إنسانًا أجرى حساباً لطيفاً أعجبني ، لو أنه يدخن علبة واحدة في اليوم مجموع هذه العلب تكفيه عمرة كل عام ، تذهب إلى مكة المكرمة ، وإلى المدينة ، وتناجي ربك ، وتزور النبي عليه الصلاة

والسلام ، وتحيي قلبك ، و تقبل على الله ، ثمن علبة واحدة يومياً تكفي للذهاب إلى العمرة ، فهذا الإنفاق إنفاق تبذيري ، والمنفق تبذيراً أخ للشيطان .

إخواننا الكرام ، قال العلماء : " من أنفق ماله كله في الحق ليس مبذراً ، ومن أنفق بعض ماله في الباطل كان مبذراً " .

سيدنا الصديق قدّم كل ماله ، قال له النبي عليه الصلاة والسلام :

((يا أبا بكر ، ماذا أبقيت لنفسك ؟ قال : الله و رسوله))

هل يعد الصديق مبذراً ؟ أبداً .

أما لو اقتطعت من دخلك مبلغاً ثمنًا للدخان فأنت مبذر ، طبعاً العلماء قالوا : " المسرف هو الذي ينفق ماله في المباحات إسرافاً ، أما المبذر فهو الذي ينفق ماله في المعاصي " .

الآية السابعة :

(إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ)

[سورة المائدة : 91]

هل تستطيع أن تقرأ القرآن وأنت تدخن ؟ إذاً في وقت الدخان أنت ممنوع أن تقرأ القرآن ، ممنوع أن تذكر الله ، هل تستطيع أن تدعو إلى الله وأنت تدخن ؟ مستحيل ، إذاً ماذا يفعل الدخان ؟ يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة .

الآية الثامنة :

(وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ)

[سورة الأنعام : 151]

الفاحشة الفعل الذي يستفحشه الناس ، إنك لو رأيت ابنك الصغير يدخن ماذا تفعل به ؟ تقوم عليه الدنيا، ما هذه التفرقة ؟ لماذا تقيم عليه الدنيا والكبير يدخن ؟

مثلاً : معلم يدخن ، فإذا ضبط مع تلميذ علبة دخان يأخذه إلى المدير ويفصله ، ما هذا التناقض ؟ المحرم محرم على الكبار والصغار ، والمباح مباح على الكبار والصغار .

أب يدخن ، فإذا ضبط مع ابنه علبة دخان يقيم عليه الدنيا ، أنت قدوة له فلذلك :

(وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ)

[سورة الأنعام : 151]

والذي يدخن سراً يقرب الفواحش ما بطن منها ، والذي يدخن جهراً يقرب الفواحش ما ظهر منها .
من الشيء الثابت أن الذي لا يدخن إذا جالس المدخن ثمانية عشرة بالمئة من أثر التدخين يصيب غير المدخنين بقطار ، بطائرة ، بسيارة ، في بيت الأب المدخن والأم المدخنة دون أن يشعرا يسببان لأولادهم من مضار التدخين ما يساوي الخمس بالضبط .
ثمة قصة غريبة جداً ، هذه القصة في إيطاليا ، تروى هذه القصة بشكل دقيق ، ابنة لعامل زراعي بسيط ، وأم لا تعمل ، يعيشون بقرية بالقرب من روما ، بدأت مأساتها حينما كانت جنيناً في بطن أمها ، كانت الأم مدخنة ، فلما نزلت الطفلة من بطن أمها كانت مشبعة بالنيكوتين ، فأصبح المخدر بالنسبة إلى الطفلة لازم فكانت تلعب بعلب السجائر ، وتأخذ السيجارة ، وتمضغها بفمها ، وتحاول أن تبتلعها ، لأن الأم المدخنة ـ هذا شيء ثابت ـ تؤذي الجنين الذي في بطنها ، دم الجنين من دم الأم ، لذلك ارحم أولادك ، هذا الذي يدخن في غرفة الجلوس في الشتاء خمس الضرر يصيب الأولاد ، هذا الذي يدخن في سيارة عامة خمس الضرر يصيب غير المدخنين ، هذا الذي يدخن في الطائرة خمس الضرر يصيب غير المدخنين ، نحن ـ والحمد لله ـ وهذا من التحدث بنعمة الله ممنوع الإعلان في بلدنا عن التدخين ، والجزاء خمسون ألف ليرة ، بقالية كتب : " عندنا دخان " فدفع خمسين ألف ليرة ، هذه نعمة، ممنوع التدخين في الطائرات بشركتنا ، وفي السيارات ، وفي وسائط النقل ، لكن النعمة الكبرى ألا تجد مدخناً لا في سيارة ، ولا في البيت ، هؤلاء :

(وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا)

[سورة الأحزاب : 58]

الطفل بريء ، لم يفعل ذنباً حتى تؤذيه بدخانك ، هذا الأب الذي يدخن أمام أولاده غير موضوع القدوة، لو جاءه ابن رضيع لن يقتدي به ، لكن الطفل الرضيع حساس جداً ، أنت حينما تدخن في غرفة واحدة تؤذي زوجتك غير المدخنة ، وتؤذي ابنك غير المدخن ، فهذا مؤمن بالفطرة :

(وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً)

[سورة الأحزاب : 58]

الآية التاسعة :

الدليل الثامن : قال تعالى :

(وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ)

[سورة النساء : 5]

من هو السفيه ؟ الذي لا يحسن إنفاق المال ، و الله اليوم سألني أخ سؤالا دقيقًا : أن أسرة تعاني من الفقر المدقع ، والأب يدخن ، فهل نعطيه مالاً ؟ قلت له : لا ، أعطه طعاماً ، إذا كان بينكم قرابة ، وأنت واجبك أن تعينه فأعطه طعاماً ، الطعام يأكله أولاده ، فإن أعطيته مالاً يشتري به دخاناً ، فهذا سفيه ، الذي ينفق ماله على الدخان سفيه :

(وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ)

[سورة النساء : 5]

هذه الآية الثامنة :

(الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً)

[سورة النساء : 5]

هذا الذي يبيع الدخان ماذا يفعل ؟ حينما أكل مال هذا الشاري ماذا أعطاه ؟ أعطاه خبزاً أعطاه فاكهة ؟ أعطاه لحماً ؟ أعطاه قميصاً ؟ أعطاه سماً ، وكأنه أكل أموال الناس بالباطل .

بيع الدخان محرَّمٌ :

أقول لكم أيها الإخوة : بيع الدخان محرم لقوله تعالى :

(وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)

[سورة المائدة : 2]

الآية العاشرة :

(لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ * لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ)

[سورة الغاشية]

الدخان هل يشبعك ؟ هل يعطيك فيتامينات ؟ يعطيك بروتين ؟ يعطيك مادة سكرية للطاقة ؟ يعطيك مواد فيتامينية ؟ أبداً سموم .

هناك قصة أحدثكم عنها في الدرس القادم إن شاء الله ، ملخصها الكونغرس الأميركي طلب من شركات التبغ أن تقدم قائمة بالمواد التي تصنع معها الدخان ، خمسمئة وتسعة وتسعون مادة ، ثلثها مواد سامة ، للبحث تفصيل ، فهذا الذي باعك الدخان أكل مالك بالباطل :

(وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ)

[سورة البقرة : 188]

وهذا الذي باعك الدخان ، الدخان كالضريع ، لا يسمن ولا يغني من جوع .

الآية الحادية عشرة :

عندنا أدلة مخالفة ، أي المعنى المخالف .

حينما قال الله لك :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالاً طَيِّباً)

[سورة البقرة : 168]

أنت لم تأكل حلالاً طيباً أكلت خبيثاً ، أنت عصيت الله عز وجل ، قال له : كُلْ لحماً ، كُلْ خبزاً ، كُلْ فواكه ، كُلْ خضراوات ، اشرب العصير ، عصير الفاكهة ، اشرب الشاي ، أنت ماذا فعلت ؟ شربت شيئاً يؤذيك :

(الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ)

[سورة المائدة : 5]

(يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ)

[سورة المؤمنون : 51]

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ)

[سورة البقرة : 172]

أنت فعلت العكس .

احذروا الإدمان !!!

والله جاءتني رسالة من يومين ، يقول فيها صاحبها : لا أستطيع ترك الدخان ، فأفطرت رمضان ، والله ما قرأتها ، لا أستطيع ترك الدخان ، فأفطرت في رمضان ، والإدمان على التدخين أشد من الإدمان على الخمر ، هذه الشركات مجرمة ، يرفعون نسب النيكوتين من أجل الإدمان ، حينما تدمن تبيع ما تحتك وما فوقك من أجل الدخان ، ولا أكتمكم أن بعض الصناعات الغذائية التي تصدر إلى الشرق الأوسط فيها مواد تعين على الإدمان ، ابنك يريد هذا الشيء ، أنا أنصحكم من أعماق قلبي :
اكتفوا بالصناعات الوطنية ، لازلنا نحن بخير ، لا زلنا نخاف الله قليلاً .

الآن هناك حلويات مستوردة ، غالية جداً ، تأكلها مرة واحدة لا تستطيع أن تدعها ، وكم من طفل سرق من جيب أبيه ليأكل هذه الأكلة .

حدثني قريب لي زوجته فرنسية ، جاءت مرة بحلويات ، لكن راجت رواجاً غير طبيعي ، مستوردة ، لا تستطيع إلا أن تأكل باستمرار منها ، أن طعمها لا يقاوم ، إذاً يوجد بها مواد

مدمنة ، ما معنى لا يقاوم ؟ فلما ذهب إلى فرنسا في الصيف أخذ معه بعض هذه السكاكر ، وحللها في مخبر محترم ، أقسم لي بالله بالنتيجة مواد تعين على الإدمان .

أحياناً تجد طفلاً تعلق بالمشروبات الغازية تعلقاً غير طبيعي ، يمكن أن يقاتل من أجل هذا المشروب الغازي ، ما القصة ؟ فيه مواد تعين على الإدمان ، الغرب ماكر .

بالمناسبة هناك هيئات غذائية بأمريكا لا يمكن أن يسمح ببيع البضاعة للشعب إلا إذا كانت صحية بالمئة مليون ، التصدير شيء ، والاستهلاك شيء آخر .

أحد الإخوان زار ألمانيا ، وبها دواء مشهور جداً في الأردن وفي سوريا وفي لبنان يباع ، ألماني الصنع ، ووصوه جيرانه ، أول صيدلية لا يوجد ، الثانية لا يوجد ، الثالثة لا يوجد ، الرابعة لا يوجد ، معقول ، أين هو جالس ؟ جالس ببلد نام ؟ هو جالس بألمانيا ، فهناك صيدلي رقّ له ، أدخله إلى الداخل، و فتح الكومبيوتر ، قال له : هذه خاصة بالشرق الأوسط ، أكثر المواد الغذائية للتصدير فقط ، أكثر المبيدات الزراعية ممنوع بيعها في بلد المنشأ ، نحن حقل تجارب لهم ، نحن سوق لهم ، نحن عندهم لسنا من بني البشر ، فأنت انتبه لنفسك .

والله من سنتين أو ثلاث أقيم في سوريا أسبوع لمكافحة التدخين ، أنا هكذا سمعت ، أنا ما سمعت بأذني، ألقى وزير الصحة كلمة في التلفزيون عن التدخين ، قال : اتصل بي صديقي من أميركا ، وأنباني بأن الدخان الذي يباع لكم فيه عشرة أمثال من النيكوتين ، كما قلت قبل قليل ، أسوأ دخان بالتعبير العامي زبالة الدخان ، الأغلفة راقية جداً ، والعلبة غالية جداً ، أي أسوأ دخان يباع لنا ، إذاً نحن أين عقلنا ؟ هذا شيء لا يحتمل .

أيها الإخوة الكرام ، أنا لا أكتمكم أنني أعلم أن من إخوتنا من يدخن ، لكنني والله ما رأيتهم إطلاقاً ، أو يتحاشون أن أراهم يدخنون ، لكنني أعلم علم اليقين أن هناك من إخوتنا من يدخن ، وهذا الدرس واللهِ لهم ، والله من محبتي لهم ، ومن حرصي على صحتهم .

لي قريب كان يدخن ، أصيب بمرض عضال ، زاره قريب لي في المستشفى ، قال له : هذه التي أمرضتني ، سوف أنتقم منها ، يقصد السيجارة ، والله ما خرج من المستشفى إلا ميتاً .

لي صديق طبيب (أذن أنف حنجرة) عنده دعابة ، قال لي : ما فحصت شخصاً معه سرطان حنجرة ، أضع يدي على جيبه ، تظهر علبة من الدخان ، هذه من هذه ، و الله أنا لا أخاطب عوام الناس ، أنتم نخبة يا إخوان ، أنتم مؤمنون ، أنتم رواد مساجد ، والله العامة ليس لي بهم شأن ، هؤلاء لا يسمعون ، أنا لا أذكر هذا الدرس من فراغ ، أعلم علم اليقين أن هناك من إخوتنا من يدخن ، وأنا ألقيت درساً عن الدخان ، والله سمع هذا الدرس أشخاص كثيرين ، وهم مدمنو تدخين ، وقد أقلعوا عن الدخان ، أنا أتأثر

من الغريب يستمع إلى هذا الشريط ، و يتأثر ، و يقلع ، وإنسان يحضر معنا ، وأتكلم أنا عن الدخان ليلاً نهاراً ، ولا يتأثر .

الآية الثانية عشرة :

آخر آية :

(قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)

[سورة المائدة : 100]

لا تفلح إلا إذا أخذت الطيب ، و تركت الخبيث ، هذه اثنتي عشرة آية .

2 – الأحاديث النبوية :

نهى عليه الصلاة و السلام عن كل مسكر ومفتّر .

الحديث الأول :

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ :

((نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كُلِّ مُسْكِرٍ وَمُفَتِّرٍ))

[أحمد وأبو داود]

الدخان مفتّر .

هناك شخص يرتدي ثياب رعاة البقر ، هذا بكل الإعلانات الكبيرة والصغيرة في الطرقات ، يقول : " تعال إلى حيث النكهة !!! " ، راعي بقر يدخن ، هذا مات بسرطان الرئة ، و قبل أن يموت قال : : كنت أكذب عليكم ، الدخان قتلني " ، فالنبي عليه الصلاة و السلام نهى عن كل مسكر ومفتّر ، يقول لك : فقط عندما أدخن تتخدر أعصابي ، أهدأ ، أنت ضوجت نفسك بالأساس ، أول حديث نهى عن كل مسكر و مفتر .

الحديث الثاني :

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((قَضَى أَنْ لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ))

[ابن ماجه ، أحمد]

الدخان ضار ، والنبي قال : لا ضرر ، هذه لا نافية للجنس .

الحديث الثالث :

كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أَنْ اكْتُبْ إِلَيَّ بِشَيْءٍ سَمِعْتَهُ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

((إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا قِيلَ وَقَالَ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ))

[متفق عليه]

أليس في الدخان إضاعة للمال واضحة ؟

الحديث الرابع :

عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ ؟))

[الترمذي ، الدارمي]

فأمضى جزءاً من عمره في الدخان ، وأنفق بعضاً من ماله في شراء الدخان ، وأبلى جسمه في الدخان، هل يوجد أوضح من ذلك ؟

اثنتا عشرة دليلاً قرآنياً ، واثنا عشر حديثا نبويًا .

الحديث الخامس :

في الحديث المتفق عليه عَنْ خَوْلَةَ الْأَنْصَارِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

((إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَهُمْ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))

بربك أنت من أصحاب الدخل المحدود ، هذه العلبة كم ثمنها ؟ خمسون ليرة ، إن أحضرت كيلوين كرز لأولادك أليس أفضل ؟ إذا أحضرت الليمون ، وصنعت منه شراباً ؟ إذا أحضرت البرتقال ، العنب، أليس الفاكهة أفضل ؟ يمكن أن تحلّ بثمن الدخان أشياء كثيرة جداً .

الحديث السادس :

الحديث الذي روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((من آذى مسلماً فقد آذاني))

والذي يبيع الدخان يؤذي المسلمين .

الحديث السابع :

عَنْ أَبِي قِلَابَةَ أَنَّ ثَابِتَ بْنَ الضَّحَّاكِ ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((... مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ...))

[متفق عليه]

(سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ)

[سورة إبراهيم : 50]

الحديث الثامن :

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ ...))

[البخاري ، مسلم ، أحمد]

تتحمل أن يقترب منك مدخن خمسة سنتمترات يهمس في أذنك ؟ لا تستطيع أن تتحمله ، رائحته كريهة، أسنانه صفر ، عنده رجفان ، ضعيف ، لا يرى ، يرى بالتحليل .

وفي الدرس القادم إن شاء الله آتيكم بالتفاصيل ، هذا الدخان ، إذاً كحامل المسك ، ونافخ الكير ، إذاً البصل والثوم حلال أم حرام ؟ حلال ، ومع ذلك من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا ، إذاً والمدخن ؟ اقترب منه رائحة الدخان .

حقيقة ثابتة : الدخان منقوع في الخمر :

لازال هناك موضوع في الدرس القادم ، ثابت بالمئة مليون ، وهناك عالم بمصر اسمه عبد الصبور شاهين ، من علماء الزهر الكبار ، ذهب إلى أمريكا بنفسه ، ورأى كيف أن أوراق التبغ تنقع بالخمر من ثلاثة إلى ستة أشهر ، كيف هذه الدخينة تشعل ، و تبقى مشتعلة ؟ هذا منقوع بالخمر ، والخمر (سبيترو) ، هذا منقوع بالخمر ، والخمر (سبيترو) ، منقوع ستة أشهر ألا تسمعون ، تعال إلى حيث النكهة ، هذه النكهة نكهة الخمر و العياذ بالله .

الحديث التاسع :

عَنْ ابْنِ شِهَابٍ زَعَمَ عَطَاءٌ أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ زَعَمَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا فَلْيَعْتَزِلْنَا ، أَوْ قَالَ : فَلْيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا ، وَلْيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ ...))

[البخاري ، مسلم ، الترمذي ، النسائي ، أبو داود ، أحمد]

أنا و الله لا أفتي بتزويج من يدخن .

الحديث العاشر :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ ...))

[البخاري ، مسلم ، الترمذي ، أحمد ، الدارمي]

جارك بالسيارة ، و جارك بالسفر ، جارك بالبيت ، ابنك جانبك ، زوجتك ، أنت تؤذي هؤلاء .

الحديث الحادي عشر :

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ))

[الترمذي ، أبو داود ، ابن ماجه ، أحمد]

الدخان ليس مسكر ، لكنه مفتّر ، كنت أمضي الخدمة الإلزامية في كلية الضباط الاحتياط في حلب ، فكان ثمة شخص ـ توفاه الله ـ في أثناء الاستراحة بين التدريب يمسك اثنتين باثنتين ، منظر عجيب ، يشعل أربعة معاً ، ويسحب .

الحديث الثاني عشر :

عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَجُلًا قَدِمَ مِنْ جَيْشَانَ وَجَيْشَانُ مِنْ الْيَمَنِ:

((فَسَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَرَابٍ يَشْرَبُونَهُ بِأَرْضِهِمْ مِنْ الذُّرَةِ يُقَالُ لَهُ الْمِزْرُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَ مُسْكِرٌ هُوَ قَالَ نَعَمْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ إِنَّ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَهْدًا لِمَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ قَالَ عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ أَوْ عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ))

[مسلم ، النسائي ، أحمد]

اثنتا عشرة آية و اثنا عشر حديثاً يستنبط منها جميعاً أن الدخان محرم ، وأنا أتمنى على المدخن أن يقلع عنه لأنه محرم فقط ، فهو بهذا يعبد الله .

حدثني أخ قال لي : و الله يومياً أدخن أربع علب ، قال لي : أنا شاب في أول حياتي ، ونشيط ، وأركض ، قال لي : و الله تركته لا خوفاً على صحتي ، ولكن طاعة لله ، أكبرته كثيراً ، فأرجو الله سبحانه و تعالى أن نتعظ بهذه الحقائق .

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية – موضوعات مختلفة في التربية - دروس حوارية - الدرس (12-28) : ازدياد مصابي الإيدز وآثاره وأسبابه

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 28-05-2006

بسم الله الرحمن الرحيم

لابد من الصراحة ولو كانت مُرّة :

أيها الإخوة ، في الدرس الماضي كان معظم الحديث عن أخطار التدخين ، وانطلاقاً من أن النعامة تغمس رأسها في الرمال متجاهلة الخطر المحدق بها ، وغمس رأسها في الرمل لا يعفيها من الخطر الذي سيداهمها ، لذلك أرى أن المصارحة والمكاشفة وعرض الحقيقة المرة المؤلمة أقرب إلى نجاحنا ، وإلى تقدمنا من أن نثني على أنفسنا كأمة عريقة أصيلة ، أمة فتحت العالم ، نريد الواقع الآن ، لا بد من حقيقة مُرّة تعلن وتلقى .

الحقيقة خير من الوهم المُريح :

الدرس الماضي كان عن التدخين ، معظم المسلمين متوهمون أن مرض الإيدز نحن في منجاة منه ، عندنا قيم وعندنا مبادئ ، وعندنا أسرة ، وعندنا خوف من الله ، هذه الحقيقة أنا كنت متوهماً بها ، لكن الحقيقة الآن مخيفة ، وهذا الدرس تحذيري ، أنا لا أصدق أن واحداً من رواد المساجد من طلاب العلم، لكن أنا أصدق أنه قد يلوذ بك إنسان مقصر ، وقد يلوذ بك إنسان أخطأ مرة ، ولم ينتبه إلى أن خطأه قد يجر لزوجته ولأولاده المصائب الكبيرة .

أرقام مذهلة ومخيفة عن الإيدز :

بين يدي كتاب قدم إلي من قِبل مصادر علمية موثوقة ، أنا لم أتكلم كلمة من عندي ، أنا أقرأ عليكم بعض ما في هذا الكتاب .

يقدر عدد المصابين في العالم بمرض الإيدز أو بفيروس نقص المناعة المكتسب بحوالي أربعين مليونًا، في آخر سنة 2004 ، هذا الرقم أخذ في آخر عام ألفين وأربعة ، ووصل عدد الأموات إلى اثنين وعشرين مليونًا ، وهذا أكبر خطر يهدد العالم ، لولا أن الحقيقة التي بين يدي تنبئ أن الخطر في بلاد الشرق الوسط ليس أقلّ أبداً من أي خطر في أي بلاد أخرى إن لم يكن أكثر ، اثنان وعشرون

مليونًا ماتوا في عقدين من الزمن بسبب هذا المرض ، يعيش أكثر من ثلثي الأشخاص المصابين بفيروس نقص المناعة في إفريقيا جنوب الصحراء .

أيها الإخوة الكرام ، معظم المصابين في سن الشباب ، في مرحلة العطاء ، حيث نلاحظ أن ثمانين بالمئة من الإصابات بين أعمار الخامسة عشر والخمسة والثلاثين .

هناك تعليق : كلكم يظن أن هذا المصاب جاءه العقاب الإلهي ، هذا الكلام صحيح ، لكن ما ذنب زوجته وأولاده ؟ وأخطر ما في الموضوع أن الإنسان قد يحمل هذا الفيروس عشر سنوات دون أن تظهر عليه أعراضه ، وهو ناقل جيد لكل من يلوذ به ، أنا أقول : الزوج والزوجة ينقلان هذا المرض إلى أولادهما ، فكل مولود تلده زوجة أصابتها عدوى من زوجها بهذا الفيروس ينتقل المرض إلى أولادها ، فأنا لا أقول عن هذا المرض : قد انصب على من أخطأ ، انصب على من يلوذ بمن أخطأ .

لسنا بمنأى عن الإيدز !!!

الوهم الذي كان واضحاً عند معظم المسلمين أن منطقتنا العربية فيها استثناء ، لأن فيها الإسلام ، وهناك وهم آخر ، هو أن الإسلام هو الشريط الأخضر الذي يقي هذا المرض ، هذا وهم ، المسلمون ليسوا كما تظنون ، المسلمون انتشرت بينهم الفواحش ، لذلك لا تشكل منطقتنا العربية استثناءً ، فآخر المعطيات الإحصائية المتوفرة تشير إلى أن ازدياداً في نسب المصابين في هذا الوباء ، يزداد عاماً بعد عام في منطقة الشرق الأوسط ، وخاصة فيما بين فئة الشباب ، ونصفهم من الإناث ، وتشير بعض التقارير إلى أن عدد المصابين في البلاد العربية يقارب من خمسمئة وأربعين ألفاً ، والحقيقة الخطيرة أن كل أرقام الإحصائيات هي الأرقام التي أخذت من أناس أصيبوا بهذا المرض ، واضطروا أن يفحصوا دمهم ، أما هذا الذي لم يفحص دمه ، أو لم يسافر ، ولم يأتِ إلى بلده ، ويطالب بفحص لدمه ، هذا مستثنى من هذه الإحصائيات .

هناك مقولة دقيقة جداً : أن عدد المصابين قد يصل إلى عشرين ضعف الحقيقي ، هذا المعلن عنه ، والذي وصل إلى سمع المسؤولين وبصرهم بسبب أنه ألزم هذا الإنسان بفحص دمه .

إنّ إحصائية منظمة الصحة العالمية تؤكد أن عشرة ملايين إصابة تنتقل عن طريق الجنس ، قال تعالى:

(وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا)

[سورة الإسراء : 32]

إنه يتناقص عندهم ويزيد عندنا !!!

مع الأسف الشديد أن عدد المصابين في أوربا يتناقص من الوعي المنتشر بينهم ، بينما يتزايد بشدة في المنطقة العربية ، عندهم وهم لا يؤمنون لا بدين ولا بآخرة ، حرصهم على صحتهم جعلهم يتعظون ، لكن مفارقة أتمنى أن تكون واضحة لديكم ، قديماً قبل هذا المرض حينما يعف الإنسان عن الحرام يكون عند الله في أعلى عليين :

((ورجلٌ دَعَتْهُ امرأةٌ ذاتُ منصبٍ وجمالٍ فقال : إني أخافُ الله))

[البخاري عن أبي هريرة]

هذا الشاب من السبعة الذي يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، الآن إذا دعت امرأة شابًا إلى الفاحشة يقول : إني أخاف الإيدز ، هذا إحباط العمل ، بين أن تكون خائفاً من الله ، وترقى بهذا الخوف إلى أعلى عليين ، الشاب اليوم يخشى هذا المرض ، ولا أجر له في هذه العفة ، هذه عفة الخوف لا عفة الخشية ، والفرق كبير .

الإصابة في العالم العربي كادت تقترب من الإصابة في عالم الإباحة والجنس في أوربا ، معنا نصف مليون إصابة معلنة بحسب الإحصائيات ، نصف مليون أسرة مهددة بفقد معيلها ، وفقد الأب ، وفقد المنتج ، وفقد العامل ، نصف مليون ضرب خمسة ، لو أخذنا الأسرة الوسطية خمسة أشخاص ما بين أولاد وزوجة وأهل ، أحياناً أخوات وإخوة وأم وأب ، تقريباً عندنا خمسمئة ألف ضرب خمسة ، هؤلاء بحسب الأرقام المعلنة المسجلة التي علمت بسبب إجبار هذا الإنسان على فحص دمه ، أما الذي لم يجبر ، وزلت قدمه ما الذي حصل ؟ يمكن أن يبقى هذا الفيروس عشر سنوات في دمه ، وهو ناقل جيد لهذا الفيروس ، إما بالطرق المشروعة عن طريق زوجته ، وبالتالي أولاده ، أو بالطرق غير المشروعة عن طريق الفاحشة ، لكن الخطر من هذا الذي يحمل هذا الفيروس ، ولا يدري هو أو لا يريد أن يعلن ، فهو بحق من حوله يعد مجرماً .

خذوا حذركم فقد يصاب من لا يتوقع الإصابة !!!

ما قولكم في امرأة محجبة صالحة مؤمنة اضطرت إلى الولادة في المستشفى ، وأصابها نزيف حاد ، فاضطرت إلى أن تأخذ الدم ، والدم مفحوص ، وكتب على وثيقة هذا اللتر من الدم أن النتائج سلبية في الإيدز ، وليست إيجابية ، فإذا بها تصاب بهذا المرض ، بعد التحقيق والتحليل والمتابعة تبين أن هذا الفيروس لا يمكن أن يكشف قبل بقائه في الجسم ستة أشهر ، فسمى العلماء هذه المدة قبل أن يظهر مدة الصمت المخبري ، إذْ يمكن أن يتبرع شاب بدمه ، وأن يفحص هذا الدم ، وأن تكون النتيجة سلبية ،

وليست إيجابية ، معنى سلبية أي ليس عنده هذا الفيروس ، ثم يكون أن هذا الفيروس لا يعلن عن وجوده قبل مضي بقائه في دم الإنسان ستة أشهر ، هنا أخطر مشكلة في الموضوع ، فقد يأخذ الإنسان دماً ، وقد فحص ، وكتب على بطاقة هذا الكيس من الدم أن النتيجة سلبية ، وهذا الدم فيه فيروس الإيدز.

لقد قرأت بأم عيني قبل سنوات عدة تصريحاً لمدير بنك الدم ، أن العمليات الجراحية نوعان : عمليات باردة ، وعمليات حارة ، الباردة كمن يزمع استئصال مرارته ، ينصح أن يأخذ من دمه ، ويوضع أمانة في مكان ما ، إلى أن يجري العملية ، فإن احتاج إلى الدم أخذ من دمه ، أما العملية الحارة فإنسان أصيب بحادث سير ، ومعه في نزيف ، هو بحاجة ماسة إلى دم ، مدير بنك الدم يصرح في تشرين الجريدة اليومية في مثل هذه الحالات في حالات العمليات الحارة ينصح أن يأخذ المريض دماً من أحد أقاربه المستقيمين ، دققوا ، إذاً : عندنا مشكلتان : مشكلة أن إنسانًا أخذ دمًا مفحوصًا ، والنتيجة سلبية ، والدم فيه فيروس الإيدز ، لأنه أخذ في مدة الصمت المخبري ، فهذا الفيروس لا يعلن عن وجوده قبل مضي ستة أشهر من دخوله إلى الجسم ، سبحانك يا رب ! مع أن هذا المرض حتى الآن لا شفاء له ، وأسهل شيء أن تتقيه بعفتك واستقامتك ، طريق الخلاص من هذا المرض في متناول كل إنسان بلا جهد ، يكفي أن يكون مستقيماً ، يكفي أن يكون طاهراً ، يكفي أن يقيم أمر الله عز وجل ، لا يزني ، ولا يقارب الفاحشة .

لكن الحديث عن الإيدز اليوم من أجل أقرباء المصاب ، من أجل أن يكون شجاعاً .

مرة طبيب بمصر في مستوصف عام جاءه طفل مريض مع أبيه ، وصف له دواء ، وبالخطأ بكميات للكبار ، فلو تناول هذا الطفل الدواء المخصص للكبار لمات فوراً ، والطبيب سمعته شيء ثمين جداً ، الذي حصل أنه توجه إلى التلفزيون المصري ، وقال في رسالة موجهة إلى أب وابنه كانا في زيارة المستوصف الفلاني ، والدواء الذي وصف لا يصلح للابن ، وسبحان الله ! البلاغ وصل إلى هذا الأب ، وكان قد اشترى هذا الدواء ، لكن لم يعطه للابن ، جرأة هذا الطبيب وبطولته وحرصه على سلامة هذا الطفل ، وضحى بسمعته ، الذي حصل أن هذا الطبيب تألق نجمه ، وارتفعت أسهمه ، وصار في العلياء .

أحياناً البطولة في الجرأة ، هو ضحى بسمعته ، وبين أن الخطأ من عنده ، فإذا لم يأخذ هذا الطفل الدواء أنقذ حياة إنسان .

هناك أكثر من نصف مليون إصابة في العالم العربي ، أكثر من خمسة أضعاف هذا الرقم متضرر بهذه الإصابات ، المشكلة أن البلاد التي كانت تظن أن هذه الأرقام مبالغ بها ، ولن تصاب بهذا الوباء الكبير تساهلها في قبول هذه المعلومات جعلها ترزح تحت هذا الوباء الكبير .

السكوت على الواقع المر جلوسٌ على فوهة بركان :

قال مؤلف هذا الكتاب : السكوت على الواقع المر يعني الجلوس على فوهة بركان ، فلا بد من صدق المجتمع تجاه مرضاه ، وصدق المصاب مع الآخرين ، وبخاصة الزوجة والأولاد ، حتى لا ينتقل المرض إليهم ، فلا ضرر ولا ضرار ، والمريض مسؤول عن حماية زوجته وأولاده .

أيها الإخوة الكرام ، قبل خمس أو ست سنوات لجأت تشرين الجريدة اليومية إلى عرض قصة مؤثرة جداً كل أسبوع عن أحد ضحايا هذا المرض ، وأنا ألفت أن أروي هذه القصة على المنبر ، لمأساة رجلٍ ذهب إلى ألمانيا ليعالج أمه ، واضطروا إلى إعطائها الدم ، فأعطاها من دمه ، وكان أخطأ قبل يوم مع فتاة ألمانية ، فانتقل هذا المرض إلى أمه ، وأمه امرأة طيبة جداً ، ومحافظة ومستورة .

وإنسان أوفد بمهمة إلى أمريكا ، وأخطأ هناك ، فلما عاد إلى بلده انتقل بعد حين المرض إلى زوجته وإلى ولدين ولدا بعد هذه الخطيئة .

إن تعبيرات الإنسان حينما يسيء إلى أقرب الناس إليه تعبيرات تبكي وتدمي ، يقول أحدكم : نحن هنا بعيدون ، صحيح ، أنا لا أصدق أن إنساناً يرتاد بيوت الله عز وجل إلا وهو طاهر ، لكن أريد أن يعي من حولكم ، شاب أخطأ في حياته ، هذا إنسان قد يمضي عشر سنوات دون أن يشعر ، وهو حامل لهذا المرض ، لو أخطأ في العلاقات انتقل حتماً ، الآن المفرزات تكفي المفرزات .

الحلّ ليس في المصول والمعالجة :

الكلام الدقيق العلمي أنه لا يمكن معرفة الإصابة بفيروس الإيدز إلا بإجراء اختبار خاص ، والمشكلة في اختبار صحيح مئة بالمئة يكلف تقريباً عشرة آلاف ليرة ، وهذا الاختبار صالح لأحد سلالات الإيدز، له مئات ، بل آلاف السلالات ، طريق شبه مغلق ، والصواب العفة ، أنا أكثر ما أتعجب من الدول حينما تريد حل هذه المشكلة عن طريق المصول .

أنا أوضح لكم هذا المثل : تصور مدينة ، مياه الشرب فيها ملوثة ، وهذه المياه الملوثة سببت أمراضاً مستعصية لهذه البلدة ، المسؤولون في هذه البلدة بدل أن يحموا الشباب من هذا الانحراف أرسلوا الأطباء إلى العالم الغربي ، واستقدموا الآلات والتجهيزات والمستشفيات ، هذا الطريق طويل ، أوقفوا التلوث يتوقف المرض .

العالم الآن لا يفكر أبداً بضبط السلوك ، يفكر بالبحث عن مصل مضاد لهذا المرض ، يريد أن يبقى الوضع كما هو ، إباحية وتفلت جنسي ، يريد أن يبقى الأمر هكذا ، ويحتاج إلى مصل مضاد لهذا الفيروس ، هذا طريق مضحك ، طريق العفة هو أقصر طريق للوقاية من هذا المرض .

قد يكون الشخص مصاباً دون أن تبدو عليه أية أعراض مرضية ، فلا يمكن معرفة إصابته إلا عن طريق الاختبار ، ويعد الشخص المصاب خزاناً من الفيروسات يستطيع أن ينقلها من خلال الممارسة الجنسية في غطاء قانوني ، كالزواج ، أو في غطاء غير قانوني كالفاحشة عن طريق دمه وإفرازات جسمه .

يا أيها الناس انتبهوا ! حرفتان تحتاجان إلى تعقيم شديد :

لكن أتمنى أن يكون واضحاً لدى إخوتنا الكرام أن أحياناً حرفتان تحتاجان إلى تعقيم شديد ، طبيب الأسنان والحلاّق ، لأن الموس لو جرح إنسانًا مصاب بالإيدز ، وشيء من دم المصاب انتقل إلى السكين ، وجاءه إنسان آخر فحلق له يمكن أن ينتقل هذا المرض من إنسان إلى إنسان ، الذي يتولى قص الشعر بحاجة ماسة إلى دقة بالغة في وضع شفرة في الموس ، لكل إنسان شفرة خاصة به ، وألا يستخدم السكين الواحد لأشخاص عديدين ، وينتقل المرض عن طريق الحقن في المستوصف ، فإذا حقنا إنسانًا بدواء معين هذه الحقنة دخلت إلى جلده ، وتلوثت بالدم ، فإذا كان الممرض ثقافته ضعيفة جداً ، وليس عنده الحرص الشديد ، ولا الإبرة جديدة ، فاستخدم السابقة لعله ينقل هذا المرض من إنسان إلى إنسان ، وكذلك طبيب الأسنان .

الإنسان كمواطن إنسان يعالج عند طبيب ، أو يقص شعره عند حلاق ، أو يأخذ حقنة بمستوصف ، يجب أن ينتبه إلى أن تكون الأدوات معقمة ، وهذه حالة لا علاقة لها بالفاحشة ، بل إنسان بريء طاهر أراد أن يقص شعره ، ما ذنبه أن يصاب بهذا المرض ؟ هكذا ودائماً المرض ينتقل إلى الجنين من أمه ، ولا تتصور ألم الأم والأب حينما يصاب طفل بريء مولود حديثاً في هذا المرض العضال ، ولا ذنب له به ، قال تعالى :

(إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ)

[سورة يس : 12]

الحقيقة التي ذكرتها في هذا اللقاء كثيراً وأعيدها فيروس الإيدز يظل كامناً ظاهرياً مدة قد تصل إلى أكثر من عشر سنوات قبل أن تظهر على المريض الأعراض حامل هذا الفيروس ، وعن طريق الزواج، أو الفاحشة ، أو عن طريق التلوث بآلات حادة من دم إلى دم ينتقل هذا المرض إلى الآخرين .

لا شيء يعلو على أكل البيت !!!

بالمناسبة الشيء بالشيء يذكر ، أن الإنسان إذا كان يعمل في مطعم ، ودخل إلى الحمام ، ولم ينظف يديه جيداً كما ذكر النبي عليه الصلاة والسلام ، ومعه التهاب كبد وبائي ، هذا مرض قاتل ، إلى الآن ليس له دواء ، يمكن أن ينقل هذا المرض إلى ثلاثمئة إنسان من رواد المطعم .

لذلك لا شيء يعلو على أكل البيت ، والأم الكاملة هي التي تعد وجبات جيدة يقنع بها الصغار ، لئلا يتطلعوا إلى أن يأكلوا من الأماكن الأخرى .

من أعراض مرض الإيدز :

أيها الإخوة الكرام ، من أعراض هذا المرض حينما يفعل بعد عشر سنوات يظهر مرض السل في الأعم الأغلب ، والسرطانات ، وفقدان شديد للوزن ، والتهابات في الجلد ، وأمراض أخرى كثيرة ، طبعاً هذا الكتاب من منظمة الصحة العالمية ، كتاب معتمد ، وفيه أرقام دقيقة وفيه حقائق خطيرة .

ما هي سبل الوقاية من الإيدز ؟!

أما في السنة النبوية : فيقول عليه الصلاة والسلام :

((مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا ، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا ، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنْ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا : لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا ، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا ، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا ، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا))

[البخاري]

أقول لكم بشكل موضوعي : عندنا إجراءات قاسية جداً لمن يأتي من بلد بعيد ، لا بد من أن يفحص دمه قبل أن يعطى الإقامة ، لكن نحن نخاف من هذا المصاب ، ولا يعلم به أحد ، هذا قنبلة موقوتة ، هذا يبدأ بإيذاء زوجته وأولاده ، ومن يلوذ به ، ومن تلوث دمه بدمه .

دولة إفريقية نسبة المسلمين فيها تصل إلى أربعين بالمئة ، كانت نسبة الإصابة فيها بضعاً من عشرة بالمئة ، قبل عقد ونصف من الزمن ، يعني قبل خمسة عشر عاما نسبة الإصابة بها بضعاً من عشرة بالمئة ، يعني ثلاثة بالمئة ، دفنوا رأسهم بالرمال ، وساروا بسيرة النعامة ، انفجر الوضع ، ومضى الوباء ينتشر ، وخلال بضع سنوات ارتفعت النسبة إلى ثلاثين بالمئة من السكان ، أصبحوا مصابين بهذا الفيروس ، وقامت قائمة ولاة الأمور تبحث عن مخرج لهذه الأزمة ، وحاولوا بشتى السبل فلم تجدِ

إطلاقاً ، حتى خرج أحد أئمة المساجد المعروفون هناك ، ومد يده إلى الجميع ، وبدأ حملة قوية توعية دعوية في المساجد ودور العبادة ، فدعا ومن معه إلى العفة والطهارة ، والإخلاص وإلى تجنب السلوكيات المحرمة ، والتي تساهم في نشر هذا المرض ، ودعا إلى استعمال وسائل التقليل من نشره خاصة عند المصابين ، فكانت النتيجة بعد سنوات من الجهد أن انخفضت النسبة إلى اثنين وعشرين بالمئة .

أنا أتألم ألماً شديداً أن الغرب إباحي ، ولا يؤمن بدين أساساً الغرب ملحد ، ومع ذلك تقل فيه نسب المصابين ، وتقل فيه نسب المدخنين .

والشرق المؤمن بالله ، الذي معه رسالة السماء تزداد فيه نسب المدخنين ، ونسب المصابين بهذا المرض .

بالمناسبة أعلى نسبة مدخنين في العالم ، في العالم الإسلامي ودخان هؤلاء فيه عشرة أضعاف من النيكوتين إن صح التعبير ، إن كان في قمامة أوراق فالتبغ القمامة ، القمامة تصدر إلينا ، والنيكوتين فيها عشرة أضعاف ، هذه حقائق مرة ، هذه أمراض وبيلة .

أنت سفير من حولك :

أيها الإخوة الكرام ، أنت الآن سفير من حولك ، أنا واثق أن الحاضرين عافانا جميعاً ، إنسان يطلب العلم الشرعي ، يرتاد المسجد إنسان طاهر ، هكذا يظن ، لكن أنا أريد أن تكون أنت داعية لمن حولك لتحذير الناس من هذا المرض ، ومن الدخان .

قال أحد العرب لرجل من دولة في جنوب إفريقيا : نحن في مأمن من الإيدز ، فنسبة الإصابة عندنا فقط واحد بالمئة ، وعندكم ستة عشر بالمئة ، فقال له الرجل ، وهو يبتسم : قبل عشر سنوات كانت النسبة عندنا أقل من هذا فسكتنا ، ونمنا مطمئنين ، فأصبحنا الآن هكذا ، هذا شيء خطير جداً لا ينبغي أن يكون .

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية – موضوعات مختلفة في التربية - دروس حوارية - الدرس (13-28) : الصحابي الجليل سهيل بن عمرو

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 04-06-2006

بسم الله الرحمن الرحيم

قصة مؤثرة وعبرة بالغة :

أيها الإخوة الكرام ، موضوع الدرس اليوم طارئ على سياق الموضوعات ، السبب أنني تأثرت بهذه القصة تأثراً شديداً ، ورأيت منها ملمحاً واضحاً جداً في دعوة النبي عليه الصلاة والسلام ، ولو أن المسلمين حينما يدعون إلى الله اتبعوا توجيهات النبي وأسلوبه في الدعوة لكنا في حال غير هذا الحال ، ولكان موقف الطرف الآخر منا موقفاً آخر .

هذا الخطيب البليغ سهيل بن عمرو الذي كان مندوب قريش في مفاوضة النبي عليه الصلاة والسلام في صلح الحديبية ، هذا الإنسان الذي رفض أن يكون في نص الاتفاقية : " هذا ما اتفق عليه محمد رسول الله " ، قال : امحُ رسول الله ، ولا أقبل أن تكتب " محمد رسول الله ، ولو آمنا بك رسولاً لما قاتلناك ، فقال لعلي : امحُ " رسول الله " ، واكتب : هذا ما اتفق عليه محمد بن عبد الله ، النتيجة أن هذا الموقف القاسي المزعج من سهيل بن عمرو ترك في نفس المسلمين جرحاً بليغاً ، في معركة بدر وقع سهيل بن عمرو أسيراً بأيدي المسلمين ، آن أوان الانتقام ، هذا شأن الإنسان ، لقد تحدى سيد الخلق ، وحبيب الحق ، فاقترب سيدنا عمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : يا رسول الله ، دعني أنزع ثنيتي سهيل بن عمرو ، حتى لا يقوم عليك خطيباً بعد اليوم ، كان خطيباً مفوّهاً ، وكان متألقاً ، ولامعاً في قريش ، وعين رئيس وفد قريش في صلح الحديبية ، ورفض أن يكون في الاتفاقية كلمة " رسول الله " ، والنبي استجاب له ، وقال : يا علي ، امحُ " رسول الله " ، واكتب : " هذا ما اتفق عليه محمد بن عبد الله " .

أما حينما وقع أسيراً كما قال الله عز وجل :

(وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ)

[سورة التوبة]

وقال عمر : يا رسول الله ، دعني أنزع ثنيتي سهيل بن عمرو حتى لا يقوم عليك خطيباً بعد اليوم ، فأجابه النبي عليه الصلاة والسلام : كلا يا عمر ، لا أمثل بأحد فيمثل الله بي ، ولو كنت نبياً .

العفو عند المقدرة :

أرأيت إلى هذا الأدب مع الله ؟ أرأيت إلى هذا التواضع ؟ أرأيت إلى هذا العفو ؟ وأنت قوي وهذا بين يديك ، وبإمكانك أن تعذبه ، وأن تمثل به ، وأن تنزع ثنيتيه حتى لا يقوم بعد ذلك خطيباً عليك ، قال : كلا يا عمر ، لا أمثل بأحد فيمثل الله بي ولو كنت نبياً ، ثم أدنى عمر منه ، قال : تعال يا عمر ، وقال عليه الصلاة والسلام : يا عمر ، لعل سهيلاً غداً يقف موقفاً يسرك .

استنباطات من القصة :

استنباطاً من هذا النص ، ما مِن إنسان إلا وفيه جانب خير .

البطولة في كشف النواحي الإيجابية وتنميتها :

بطولتك ـ أيها المؤمن ـ لا في أن تكشف النواحي السلبية في الإنسان ، بل العكس أن تكشف النواحي الإيجابية وأن تنميها ، هذا الكلام للمعلم للأب ابنك في عنده سلبيات وفي إيجابيات ، انظر إلى الإيجابيات ، وأثن عليه بها ، ثم عالج السلبيات ، لكن معظم الآباء ، بل معظم المعلمين ، بل معظم الموجهين كل إيجابيات الإنسان يعتمون عليها ، فإذا زلت قدمه ، وإذا ارتكب خطيئة قامت الدنيا عليه ، ولم تقعد ، أرأيت إلى هذا الذي جاء ليصلي خلف النبي عليه الصلاة والسلام متأخراً ، وأحدث جلبة في المسجد ، وشوش على الصحابة صلاتهم ، لما انتهى النبي من صلاته قال لهذا الإنسان :

((زادك الله حرصاً ولا تعد))

[البخاري عن أبي بكرة]

أثنى على اهتمامه بأن يدرك مع رسول الله ركعة ، أثنى على اهتمامه ونبهه .

لو طبقنا هذه القاعدة في حياتنا : مدير مؤسسة ، صاحب محل تجاري ، مدير معمل ، رب أسرة ، معلم مربٍّ ، مدرس ، موجه ، داعية ، دائماً ابحث عن الإيجابيات في الإنسان ، وحاول أن تنميها ، وابدأ بمعالجة السلبيات بتؤدة ، وبنفس طويل .

وقال عليه الصلاة والسلام : يا عمر ، لعل سهيلاً غداً يقف موقفاً يسرك ، ودارت الأيام وتحول أعظم خطباء قريش سهيل بن عمرو إلى خطيب باهر من خطباء الإسلام .

مع عمير بن وهب :

هذا يذكرني أن عمير بن وهب الذي التقى بصفوان بن أمية ، وقال عمير لصفوان : لولا ديون لزمتني ما أطيق سدادها ، ولولا أولاد صغار أخشى عليهم العنت من بعدي لذهبت ، وقتلت محمداً ، وأرحتكم منه ، صفوان غني ، وحاقد ، فقال له : أما أولادك فهم أولادي ما امتد بهم العمر ، وأما ديونك فهي علي أداءها بلغت ما بلغت ، فامض لما أردت ، اذهب ، واقتل محمدًا ، سقى سيفه سماً ، وانطلق إلى المدينة المنورة ، ورآه عمر ، وقد وضع سيفه على ظهره ، فقال : هذا عدو الله عمير جاء يريد شراً ، وقيده بحمالة سيفه ، وقاده إلى النبي ، طبعاً هو وصل إلى المدينة تحت غطاء ليفتدي ابنه من الأسر ، هذا مسموح ، فدخل على النبي ، وقال عمر : يا رسول الله ، هذا عدو الله عمير جاء يريد شراً ، انظر إلى النبوة ، قال : يا عمر أطلقه ، فأطلقه ، قال : يا عمر ابتعد عنه ، فابتعد عنه ، قال : يا عمير ، ادنُ مني ، فدنا منه ، قال : سلم علي ، قال : عمت صباحاً ، قال له : قل السلام عليكم ، قال له بغلظة : هذا سلامنا ، قال : يا عمير ، ما الذي أتى بك إلينا ؟ قال : جئت أفك ابني من الأسر ، قال له : وهذه السيف على عاتقك ؟ قال : قاتلها الله من سيوف ، وهل نفعتنا يوم بدر ؟ قال له : ألم تقل لصفوان : لولا أطفال صغار أخشى عليهم العنت من بعدي ، ولولا ديون لزمتني ما أطيق سدادها لذهبت ، وقتلت محمداً ، وأرحتكم منه ، جاءه الوحي ، فوقف ، وقال : أشهد أنك رسول الله ، لأن الذي قلته لصفوان لا يعلمه أحد إلا الله ، وأنت رسوله ، وأسلم .

الشاهد ليس هنا ، الشاهد أن سيدنا عمر قال دخل عمير على رسول الله والخنزير أحب إلي منه وخرج من عنده وهو أحب إلي من بعض أولادي . هذا الإيمان عداوات دائمة ما في تكره عمله فإن عاد إلى الله فهو منا ونحن منه وله ما لنا وعليه ما علينا .

يا عمر ، لعل سهيلاً غداً يقف موقفاً يسرك ، وتحول أعظم خطباء قريش سهيل بن عمرو إلى خطيب ماهر من خطباء الإسلام ، وتحول المشرك اللدود إلى مؤمن أواب ، لا تكف عيناه من البكاء من خشية الله ، وتحول واحد من كبار زعماء قريش وقادة جيوشها إلى مقاتل صلب في سبيل الإسلام .

مقاتل عاهد نفسه أن يظل في رباط وجهاد حتى يدركه الموت على ذلك ، عسى أن يغفر الله ما تقدم من ذنبه ، هذا المشرك العنيد الذي أصبح مؤمناً تقياً شهيداً ، هو سهيل بن عمرو ، لا تيئس من الناس ، لا تصدر عليهم حكماً في المستقبل ، قد يتوب ، وقد يسبقك ، إن رأيت عاصياً فقل : هذا الآن عاصٍ ، لكن متاح له أن يتوب ، وأن يسبقك ، لذلك قال تعالى :

(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ)

[سورة الزمر]

ملمح مستنبَط من سورة البروج :

هناك ملمح أيها الإخوة الكرام ، في سورة البروج ، هذا الملك الذي فتن المؤمنين والمؤمنات ، أحرقهم، حفر الأخدود ، وجعل فيه ناراً متقدة ، وأحرق كل المؤمنين ، قال تعالى :

(إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا)

[سورة البروج : 10]

ماذا يفهم ؟ كان من الممكن أن يتوبوا بعد أن فتنوا المؤمنين ، بعد أن حرقوهم ، باب التوبة مفتوح على مصراعيه مهما يكن الذنب كبيراً ، هناك من يقول أحياناً : هؤلاء الطغاة الذين سفكوا الدماء ، وانتهكوا الحرمات ألهم توبة ؟ أنا إيماني أن لهم توبة ، والذي يحاورك لا يصدق ، لو أنهم تابوا لتاب الله عليهم ، باب رحمة الله مفتوح على مصراعيه من أجل ألا تيأس ، من أجل ألا تحكم على أحد حكماً مستقبلياً ، هذا تألٍ على الله ، تقييم العباد من شأن الله وحده .

مع نعيم بن مسعود :

يذكرون أيها الإخوة الكرام أن زعيم غطفان جاء ليحارب النبي العدنان ، وخيم جيشه في ظاهر المدينة، وهو مستلق على ظهره في خيمته ، اسمه نعيم بن مسعود ، قال : يا نعيم ، هذا اسمه حوار ذاتي داخلي ، قال : يا نعيم ، ما الذي جاء بك إلى هذا المكان لتقاتل ؟ من هذا الذي جئت كي تقاتله ؟ هل سفك دماً حراماً ؟ هل انتهك عرضاً ؟ هل سلب مالاً ؟ إنه رجل صالح ، كيف تقاتله ؟ أين عقلك يا نعيم ؟

والله أيها الأخوة الكرام ، لحظة حوار ذاتي صادق ينقلك من الظلمات إلى النور ، من شقاء الدنيا إلى نعيمها ، لحظة زعيم المشركين جاء ليحارب النبي الكريم ، فكر هذا الإنسان ماذا فعل ؟ لم يسلب مالاً ، ولم ينتهك عرضاً ، ولم يقتل ، ما الذي فعل ؟ أين عقلك يا نعيم ؟ فاتخذ قراراً بالإيمان ، وقام ، وانطلق إلى النبي عليه الصلاة والسلام ، ودخل إلى معسكر رسول الله ، ودخل عليه خيمته ، قال له النبي : نعيم ؟ قال نعيم ، قال له : ما الذي جاء بك إلينا ؟ قال : جئت مسلماً ، وأشهد أنك رسول الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، فقال : مرني ماذا أفعل ؟ قال : أنت واحد ، قال : ماذا أفعل ، قال : خذل عنا .

هل تصدقون أن معركة الخندق كادت تنهي الإسلام قال تعالى :

(إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً)

[سورة الأحزاب]

الآن من فوقنا ، ومن تحت أرجلنا ، الشرق والغرب ، و مؤامرات وتهديدات ، ومقاطعة ، كيفما فعلنا فنحن عندهم مجرمون .

قيل : اجتمع ذئب وحمل بحمام بلاط وماء ، قال له : أنت تغبر علي ، قال : أين الغبار ؟ تعال كلنِي .

غير معقول ، استطاع نعيم بن مسعود زعيم غطفان المشرك بلحظة تفكير سليمة أن ينتقل من صف المشركين إلى صف المؤمنين ، بل إن هذه المعركة التي كادت تقضي على المسلمين انقلبت على نصر.

هل تصدقون أن بعض الصحابة ممن ضعف إيمانه قال : أيعدنا صاحبكم ، ولم يقل : رسول الله ، أيعدنا صاحبكم أن تفتح علينا بلاد قيصر وكسرى ، وأحدنا لا يأمن أن يقضي حاجته ، وكأنه خرج من الإسلام ، قال تعالى :

(إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً)

[سورة الأحزاب]

نعيم بن مسعود بذكاء منقطع النظير ، وبسياسة حكيمة جداً استطاع أن يشق صفوف الأعداء ، فقال لليهود كلامًا مقنعًا ، وقال لقريش كلامًا ، وحصل الشرخ بينهما ، وجاء الله بالرياح العاتية فقلبت قدورهم ، واقتلعت خيامهم ، وأطفأت نيرانهم ، ورحلت قريش عن المدينة ، وكفى الله المؤمنين القتال ، ولعل سبعين بالمئة من هذا النصر في صحيفة نعيم بن مسعود الذي كان مشركاً ، والذي جاء ليقاتل النبي عليه الصلاة والسلام ، لا تيئسوا ، لا تيئسوا ، لا تحكموا على الناس مستقبلاً ، هو عاصٍ الآن ، وقد يتوب ، والله إنّ قصص التائبين شيء لا يصدق .

النبي عليه الصلاة والسلام حينما فتحت مكة قال :

((لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألونني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها))

[السيرة النبوية]

ترى إنساناً سلك طريق الإيمان ، فانسحب من المجتمع ، احتقره ، كفره ، هو مؤمن كفار ، هكذا فعل النبي ؟ قريش حاربته عشرين عاماً ، نكلت بأصحابه ، تفننت في تعذيبهم ، تفننت في إذلالهم ، فلما فتحت مكة ، هو أساساً بالطائف قال :

((اللهم اهدِ قومي إنهم لا يعلمون))

أنا متألم ألماً شديداً من هذا الذي ينسلخ من أمته ، يقول : هم كفار إلى جهنم ، من قال : هلك الناس فهو الذي أهلكهم ، هم ليسوا كذلك .

والله بهذه الصور التي نشرت في الدانمارك ظهر من المسلمين في أنحاء العالم مواقف والله لا تصدق.
أنا كنت في العمرة ، وحدثني إنسان قال لي : محل كبير جداً من أكبر محلات جدة وضع على الرصيف بضاعة بمئة وثلاثين مليون ريال ، لأنها من عند الدانمارك ، وجدت غيرة على هذا النبي الكريم ، واندفاعًا .

((أمتي كالمطر لا يدرى أولها خير أم آخرها))

[الترمذي عن أنس]

الخير في و في أمتي إلى يوم القيامة .
لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألونني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها .
لذلك لما دخل النبي فاتحاً يقول أبو سفيان : << ما أوصلك ، وما أحكمك ، وما أرحمك >> .

عودة إلى سهيل بن عمرو :

الآن يقول سهيل بن عمرو : << يا معشر قريش ، دققوا في كلامه ، إني قد جئت كسرى في ملكه ، يبدو له بطولات كبيرة جداً ، وقيصر في ملكه ، والنجاشي في ملكه ، وإني والله ما رأيت ملكاً قط يعظمه قومه كما يعظم أصحاب محمد محمداً .
هذا الإيمان أيها الإخوة الكرام ، أريد أن أبين لكم بيانًا دقيقًا أن الطرف الآخر أحد أكبر خططه تحطيم الرموز ما يترك للأمة إنسانًا يوثق به ، أمة بلا رموز ، بلا قادة نهائياً ، أحياناً محطات فضائية تظن أن فيها الرأي الحر ، لكن لها مهمة قد لا تنتبه إليها ، مهمتها تحطيم كل إنسان يمكن أن يؤثر في الناس ، موقع فضائحي ، أمة بلا قادة لا تقوم على قدميها أبداً .
إني قد جئت كسرى في ملكه يبدو له بطولات كبيرة جداً ، وقيصر في ملكه ، والنجاشي في ملكه ، وإني والله ما رأيت ملكاً قط يعظمه قومه كما يعظم أصحاب محمد محمداً ، لقد رأيت حوله قوماً لن يسلموه لسوء أبداً ، التشابك ، هذه العلاقات المتينة .
لي كلمة دقيقة : المؤمنون إذا تعاونوا جعلوا مجتمعهم سداً منيعاً لا يمكن أن يخرق ، والنبي عليه الصلاة والسلام قال :

((إنما تنصرون بضعفائكم))

[الترمذي عن أبي الدرداء]

أي أن هؤلاء الضعفاء حينما تطعمونهم ، وتكسونهم ، وتنصفونهم ، وتؤونهم في بيوت ، وتعالجونهم ، وتعلمونهم يصبح المجتمع متماسكاً .

أنا أقول لكم كلمة دقيقة تنبع من إيماني : والله إن الأمة إذا نصرت ضعيفها ، وأطعمت فقيرها ، واعتنت بأفرادها ، وتماسكت مهما كان العدو قوياً فلن يستطيع خرقها أبداً ، أما إذا كان فيها شرخ داخلي كان اقتحامها سهلا جداً .

لقد رأيت حوله قوماً لن يسلموه لسوء أبداً .

لما فتح النبي مكة المكرمة وحوله عشرة آلاف مقاتل ، ومعهم سيوف متوهجة ، وبإشارة منه ينهي وجودهم جميعاً ، فقال :

((ما تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا : أخ كريم ، وابن أخ كريم ، قال : فاذهبوا فأنتم الطلقاء))

[السيرة النبوية]

وسموا الذين عفا عنهم النبي من وقتها الطلقاء .

أخلاق الدعوة وأخلاق القتال :

أنا أتمنى على الدعاة ، وعلى شباب الدعاة ألا يكفروا أحداً الموقف العنيف ، في عندنا أخلاق الدعوة وفي عندنا أخلاق القتال ، أخلاق القتال قال تعالى :

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ)

[سورة التوبة : 73]

هذه أخلاق القتال ، أما أخلاق الدعوة فقال تعالى :

(فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ)

[سورة فصلت]

لا نستطيع أن نصل لقلوب الناس إلا بالإحسان ، إلا بحسن الظن أحياناً ، إلا بالتواضع ، إلا بأن تثق أن الله إذا تجلى عليه أصبح إنساناً تحبه ، هؤلاء الطلقاء جاوزوا أحياناً بإخلاصهم الوثيق ، وسموا إلى آفاق بعيدة من العبادة والتضحية ، والطهر ، وضعتهم في الصفوف الأولى بين أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام .

أيها الإخوة الكرام ، كان سهيل بن عمرو موضوع هذا الدرس ، اسمه السمح الجواد ، وكان كثير الصلاة والصوم والصدقة ، وقراءة القرآن والبكاء من خشية الله ، وكان يقول : أي موقف وقفته في الجاهلية يناهض هذه الدعوة ، سأقف موقفاً آخر في نصرة هذه الدعوة .

وفي قومه في مكة يوم وفاة النبي عليه الصلاة والسلام ارتجت مكة ، والذي فعله سهيل يشبه الذي فعله أبو بكر تماماً ، كيف أن أبا بكر قال :

<< من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت >>

ثم تلا عليهم ، قوله تعالى :

(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً)

[سورة آل عمران : 144]

موقف صدق بعد عداوة :

سهيل بن عمرو وقف الموقف نفسه في مكة ، جمع المسلمين كلهم هناك ، وأبهرهم بكلماته الناجعة ، وأخبرهم أن محمداً كان رسول الله حقاً ، وأنه لم يمت حتى أدى الأمانة ، وبلغ الرسالة ، وأنه واجب المؤمنين أن يحرصوا من بعده السير على منهجه .

الآن طبعاً سهيل بن عمرو أسلم يوم فتح مكة ، وذاق حلاوة الإيمان ، وأخذ على نفسه عهداً لخصه في هذه الكلمات :

<< لعل الله يريك منه ما يسرك يا عمر >> .

أرأيت إلى فهم النبي العميق لطبيعة النفس الإنسانية ؟ قال سيدنا سهيل بن عمرو :

<< والله لا أدع موقفاً من المشركين إلا وقفت مع المسلمين مثله ، ولا نفقة أنفقتها مع المشركين إلا أنفقت مع المسلمين مثلها ، لعل أمري أن يتلو بعضه بعضاً >> .

وقف سهيل مع المشركين طويلاً أمام أصنامهم فليقف الآن طويلاً مع المؤمنين بين يدي الله الواحد الديان ، راح يصلي ويصلي ، ويصوم ، ويصوم ، ولا يدع عبادة تجلو روحه ، وتقربه من ربه الأعلى إلا أخذ منها حظاً وافراً .

سهيل بن عمرو صار مجاهداً كبيراً ، وخرج إلى الشام مع جنود المسلمين مشاركاً في حروبها ، ويوم اليرموك حيث خاض المسلمين موقعة تناهت في الضراوة والعنف والمخاطر سهيل بن عمرو يكاد يطير من الفرح إذا وجد هذه الفرصة الدسمة لكي يبذل من ذات نفسه في هذا اليوم العصيب ما يمحق به خطايا جاهليته وشركه ، لذلك آثر أن يبقى مجاهداً حتى الرمق الأخير ، وقال : << سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

((مقام أحدكم في سبيل الله ساعة أفضل من صلاته في بيته سبعين عاما))

[الترمذي عن أبي هريرة]

وإني لمرابط في سبيل الله حتى أموت ، ولن أرجع إلى منكر .

وفى سهيل عهده ، وظل بقية حياته مرابطاً حتى جاء موعد رحيله ، فصارت روحه مسرعة إلى رحمة من الله ورضوان .

استنباطا من قصة سهيل بن عمرو :

أنا أريد الاستنباط ، يستنبط من هذه القصة أن كل إنسان فيه جانب خير ، وأنت كداعية شاب ينبغي أن تنظر إلى إيجابيات الإنسان ، وأن تنميها ، وألا تحكم عليه حكماً قطعياً مستقبلياً ، بل ينبغي أن تظن أن كل إنسان قد يصحو ، وإذا صحا أرضى من حوله بأعماله الطيبة .

الموقف العنيف ، وتكفير الناس ، وتشريكهم ، واتهامهم بالبدع ، واتهامهم بالضعف هذا الذي يكفر الناس هو أكفرهم ، أو هو أكفرهم ، إما أنه أشدهم كفراً ، أو أن كلامه باطل هو كفرهم ، وهم ليسوا كذلك ، فأنا لست مع إعطاء الأحكام القطعية ، وشرخ يحصل في المجتمع ، هذا الذي أتعبنا كثيراً ، وجعلنا أمة نحارب من كل بقاع الأرض .

أيها الإخوة الكرام ، أردت من هذا الدرس فقط أن نتعلم من النبي عليه الصلاة والسلام كيف دعا إلى الله ، قال تعالى :

(فَبِمَا رَحْمَةٍ)

[سورة آل عمران : 159]

قانون المحبة والعداوة :

بسبب رحمة استقرت بقلبك يا محمد كنت ليناً معهم ، معنى ذلك أن الإنسان باتصاله بالله يشتق من الله الرحمة يصير قلبه رحيماً ، والقلب الرحيم ينعكس ليناً في المعاملة :

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ)

[سورة آل عمران : 159]

قوانين القرآن قوانين تتصل بالله ، تشتق منه الرحمة ، فتكون ليناً ، قال تعالى :

(وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)

[سورة آل عمران : 159]

ولو كنت منقطعاً عن الله لامتلأ القلب قسوة ، والقسوة انعكست غلظة ، القاسي غليظ والرحيم لين والرحمة مشتقة من الله والغلظة تأتي من البعد عن الله ، قال تعالى :

(فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ)

[سورة الزمر : 22]

(وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)

[سورة آل عمران : 159]

معادلة رياضية ، اتصال ، رحمة ، لين ، التفاف ، انقطاع ، قسوة ، غلظة ، انفضاض ، أربع كلمات بأربع كلمات ، اتصال ، رحمة ، لين ، التفاف ، انقطاع ، قسوة ، غلظة ، انفضاض ، قال تعالى :

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)

[سورة آل عمران : 159]

من هذا الذي لو كان فظاً غليظ القلب لانفض الناس من حوله ؟ هو رسول الله ، معه وحي ، معه معجزات ، معه بيان ، معه نسب ، معه حسب ، معه كمال ، كأن الله يقول له : أنت يا محمد مع كل هذه الخصائص :

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ)

[سورة آل عمران : 159]

أنا ذكرت هذا الدرس لأنني أرى قسوة وغلظة من بعض الدعاة الشباب ، وتكفيراً وتبديعاً وسحقاً لمن حولهم ، هم على حق وحدهم ، من قال لك هذا الذي تزدريه لعله أرقى منك عند الله ، هذا الذي تأخذ عليه بعض المآخذ لعله أقرب منك إلى الله .

ينبغي أن تعبد الله فيما أقامك :

أنا ذكرت مثلاً مئات المرات ، أن امرأة تصلي قيام الليل ساعات ، وتبكي في الصلاة ، هذا شيء والله رائع جداً ، لكن عندها خمسة أولاد يحتاجون إلى غرفة دافئة في الشتاء ، إلى طعام ، إلى متابعة وظائفهم ، إلى متابعة ثيابهم وهندامهم ، متابعة وقتهم ، هي بعد أن صلت هذه الصلاة الطويلة تعبت كثيراً ، وتركت الأمر عشوائياً ، حينما ترعى أولادها رعاية تامة ، وتقيم لهم ما يحتاجونه تماماً هي أقرب إلى الله مئات المرات من الأولى .

أنا أقول : ينبغي أن تعبد الله فيما أقامك ، النبي عليه الصلاة والسلام علمنا الحكمة ، وعلمنا الرفق واللين ، عمير بن وهب أسلم برقة النبي ، أطلقه يا عمر ، ابتعد عنه ، ادنُ مني يا عمير ، هكذا النبوة .

مع حاطب بن أبي بلتعة :

حاطب بن بلتعة يا أيها الإخوة الكرام ، شيء لا يصدق ، ارتكب خيانة عظمى ، كتب كتاباً إلى زعماء قريش ، <<إن محمداً سيغزوكم ، فخذوا حذركم >> ، هذا العمل بكل أنظمة الأمم والشعوب من أول ما بدأت الدول إلى نهاية الدوران خيانة عظمى ، وتستوجب الإعدام ، النبي عليه الصلاة والسلام جاءه الوحي ، وأرسل من يأخذ الخطاب من هذه المرأة ، وقرأه أمام صحابته ، وحاطب موجود ، قال : ما

هذا يا حاطب ؟ وقف حاطب فقال : والله يا رسول الله أنا مؤمن ، ما كفرت ، ولا ارتددت ، وأنا موقن أن الله سينصرك ، ولكنني لصيق بقريش ، أردت بهذا العمل أن تكون لي عندهم يد بيضاء أحفظ بها أموالي وأقاربي وأولادي ، النبي عليه الصلاة والسلام قال : إني صدقته فصدقوه ، ولا تقولوا فيه إلا خيراً ، سيدنا عمر قال له : دعني أضرب عنق هذا المنافق ، قال : لا يا عمر ، إنه شهد بدراً .

والله نحن يا أيها الإخوة الكرام لو أخطأ رجل معك خطأ تهدر له كل عمله السابق ، تكبه ، تنسى كل فضائله ، وتحقد عليه ، قال : لا يا عمر ، إنه شهد بدراً ، لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم ، فإنه مغفور لكم .

نصيحة إلى الدعاة إلى الله :

هذه القصة تأخذ مني مأخذاً كبيراً ، الله عز وجل لم يهدر لهذا الإنسان عمله السابق ، هذه الموضوعية، فأنا أتمنى أن نستنبط من سلوك النبي ، ومن مواقف النبي أساليب دعوته إلى الله ، الدعاة الآن بعيدون جداً عن هذه الروح العالية ، عن هذا التسامح ، عن هذا الحلم ، عن هذه الحكمة ، قال له مبارك : قال : يبرك عليك جمل ، هذه لم ترد في السنة ، قال له : وهل ورد في السنة قلة الذوق ، الآن تقبل الله لم ترد ، خذه بالرفق فإنه مسلم .

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية – موضوعات مختلفة في التربية - دروس حوارية - الدرس (14-28) : بعض القواعد المفيدة لرفع الأداء الشخصي

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 11-06-2006

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

أيها الإخوة الكرام ، سنحاول مناقشة بعض القواعد التي ترفع من الأداء الشخصي وهي قواعد مفيدة لكل إنسان يتمنى أن يرفع قدراته في الأداء ، والحقيقة فيها أشياء مفيدة جداً ، ولكن نحن دائماً نحتاج إلى هذه الحقيقة ، إن عرفت الحق كان الحق مقياساً ، لأن عمرك لا يتسع لمعرفة الباطل ، إن عرفت الحق وأتقنته فالحق لا يتعدد ، الحق واحد ، لذلك يمكن أن يكون الحق الذي عرفته مقياساً لكل ما سواه، قال تعالى :

(وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ)

[سورة الأنعام : 153]

1 – برنامج العمل والموضوعية :

أنت حينما يكون في جيبك دفتر صغير ، وأي شيء خطر في بالك كتبته أنت أمام قائمة أعمال ، كلما أتيح لك وقت فارغ تفتح هذا الدفتر ، وتنجز بعض الأعمال ، لعل بعض الأعمال يحتاج إلى اتصال هاتفي ، لعل بعض الأعمال يحتاج إلى متابعة ، لعل بعض الأعمال يحتاج إلى تسجيل ، لعل بعض الأعمال يحتاج إلى أن تذكره ، ما الذي يمنع أن يكون لك برنامج عمل ؟ ما الذي يمنعك أن تكون موضوعياً متأنياً ؟

2 – عدم التسرع في الحكم على الواقع :

حدثني أخ كان في العمرة أحب أن يشرب ماء زمزم ، وضع كأساً ، وملأه ، فلما شربه انزعج جداً ، الماء ساخن ، أين العناية بالعمار والحجاج ؟ أين الماء البارد ؟ انزعج ، فلما وضع الكأس في مكانه لفت نظره أنه كتب على هذا الوعاء ماء غير بارد للمتقدمين في السن ، إذاً : هذه منتهى العناية ، تصورت شيئاً ، وأزعجت ، وأنت المخطئ ، الخارطة خلاف الواقع .

حدثني أخ قبل يومين له هاتف يشبه هاتف أحد الإخوة ، الفرق رقم واحد ، اتصل فيه ، مشغول ، مشغول ، مشغول ، ارتفع غيظه ، إلى متى يتصل ؟ فإذا هو يستخدم رقمه نفسه ، إذا أنت استخدمت رقمًا يكون مشغولا دائماً ، فهذه النقمة تلاشت ، فالإنسان أحياناً يتسرع ، يضربون على ذلك قصة مشهورة : أن امرأة أرادت أن تسافر ، وصلت إلى المطار ، اشترت صحيفة يومية ، وطلبت قهوة ، واشترت علبة بسكوت ، وجلست على الطاولة بانتظار الصعود إلى الطائرة ، هي فتحت الصحيفة هكذا، تقرأها لا ترى من الذي أمامها ، فإذا يده تمتد إلى البسكويت ، وتأخذ واحدة ، اغتاظت ، ما هذه الوقاحة ؟ بلا إذن ، بلا استئذان ؟ سكتت ، ثم امتدت يد هذا الرجل ، وأخذت قطعة ثانية ، ازداد غيظها، ثم امتدت يد هذا الرجل فأخذت قطعة ثالثة ، وتابع أكله من هذه العلبة إلى أن انتهت ، فأخذ آخر قطعة ، وقسمها نصفين ، وأعطاها نصفاً ، وأكل نصفاً ، عندئذ بلغ غضبها أعلى درجة ، وكادت تنفجر ، وكادت تشتمه ، وكادت تبصق في وجهه ، لكن قبل أن تبدأ لعله يعرفها ، زاحت عنها الصحيفة، لا يعرفها ، لما أزاحت الصحيفة ابتسمت ، فإذا بها تستمع إلى نداء إلى الطائرة ، فلم تفعل شيئاً طوت الصحيفة ، وفتحت محفظتها كي تضع الصحيفة في محفظتها ، فإذا بعلبة البسكويت في محفظتها ، هذه العلبة له ، الخارطة خلاف الواقع .

في حياتنا يومياً مئات الحوادث ، تتألم ، تغضب ، تشتم ، تزمجر ، تزبد ، تزبد ، وأنت غلطان ، والطرف الآخر بريء ، قال تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا)

[سورة الحجرات : 6]

دفتر وقلم :

صدقوا أيها الإخوة الكرام ، زرت بلداً في آسيا ماليزيا هو في تفوق يفوق حد الخيال ، أبلغني السفير السوري هناك أن رئيس هذا البلد يحمل في جيبه دفترًا ، فأي شيء لفت نظره يكتبه ، ثم يتابع تنفيذه ، رئيس جمهورية يحمل هذا الدفتر ، ما الذي يمنع الواحد منكم أن يقتني دفترًا صغير ؟ دفع مبلغًا فسجله، وعد إنسانًا فسجله ، خطر في باله إصلاح آلة في بيته فسجله ، مساءً وجد معه عشرة بنود ، حاول أن يحل بعضها بالهاتف ، بلغه أن فلانًا مريض ، فكتب زيارة فلان ، قد لا يأتي إلى ذاكرتك أن تزور هذا المريض ، لما أبلغ فلانًا كتبت عندك ، فتحت الدفتر ، عندك زيارة مريض ، صدقوا يمكن أن يرتفع الإنجاز عشرة أضعاف ، وأنت أنت ، بثقافتك ، وبخبراتك ، وبقدراتك يرتفع إنجازك عشرة أضعاف عن طريق الكتابة على دفتر .

بعض الإخوة الكرام يظن أنه إذا كتب على تقويم كبير هذا أين تحمله ؟ هذا مكانه في البيت ؟ أنا أريد دفترًا بجيبك ، حجمه خفيف ، دفعت ، وعدت ، خطر في بالك خاطر ، تتابع موضوع ، فلان أعطاك رقم هاتفه سجلته ، تفتح مساء عندك ثلاثون بنداً ، رقم الهاتف تضعه في الدليل ، زيارة مريض تضعها غداً في جدول الأعمال ، شكر لفلان ، قدم لك فلان هدية ، من البديهي أن تشكره ، تكتب : شكر فلان ، تفتح الدليل ، تأخذ رقمه ، اتصل به واشكره .

لو اكتفينا بهذا اللقاء بهذا الدفتر الصغير ، إذا اقتنى كل إنسان دفتراً صغيراً يوضع في الجيب دائماً ، معك قبل أن تنام إلى جانب السرير ، تستيقظ هو في جيبك ، تذهب إلى مكان العمل هو في جيبك ، معه قلم ، والله أحياناً ألتقي بإخوة كثر ليس معه قلم ، هل هذا معقول ؟ ما ثمن القلم ؟ إنسان بلا قلم ؟ القلم أساسي ، دفتر ، وقلم ، لو طبقنا في هذا الدرس : دفتر وقلم ، قالت لك زوجتك : نحن بحاجة إلى الحاجة الفلانية ، ولا أبالغ لو ما كتبتها ، وأنت بعملك منهمك تنساها ، فتضطر بعد ثلاثين يوماً أن تحضرها ، وكان يكلفك أن تكتب كلمة واحدة ، وأنت في مكتبك ، فتحت ، و عندك موظف ، وقلت له : اشتر لي هذه الحاجة ، وانتهى الأمر ، لكن كله على الذاكرة .

أيها الإخوة الكرام ، والله أثق بمحبتها ، وورعهم ، تكلف إنسان بعمل أستاذ ، على عيني ورأسي ، تكرم ثاني يوم ، والله نسيت ، ثالث يوم أيضاً نسي ، لا يتذكر ، متى يتذكر ؟ حينما يراني لا يوجد إنجاز أبداً ، فإذا لم يكن معك دفتر تكتب فيه كل شيء تنسى .

أحيانا يقول لك إنسان : أنا اسمي فلان ، وأنت تحب أن تقول له : أبو فلان ، ولا تعرف اسم ابنه ، ما اسم ابنك حتى أقول لك أبو فلان ؟ لا تصح ، لو فرضنا أنك زرته ، ونادى لابنه ، وهذا أكبر أبنائي ، تكتب : فلان أبو فلان ، أحيانا على الهاتف تقول : أبو فلان ، فيها مودة أكبر ، إلا في القرآن ، بالعكس الله ما نادى بكنيته إلا أبا لهب ، قال تعالى :

(تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ)

[سورة المسد]

والباقي يا يحيى ، يا عيسى ، لكن بمجتمعنا كلمة (أبو) فيها تودد أكثر ، وفيها محبة أكثر ، على كلٍّ، نحن لو اكتفينا بهذا اللقاء بهذا الدفتر كل واحد معه دفتر صغير ، الكبير غير عملي ، الكبير في بيتك ، أو في عملك ، أو في مركبتك ، أنا أريد دفترًا معك دائماً ترتدي بيجامة في البيت ، ترتدي جلابية فيها، وأنت ترتدي ثيابك الرسمية في الجيب دفتر ، وقلم يمكن أن تكتب كل شيء ، سمعت حكمة رائعة جداً كتبتها ، لك دفتر في البيت للحكم والأشعار المختارة ، حديث شريف جميل لفت نظري جداً أكتبه ، تكتب حديثًا ، تكتب بيت شعر ، دفعت دفعة كتبتها ، لك حساب صندوق ، هناك فرق في الصندوق ، لا

تتذكر ، كتبت بعض المصروف ، أعطاك شخص مبلغًا أمانة فكتبته ، أعطاك شخص رقم هاتفه فكتبته، لذلك يقولون : إن أسوأ قلم أفضل من أقوى ذاكرة .

إن الحياة الآن معقدة جداً ، لا تتذكر ، أنا تجربتي مع إخواننا واسعة جداً ، الذين أعتمد عليهم اعتماداً شديداً معهم دفتر ، لا أضطر أن أقول له العمل مرة ثانية ، أقوله مرة واحدة ، أقوله فيسجله عنده ، نفذه في أقرب وقت ، والأكمل أن يبلغني أني نفذته ، لأنه أحيانا ينفذه ، ولا يبلغك ، وأنت تحتار ، أنفذه أم لم ينفذه ؟ ينفذ ويبلغ ، أحيانا يكون الواحد معه هاتف خلوي فيه مهام ومواعيد ، ومعظم الناس يستخدمون الهاتف للاتصال فقط ، لكن له وظائف ، الهاتف عشرة أضعاف استخدامه كهاتف ، كل مواعيدك مع التذكير قبل ساعة ، أو يوم ، أو يومين ، وبتنبيه ، أو بدون تنبيه ، يمكن أن تستخدم الهاتف الخلوي بكل طاقاته ، فهذا الهاتف الخلوي مثل موظف عندك ، يذكرك بكل شيء ، هذه التقنية الحديثة لمَ لا ننتفع بها فنقوى ؟ أنا أريد أن يرتفع أداؤك فقط ، يرتفع أداؤك بالتسجيل ، والتسجيل أساسي عند الناجحين ، أنت مثلاً مدير مدرسة ، معلم ، مدير مؤسسة ، عندك موظفون ، تكلف موظفاً أن يكتب كتاباً ، وأن يرسله ، يقول لك : تكرم ، أنت تنسى أن تتابعه ، لا يكتب الكتاب ، ولا في شهر ، لمّا كلفته كتبت عندك : تكليف فلان ، ثاني يوم فتحت الدفتر ، وجدت تكليف فلان ، تطلبه ، هل كتبت الكتاب ؟ لا تؤاخذني أستاذ ، أكتبه مرة ثانية ، إذا كان عندك موظفون وعمال ، عندك من هم تحت إمرتك ، وأدركوا أن أنت مستحيل أن تنسى شيئًا صار كلامك أمرًا مستحيلا فلا أحد يخالفه ، لأنك عوّدتهم أنك إذا أمرت أمراً لا تنساه أبداً ، بل تتابعه .

أكاد أقول لكم : أكبر خطأ في الدول المتخلفة عدم المتابعة ، نحكي لا ننفذ ، مؤتمرات تعقد ، تخرج توصيات رائعة ، لا ينفذ منها شيء ، والتنفيذ يحتاج إلى متابعة ، من الذي يتابع ؟ لا أحد يتابع ، كل الناس يتكلمون ، ويتكلمون عن طموحاتهم ، وعن برامجهم ، وينتهي المجلس ، وينتهي كل شيء معه ، بلا إنجاز ، نريد إنجازاً .

أنت إذا تعاملت مع العالم الغربي أحيانا يأتينا مندوب شركة أجنبية ، أول ما يجلس يفتح الدفتر ، ما من كلمة تحكيها إلا يكتبها ، وأحيانا تبنى كل التجارة على كلمة على ملاحظة على لفت نظر ، أحيانا يكون أحدنا قد درس إدارة أعمال ، عنده الدفتر أساسي ، يكتب كل شيء ، مساء يسلط هذه الأشياء في أماكنها، اقتراحات ، قرارات ، توجيهات ، تخفيض ، رفع ، من هذا الدفتر ، نحن لو اكتفينا بهذا اللقاء ، بهذا الدفتر ، فقد أضفنا إضافة نوعية إلى أداءنا الشخصي.

اليوم أول بند : اتخذ دفتراً معك دائماً ، ترتدي ثيابًا صيفية ، يجب أن يكون الدفتر حجمه معقول جداً ، لو كل أسبوع غيرت الدفتر فلا مانع ، لكن بحجمه يوضع في الجيب مع قلم ، يمكن أن يتضاعف إنتاجك أربعة أضعاف أو خمسة أضعاف بهذا الدفتر ، لأنه يذكرك ، حتى بالهواتف الخلوية فيها جدول

مهام ، يقول لك : ما مستواها ؟ درجة أولى ، ثانية ، ثالثة ، تقول له : أولى ، يأتي أول واحد مهم جداً ، أنت أنجزته إنجازاً جزئياً ، كلفت إنساناً يقوم به ، فقام به إنسان ، وخبرك فتمحوه من دفترك ، تفتح الهاتف ، أنت معك كل الأعمال ، إذا أحببت تعويض الدفتر بهاتف فلا ما مانع ، لا بد أن يكون لك دفتر أعمال ، دفتر للإنجاز ، خطط ، ثبت أن ثلاثة بالمئة يخططون ، والباقون يخطط لهم ، إما أن تخطط ، وإما أن يُخطط لك عدوك ، استفد من الوقت ، هذا الدفتر يرفع لك الإنتاج عشرة أضعاف ، يمكن أن تطبقه على البيت ، كلفت ابنك أن يحلق شعر رأسه ، مساء تحاسبه ، لماذا ما حلقت ؟ انتبه ، الأب إدارة راقية جداً من دون عنف ، بنعومة ، كلفته أن ينجز هذا العمل فما أنجزه ، كلفته أن يبلغ فلانًا فما بلغه ، لما كلفته ، وسجلت استجاب ، ولما ما سجلت صدق ، ولا أبالغ أنه يهبط إنتاجك للعشر كله على الذاكرة .

هناك أخ من إخواننا لم أعد أراه ، أمر من أمامه كل يوم ثلاثة أشهر ، كلما أمر أمام بيته أقول : أريد أن أخبره ، لأني ما كتبته ، تسعين يوماً ما أخبرته ، لأني ما كتبتها ، متى أتذكر أن أخبره أمام بيته ، هذه واحدة من الطرف ، إذا ما كتبت لا أتذكر اكتب .

أهمية توضيح الأمور :

الآن حياتنا معقدة جداً ، مئة قضية ، ومئة اتصال ، و مئة ضغط ، وأخبار مزعجة أحياناً ، ومشكلات في البيت أحياناً ، هذه الضغوط المتنوعة ، وكثرة الاتصالات تجعل الإنسان في ضياع ، الآن أكثر مشكلات الناس فيما بينهم من عدم الكتابة ، بالجهالة ، كل جمعة عندي مشكلتان أو ثلاث مع إخواننا مختلفين ، لماذا هم مختلفون ؟ لأنهم ما كتبوا على الذاكرة ، وكل واحد يتصور الاتفاق لصالحه ، هذا تصوره أجيرًا بأجر ، وهو تصور حاله شريكًا ، فرق كبير بين شريك وأجير ، نتعاون لا تفرق ، لا نختلف ، نحن إخوان ، خذ هذا المبلغ ، هذا المبلغ ؟ ما هو أجرتي ، أم من الربح ؟ ما هو هذا المبلغ ؟ الجهالة تفضي إلى المنازعة ، تسعون بالمئة من قضايا المحاكم أساسها الجهالة ، ليس هناك وضوح .

أخ من إخواننا يبيع غرف نوم ، استلطف غرفة ، قال له : ابعث لي إياها ، بعث له عشرة آلاف ، ثاني جمعة عشر آلاف ، بعد ذلك بعث له مئة ألف ، قال : يكفي ، قال : أين الباقي ؟ قال : بعثت لك مئة ألف، قال له : ثمنها ثلاثمئة ألف ، اختلفوا ، لما أخذتها ؟ لماذا ما سألته على سعرها ؟ هذه بالتعبير العامي مغمغة ، كله ضبابي ، حياته ما فيها وضوح .

يأتي فرضاً صاحب محل ، يعين موظفًا ، يقول له : أنت إن شاء الله أريد أن أشاركك ، يعيش بحلم يفوق حد الخيال ، يعمل ، ولكن ظن الموظف أنها حقيقة ، ثم يفاجأ ، فقال له : أنا أمزح معك ، هذه حياتنا كلها لا شيء واضح .

يا أيها الإخوة الكرام ، وضح كل شيء .

حدثني أخ يعمل في الحريقة ، يحتاج إلى نقل بضاعة من مكان إلى مكان ، ففي الحريقة ، يحضر شخصًا يقول له : الثمن ثلاثمئة ليرة فرضاً ، القصة قديمة ، ينقل البضاعة ، يعطيه ثلاثمئة ، يفتح العيار العالي ، ماذا ثلاثمئة ، لا تكفي ، البضاعة كثيرة ، لا يقدر عليها ، قال لي : كلما أنقل بضاعة عندي مشكلة ، ألست أنت الذي طلب ثلاثمئة ؟ لا أعرف قدر البضاعة .

مرة أحببت أن أطبق الحديث النبوي أن الجهالة تفضي إلى المنازعة ، قال لي : أحضرت شيخ العتالة، وقال له : عد البضاعة ، وإذا لم تعدها أحضر غيرك ، فعدها ، وقال : احمل الثوب واعرف وزنه ، وإذا ما حملته فأحضر غيرك ، من مكتب بالحريقة إلى طابق رابع ، والمصعد ممنوع استخدامه ، يصعد إلى فوق ، ويمشي ، ويضعها على الرفوف بالغرفة الداخلية ، قال لي : حملهم ، وأعطاه ستمئة ، وقال له : شكرا ، ماذا يقول له ؟ كثير عددهم ، ثقيل حملهم ، الطريق طويل فيه مشي ، مصعد ممنوع استخدامه ، وضعناها في الداخل ، يعرف المكان ، قال لي : ما عطس ولا كلمة .

هذه قاعدة ، لما تبين كل شيء لا يوجد عندك مشكلة .

في الخِطبة يوهمها أن عنده بيتًا ، وعنده سيارة ، ودرس في جامعة ، يكون قد درس كفاءة ، ولا عنده بيت ، ولا عنده سيارة ، ومعه مرض ، تنشأ الخلافات بالخطبة هكذا ، وبالزواج هكذا ، وبالتجارة هكذا، وبالبيع والشراء ، حياتنا كلها جهالة ، كل مشاكلنا تأتي من الجهالة ، ومن عدم التوضيح .

كل شيء بالأول سهل ، بعد ذلك مشكلة كبيرة .

يا أيها الإخوة الكرام ، الدرس توضيح ، ودفتر ، كلمة دفتر تعني الشيء الكثير ، تعني رفع أدائك ، تعني إنجازاً كبيراً ، تعني أنك ما تضيع شيئًا ، أحياناً تكون في مكان صعب جداً تحتاج إلى رقم هاتف ، وبلغك الشخص ، لكن ما كتبته عندك تضطر أن تخبر خمس مكالمات ، وهذا ما وجده ، وهنا بدون تغطية ، فتغضب ، قال لك : أنا رقم هاتفي كذا ، لو معك دفتر وقلم ، وانتهت المشكلة ، فإذا قنع كل واحد بالموضوع فحاول أن يقتني دفتراً ، وحاول أن يستخدمه دائماً ، الدفتر لا يستخدم بشكل فعال إلا إذا كان معك ، أما المذكرة الكبيرة فليس لها فائدة ، لأن لها مكانًا كبيرا ، كل شيء خارج جسمك ليس له قيمة أن يكون ضمن جسمك ، بجيبك الصغير ، ومعك قلم ، والله عشرات الإخوة الكرام ما معه قلم ، يطلب مني أن يكتب حديثًا ، فأعطيه القلم ، فينساه عنده .

احمل قلمًا ، احمل دفترًا ، اكتب حكمة ، حديثًا ، فكرة ، عنوان موقع معين بالإنترنت مثلاً ، اكتبه ، هذا الإنجاز ، الإنجاز يبدأ من دفتر.

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية – موضوعات مختلفة في التربية - دروس حوارية - الدرس (15-28): كيف يجب أن يُمضي أولادنا العطلة الصيفية

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 18-06-2006

بسم الله الرحمن الرحيم

الوقت أغلى شيء في الحياة :

أيها الأخوة الكرام ، من أبرز الموضوعات التي تناسب هذا الوقت كيف يمضي أبناؤنا الإجازة الصيفية ؟

بادئ ذي بدء أرخص شيء في حياة الإنسان المتخلف هو الوقت ، وأغلى شيء في حياة الإنسان الموفق هو الوقت ، والفرق الكبير بين الموفق والمتفوق الناجح والفالح وبين المقصر والمتخلف هو رؤية قيمة الوقت ، لذلك من أدق أدق تعريفات الوقت ، أو من أدق أدق تعريفات الوقت بالنسبة للإنسان أن الإنسان وقت أنه بضعة أيام ، كلما انقضى يوم انقضى بضع منه ، وما من يوم ينشق فجره إلا وينادي : أنا خلق جديد ، وعلى عملك شهيد ، فتزود مني فإني لا أعود إلى يوم القيامة إن هؤلاء الأطفال ، أولاً : هم طاقة .

ثانياً : وقت مديد ، ففي أنظمة التعليم عندنا صيف فيه أشهر ثلاثة ، بينما في معظم بلاد العالم الصيف شهر واحد ، والعمل مستمر ، وفي هذا الشهر هناك دورات ، وهناك برامج ، وهناك وسائل للاستفادة من هذا الوقت ، لكن لا بد من أن تفكر ، أو أن تخطط لأولادك كيف يمضون الإجازة الصيفية ؟ لأن الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك ، بل إنّ نفسك ونفس أولادك إن لم تشغلها بالخير شغلتك بالشر.

تعلَّمْ كل شيء عن شيء ، وشيئاً عن كل شيء .

الآن المنطلق في التعلم ، وفي الخبرات ، وفي الثقافة منطلق دقيق جداً ، هناك قاعدة أخذت من بعض البلاد الغربية ، تعلَّمْ كل شيء عن شيء ، وشيئاً عن كل شيء .

أحياناً يكون الإنسان على مستوى من العلم رفيع جداً ، لكن لأنه تعلم كل شيء عن شيء ، ولم يتعلم شيئاً عن كل شيء يقع في متاهات كبيرة جداً ، يقع في سذاجة ، يضيع حقه ، أحياناً لأنه تعمق بالدراسة، واختص بموضوع معين ، وتابعه وتفوق به ، أما في العلاقات الاجتماعية ، في الأمور التي

تحتاج إلى يقظة ، في أمور معرفته بالله هو صفر ، لذلك يدفع ثمن جهله عن كل شيء ، فنحن عندنا إجازة صيفية ، يمكن أن نزود أبناءنا ، أو أن نزود أنفسنا إن كنا شباباً بفروع من العلم ، ليس هناك وقت في أثناء العام الدراسي للأخذ به .

كيف نمضي العطلة الصيفية ؟

1 – إياكم وتضييع الأوقات فيما لا ينفع :

إذاً أول نقطة : يجب أن تمضي الصيف لا في الضياع ، ولا في الحديث الفارغ ، ولا في إضاعة أوقات الآخرين ، ولا في كلام لا يقدم ولا يؤخر ، بل لا في معصية ، إما كلامية ، أو غير كلامية ، فهذا وقت ثمين ، وهناك حساب دقيق .

2 – احذروا البطّالين :

احذر من البطالين ، هناك أشخاص في حياة كل واحد منا ما عنده همٌّ ، وما عنده هدف ، ويحب أن يضيع وقت الناس ، يزورهم بكل مودة ، يجلس معك الساعات الطويلة ، حديثه معك عن السيارات ، وأسعار الدولار ، والأخبار السياسية ، النتيجة : يضيع لك وقتك .

أنقل لكم لقطة من عالم جليل هو ابن الجوزي يقول : أعوذ بالله من صحبة البطالين ، صحبتهم متعبة جداً ، لأن كلامهم فارغ ، أهدافهم ليست سامية ، الذي لا يحمل هم المسلمين هو مشكلة ، هو إنسان غير متوازن ، قال : أعوذ بالله من صحبة البطالين ، لقد رأيت خَلقاً كثيراً يجرون معي فيما اعتاده الناس من كثرة الزيارة ، ويسمون هذا التردد خدمة ، ويطلبون الجلوس ، ويجرون فيه أحاديث الناس ، وما لا يعني ، وما يتخلله غيبة ، قال تعالى :

(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ)

[سورة المؤمنون]

والله أيها الإخوة ، أشد ما أعجب منه إنسان بلا هدف ، وإنسان بلا خطة ، وبلا وسيلة ، جالس أي خاطر يأتيه يتكلم به ، صحيح أو غير صحيح ، أخبار موثوقة أو غير موثوقة ، اتهام بدليل أو بلا دليل، العبرة أن يتكلم ، ولا يعبأ ، لا بغيبة ، ولا نميمة ، ولا بافتراء ، ولا بسخرية ، ولا باستعلاء ، هذا الإنسان صحبته مدمرة ، أولاً : يضيع لك وقتك ، ويكسبك عادات سيئة جداً ، وأنت حينما تستمرئ صحبته تنسى خطره ، لذلك ابن الجوزي من كبار العلماء يقول : " أعوذ بالله من صحبة البطالين ، إن

أنكرت عليهم وقعت وحشة تقطع المألوف ، لا يحتملون أن تنكر عليهم ، عندهم حساسية أيضاً ، ينبغي أن تقرهم على عملهم ، فإن أنكرت عليهم وقعت وحشة بينك وبينهم ، وإن تقبلتهم ضاع الوقت ، فصار ابن الجوزي يدفع اللقاء معهم بكل جهده ، فإذا غلب عليه وجودهم قصر في الكلام معهم ليتعجل فراقهم، ثم يعد أعمالاً تمنع المحادثة .

قد يأتي إنسان إلى محلك التجاري ، وهو مكان كسب الرزق ، مكان بيع وشراء ، يجلس ، ويسألك عن السوق ، كيت وكيت ، وفلان وعلان ، يقول لك معلومات غير دقيقة ، غير صحيحة ، يثير فضولك إلى أشياء ، وهذا مكان عمل ، فبعد هذا ابن الجوزي من وسائله في الخلاص من البطالين المفسدين قال: يتعجل أعمالاً يعدّها أمامهم ، وينهمك فيها ، أحيانا يرتب زاوية في المحل ، عندك إنسان بطال عطال ، بلا هدف ، بلا خطة ، رتب مكتبتك أمامه ، راجع أوراقك أمامه ، حاول أن تكتب أمامه ، لأنه مشكلة كبيرة .

أنا أرى أيها الإخوة الكرام ، أنك وقت ، وأن أثمن شيء تملكه هو الوقت ، والإنسان الناجح في حياته لا يوجد عنده وقت أبداً ، يتكلم كلاماً فارغاً ، يعطي تعليقات غير منضبطة ، يستمع إلى قصص فارغة، إلى كلام لا يقدم ولا يؤخر.

أنا أتمنى على كل أخ أن يستغل وقته إلى أعلى درجة ، عندك موعد مع طبيب الأسنان ، يمكن أن تنتظر ربع ساعة ، خذ معك كتيبًا صغيرًا ، هناك كتيبات صغيرة راجعها عنده ، عندك سفر إلى مكان بعيد ، يمكن أن تقرأ خمس ساعات موضوعًا مهم جداً .

والله في أثناء سفري إلى بلاد بعيدة ما وجدت راكبًا في العالم الغربي إلا معه قصة ، أو معه كتاب ، أو معه كومبيوتر في المطارات ، الوقت ثمين جداً ، أحياناً يكون الواحد معه (هارد) صغير ، أينما جلس يستخدم الكومبيوتر ، يراجع أموره ، يبحث عن موضوع ، الآن في المطارات إنترنت يمكن أن تبحث عن موضوع في انتظار ثلاث ساعات يكون هذا الوقت ثميناً ، من دون عمل لا يحتمل ، يمكن أن تنجز عملاً في هذا الوقت ، يمكن أن تنظم وقتك حيث إن هذا البطال تبتعد عنه ، نحن في الصيف يمكن أن تؤلف كتاباً في الصيف ، يمكن أن تحضر دورة مهمة جداً ممكن تلتقي بعالم ممكن تتابع موضوع عندك رغبة تتعلم أحكام البيع وأنت تاجر ، يمكن أن تعكف على كتاب فيه أحكام البيع ، تقرأه على يد عالم مثلاً ، يمكن أن تعمل أشياء وخططًا .

أيها الإخوة الكرام ، ثلاثة بالمئة يخططون ، والباقون يُخطط لهم ، هم أرقام لا معنى لها في خطط أعدائهم ، خطط كيف تمضي هذا الصيف ، كونك مؤمنًا خطط ، تستكمل بعض العلوم التي تنقصك في أمور الدين ، ففي أثناء الشتاء هناك عمل وتدريس ، لكن في الصيف معك وقت فراغ ، إن سافرت إلى مكان لقضاء إجازة خذ معك كتاباً ، خذ معك مشروع عمل تقوم به ، فأنا ما وجدت إنساناً ناجحاً في

حياته إلا كان الوقت أغلى شيء عنده ، وأنا أقول هذا الكلام لأننا على مشارف الصيف ، حيث التفلت كثير ، والمغريات كثيرة ، والطرقات مليئة بالكاسيات العاريات ، فلما يكون الإنسان بلا هدف ، وبلا خطة ، وهذا الكلام طبعاً موجه لشاب ، أو لأب عنده أولاد .

3 – لا بد من لقاء أهل العلم والاختصاص :

شيء ثان ، أحياناً يحب الإنسان أن يلتقي مع أهل العلم ، يمكن للإخوة المتفوقين مثلاً بجامع أن تلتقي معهم ، هذا متفوق ، معه شهادة عليا باختصاص معين ، تهيئ له أسئلة في اختصاصه ، تلتقي معه لقاء دوريًا في الصيف ، خطر في بالي نشاطات في الصيف لا تعد ولا تحصى ، وكلها ضمن الإطار الديني؛ ضمن الإطار الذي فيه تفوق .

مرة ذهبت إلى مصر ، فأصررت أن أزور أحد كبار الدعاة ، جلست معه جلسة طويلة جداً ، وأنا هيأت له أسئلة عويصة جداً ، والجلسة كانت غنية جداً ، وكانت مسجلة ، هذا اللقاء صار كتابًا ، أجريتُ لقاء ثانيًا معه صار كتابًا ، وهناك كتاب ألّفته عن هذا العالم ، وأنا في زيارتي لمصر ما وجدت لقاء ممتعًا أكثر من أن تلتقي مع أهل العلم ، العلم ممتع جداً ، وأمتع لحظات الحياة مذاكرة العلماء فيما بينهم ، إنسان ذو خبرات عالية جداً في فهم حقيقة الدين ، في فهم كتاب الله ، وكتاب الحديث ، في فهم السنة ، في فهم أصول الدعوة ، إذا التقيت مع إنسان متعلم مثقف ترتقي به ، لذلك البطولة أن تصاحب في الدنيا من هو أدنى منك ، لئلا تزدري نعمة الله عليك ، وينبغي أن تصاحب في أمر الآخرة من هو أعظم منك ، أو من هو أكبر منك فيما أنت محتاج إليه ، وتنتفع به ، فكلما التقت صحبتك مع أناس تفوقوا في معرفة الله ، وفي عطائهم لأمتهم اقتبست منهم ، لذلك قضية الصيف يجب أن يكون لها برنامج .

تذكير بأهمية البرمجة اللغوية العصبية :

أيها الإخوة الكرام ، كما تحدثت معكم في الدرس الماضي في البرمجة اللغوية العصبية ، واخترنا في الدرس الماضي دفترًا صغيرًا تكتب فيه جدول أعمالك ، تكتب فيه ملاحظاتك ، تكتب فيه حكمة سمعتها، تكتب فيه تعريفًا أعجبك ، تكتب فيه ترجمة معينة ، لقطة لعالم ، لذلك الآن في الصيف ينبغي أن تفكر كيف تمضي هذا الصيف .

هناك كلام يقوله العوام سخيف ، ومضحك ، لا همَّ ، ولا رسالة ، ولا هدف ، ولا رغبة بتحسين المعاش ، النبي عليه الصلاة والسلام قال :

((اعملوا لآخرتكم ، وأصلحوا دنياكم))

[ورد في الأثر]

يمكن أنك تحتاج في البيت إلى ترتيب المكتبة فرضاً ، ترتيب أمورك ، كتابة رسائل ، والدرس الماضي تكلمنا أن الدرس ميزاته أن لك صديق توفي أحد أقربائه ، ينبغي أن تعزيه ، كتبتها عندك ، أكثر علاقاتنا غير منضبطة ، وفيها نسيان ، وفيها اعتذار كثير ، فلما كان ينبغي أن تعزيه ، وكتبتها عندك لم تنسَها ، إنسان قدم لك هدية متواضعة ينبغي أن تشكر ، كتبتها عندك ، إنسان عندك سؤال كبير تسأله عنه ، إجابته الدقيقة عند إنسان ، تكتب عندك رقم هاتفه .

وبالمناسبة أيها الإخوة الكرام ، ثمّة كلمة أقولها لكم : الناجحون في الحياة أعلى شيء واضح في نجاحهم اتصالاتهم ، أمّا إنسان ما عنده دفتر هاتف ، كلما احتاج أن يتصل بإنسان يخبر شخصاً ، فلان ما هو رقمه ؟ ضيعت له وقته ، وقطعت عليه حديثه ولقاءه ، وأنت مهمل ، هيئ لنفسك دفتر هاتف متقن تماماً ، الآن كل الحركة بالاتصالات ، أحيانا تنهي أكبر مهمة باتصال هاتفي ، دفتر هواتف متقن مبرمج ، كلما أخذت عنوان إنسان ، عنوان بريده ، رقم هاتفه سجلته عندك ، تسأله ، تستعين به ، أحياناً يستعين بك ، لذلك الاتصالات قضية مهمة جداً .

كان طموحي قديماً فرضاً أنّ عشرة إخوة كرام أرادوا أن ينمو ثقافتهم الدينية ، لو أن واحداً اختص بعلم الحديث ، والثاني بالتفسير ، وهذا بالفقه ، وذاك بالسيرة ، تعمقوا فيها ، وكانوا مجموعة تكاملوا ، واحد درس السيرة ، فأحب هذا الفرع بالدين ، تعمق فيه ، أخذ كل كتب السيرة ، اطلع عليها ، قرأها ، أو قرأ معظمها ، بعد ذلك سأل العلماء : أيهما أفضل ؟ هذا اختص بالسيرة ، أنت ركز على موضوع واحد بثقافتك الدينية ، وإياك والثقافة المبعثرة ، التي ليس لك هدف واضح ، أنا أتمنى أن تقول : أنا أحب التفسير ، أن تعتني بكتب التفسير ، أنا أحب السيرة ، أحب الفقه ، أحب الحديث ، أحب التاريخ ، أنت ثقافتك الجانبية الثقافة المرافقة لاختصاصك حاول أن تنميها ، حاول أن تنميها بموضوع واحد .

أعمال صالحة متنوعة :

الآن هناك أعمال صالحة كثيرة ، والله لفت نظري شابات تبرّعن أن تزور إحداهن بيتاً ، وتحدث الطفلات الصغيرات ، لأن الطفلة ضائعة مقهورة ، بلا أب ، تأتي أخت مؤمنة شابة في ريعان الشباب، لها اتجاه إسلامي كبير فتؤنسها .

مرة دعيت إلى ميتم ، ثلاثين شابة محجبة ، جميعهن تبرعن لخدمة الأيتام ، فكر بعمل صالح ، يقول لي الأخ : صلاتي ليست متقنة ، لا أشعر بشيء فيها ، إذا كان هناك استقامة فهناك سلامة ، أما كان هناك عمل صالح فهناك اتصال بالله عز وجل .

والله إنّ الأعمال التي يمكن أن تكون من قِبل مؤمن لا تعد ولا تحصى ، وقد بلغني عن امرأة في بلد عربي كانت مذيعة بالتلفزيون ، وكانت متألقة جداً ، ثم اهتدت إلى الله عز وجل ، وتحجبت حجاباً كاملاً حتى يديها فيها قفازات ، إلى هذا المستوى ، لكن المفاجأة أنها أنشأت ميتماً ، وأنشأت دار عجزة ، وأنشأت مكانًا لتأهيل المحجبات ، إكساب المرأة رشاقة مثلاً ، تعلم أصول التزيين ، لزوجها طبعاً .

أنا شدهت بامرأة انتقلت مئة وثمانين درجة من تفلت ، أو من تألق إعلامي إلى العمل الخيري ، الذي لا يصدق صار عندها ثلاثمئة موظف بالميتم ، وبدار العجزة ، وبمركز التأهيل ، كلهم نساء طبعاً ، المرأة المؤمنة يجب أن تكون مقبولة عند زوجها من حيث الشكل ، هيئت أماكن للرياضة ، أماكن للتنحيف ، أماكن مكياج ، أماكن للشعر ، حتى المرأة المؤمنة المحجبة لا تكون متخلفة عن امرأة متفلتة، وجدت في ذلك فكرًا حضاريًا ، شيء لا يصدق ، هكذا المرأة ، أنت قيمتك بعملك ، قيمتك بإنجازك ، ولا تقل : نحن نعيش كيفما كان ، يأكل ، وينام ، ويسمع قصصًا ، ويتابع الأخبار ، ويسهر ، ويعلق تعليقات مضحكة ، وله تدخلات غير مقبولة ، وحياته بلا هدف ، وتافهة ، وأحيانًا يجلس على الباب فيمر شخص ينظر إليه ، والثاني ينظر إليه ، لا يفعل شيئاً ، هذا النمط لا يحتمل .

أنا أتمنى والله لولا أنني مطلع على أسر كثيرة بلا هدف ، والوقت رخيص جداً عندهم ، وكل الكلام سخيف ، كلام غير مقبول ، إذا لم يكن في الكلام من المعاصي ، والغيبة والنميمة والفحش أحياناً ، أو متابعة لأشياء ساقطة ، ولو فرضنا أن ليس ثمة متابعة لأشياء ساقطة ، هناك شيء تافه سخيف

((إن الله يحب معالي الأمور ، ويكره سفسافها))

[الجامع الصغير عن سهل بن سعد بسند صحيح]

إنّ الإنسان يأتي إلى الجامع ليتعلم ، يأتي حتى يطبق الذي سمعه ، يأتي حتى تسمو نفسه إلى درجة عالية .

أهمية تنويع الثقافة :

يمكن أن ننوع ثقافتنا ، عوضاً أن تكون قراءتك بلا هدف ، وبلا خطة ، أنت لك اختصاص رياضيات، فيزياء ، كيمياء ، طب ، هندسة لا مانع ، الآن تريد اختصاصا دينيا ،تابع موضوع السيرة فقط ، تابع موضوع الحديث ، موضوع القرآن ، بعد حين تكون شيئاً مذكوراً ،هناك إنسان عنده طلاقة لسان ، لكنه ضعيف في اللغة ، أجْرِ دورة لغة عربية ، قوّ قراءتك ، قوّ نطقك ، هيئ موضوعات ، في جلسة مثلاً تكلمت هيئ موضوعًا تقوله ، رتب أفكاره مع أدلته بلغة جيدة ، لما تقدم شيئاً للناس تشعر بقيمتك .

بصراحة أقول لكم : حجمك عند الله بحجم عملك الصالح ، أحياناً لو فرضنا إخواننا الكرام بمحافظة ليس فيها علماء كبار ، لو أنهم زاروا مركز المدينة ، والتقوا بخطة مسبقة بعالم ، لهم أسئلة هيئوها ،

لهم تعليقات كتبوها ، لهم مداخلات حضروها ، والتقوا معه ، واللقاء مسجل وفرغوا هذا الشريط أخذوا فائدة .

أنا أذكر أن لي أخًا أكبر مني ، توفي ـ رحمه الله ـ فكانت التعزية في المسجد ، وأعتقد أنه ما بقي عالم ما جاء ، وكل عالم ألقى كلمة ، أنا فقط أعطيت إشارة أن سجلوا كل الكلمات فقط ، بعد أيام فرغنا هذه الكلمات كلها في كتاب من مئة وعشر صفحات ، تصور عشرين عالمًا جاءوا ، وألقوا كلمات في التعزية ، كلها بموضوع الموت ، كلها كلمات مركزة ، أتصور تعزية في ثلاثة أيام يصدر منها كتاب من مئة وعشر صفحات ، علماء كبار ألقوا كلامًا مركزًا مؤصلاً ، يسجل ، تفرغ ، طبعت فصار كتيبًا في بثلاثة أيام تقريباً .

هناك وسائل تصل إلى أهداف كبيرة جداً بوقت قليل ، أي أخ مثلاً يحب موضوع الموت ، موضوع مخيف ، أخطر موضوع بحياتنا ، أخطر موضوع بالمستقبل ينتظرنا جميعاً من دون استثناء ، تصور بيتك ، وتصور القبر ، الانتقال صعب جداً ، إذا هيأ الواحد منا نفسه لهذه اللحظة ، هذا الكتاب تقريباً يمكن أن ترى رأي العلماء بالموت ، كيف نستعد له ؟ أهوال الآخرة مثلاً ، سعادة المؤمن عند الموت ، فيمكن أن يكون من كل مناسبة عمل .

الجهاد البنائي : كلٌّ بحسب موقعه :

الحقيقة أني ألقيت خطبة في الجامع الأموي ، تحدثت فيها عن الجهاد البنائي ، نحن عندنا جهاد بنائي ، هذا أثره لا نجده بعد ساعة ، يمكن بعد ثلاثين سنة نجد آثاره ، هذه الأمم القوية حققت شروطًا صعبة جداً في النجاح خلال مئتي سنة ، فأصبحوا أقوياء جداً ، ففرضوا ثقافتهم ، وإرادتهم ، وإباحيتهم ، وعولمتهم على العالم كله بالقوة ، نحن معنا الحق ، نحن أفضل منهم بكثير ، معنا وحي السماء ، لو كنا أقوياء لكنا في حال غير هذا الحال ، قوة الأمة من قوة أفرادها .

أنا الآن أركز على أن تستفيد من الوقت ، عندك شباب ، عندك شابات ، أحياناً الكومبيوتر مهم جداً ، الآن بعد حين الذي لا يستخدم هذا الجهاز يعد أمياً ، لو دربت ابنتك على الكتابة على الوورد مثلاً ، هذا شيء مهم جداً ، وموضوع الكتابة يحتاج خبرات تتراكم حتى تتقنها ، بهذا الصيف اعمل شيئاً ، تعلم شيئاً ، اخضع لدورة ، ابذل شيئاً ، تفوق ، كن شيئاً كبيراً لأمتك ، إذاً يمكن أن نلتقي في الصيف مع ناس متفوقين بأشياء معينة ، أحيانا يكون المحاسب معلوماته ضعيفة جداً ، في الصيف قوّ معلوماتك ، اخضع لدورة محاسبة ، عندك نقص بحاجة استكملها في الصيف .

أيها الأخوة الكرام ، بعض الإخوة الأطباء ـ جزاهم الله خيراً ـ عندهم مشروع ، أربعة أو خمسة أو عشرة يحملون شهادات عالية من أمريكا ، معهم بورد ، لكنهم مؤمنون ، خطر في بالهم ، وأنا التقيت معهم أن الواحد يسافر إلى حماة أو حمص إلى دير الزور كل شهر يومين أو ثلاثة لمعالجة حالة مستعصية في هذه المحافظات ، لانعدام طبيب من مستواه متخصص ، يذهب إلى هناك ، ويعالج هذه الحالات الصعبة للفقراء لوجه الله .

والله مرة حدثني أخ طبيب قال لي : أنا أعمل بمستشفى عام ، وبأحياء فقيرة جداً ، قال لي : هؤلاء المرضى يعتنى بهم ، هم لا يشتكون ، ما عندهم طريقة للشكوى ، قال لي : لما أعتنِي بهم كما أعتني بمريض بأرقى مستشفى أشعر أني في الجنة .

الآن خطر في بال شاب أن يعمل عملاً في الصيف ، هذا الطبيب قال : أنا أعمل كل شهر ثلاثة أيام ، أبلغ زملائي باختصاصي نفسه إن كان هناك حالات مستعصية أنا أول الشهر عندكم ، يعالج الحالات لوجه الله ، لما تستخدم علمك للآخرة تستخدم علمك لتقوية علم الآخرين ، كل إنسان يعتز باختصاصه ، ويحافظ أن ما أحد يعرف اختصاصه ، المؤمن بالعكس يرغبان في أن يلقي محاضرة ، هذا الأخ الثاني يذهب إلى محافظة نائية ليلقي محاضرة على زملائه الأطباء بأحدث ما في العلم في هذا الاختصاص ، هو ذهب إلى أمريكا ومعه معلومات حديثة ، الآخرون لم يحظوا بهذه الميزة ، فأنت لما تخرج من ذاتك لخدمة الخلق فأنت أسعد الناس ، إذا أردت أن تكون أسعد الناس فأسعدهم تكن أسعدهم .

تصور طبيبًا يفكر ويقول : كيف أخدم زملائي الأطباء الذين ما أتيح لهم السفر إلى بلاد بعيدة ؟ أنقل لهم معلوماتي ، هذه بطولة ، أو أني أذهب إلى مكان ما فيه أطباء متفوقون ، وأحاول أن أعالج حالات مستعصية ؟

كان لنا إخوان في أمريكا ، لما يأتي شهرًا إلى هنا هو ما عنده عمل ، يرغب أن يعالج حالات مستعصية لوجه الله دون مقابل ، أنت بالعمل تتألق ، حجمك عند الله بحجم عملك الصالح ، فالطبيب يمكن أن يعمل أشياء إضافية .

مثلاً : التاجر ، لو أقنعناه أن طلاب علم أجانب بلا دخل ، إذا عملوا عنده في المعمل نصف دوام ، وبنصف راتب يعيشون ، دوام المعهد بعد الظهر ، هو يستقبلهم من الساعة التاسعة حتى الساعة الواحدة، يعملون ، ويأخذون دخلا ، وما مدوا يدهم للمحسنين .

مثلاً : كتاب عن أحكام البيوع ، لو أن التاجر قرأه يجد أخطاء كثيرة يرتكبها في بيعه وشرائه .

الطبيب عنده مجال يخدم الناس ، والتاجر عنده مجال ليرعى طلاب العلم ، إذا كان التاجر مثلاً منضبطا تماماً ، ما عنده أشياء منحرفة ، فجاءه كتاب شكر من مجموعة من الشباب يتشجع ، هناك محلات منضبطة ، و محلات غير منضبطة ، هناك شركة سفر لها اتجاه ديني قوي ، أي امرأة تركب

في هذه المركبة إذا لم يكن بجانبها امرأة يبقى المحل الثاني فارغًا لأن السفر خمس ساعات إذا كان راكب جانبها رجل بلا أخلاق مثلاً يتحرش بها ، أنت لو فكرت بأعمال صالحة ، إن كان عندك شركة نقل ، إن كان عندك محل تجاري ، إن كان عندك عيادة كطبيب ، تعمل يوماً معيناً ، أو ساعات معينة للفقراء مجاناً .

أئمة المساجد يمكن أن يعملوا دورات للقرآن في الصيف ، مثلاً ، هؤلاء الطلاب ينتفعون ، أنا أضرب أمثلة ، فكر أنك في الصيف يمكن أن تقدم شيئاً ، أو أن تكلف أولادك بشيء ، أما أن نعيش هكذا سبهللا بلا تخطيط ، بلا هدف يعيش كالناس في حياة روتينية مملة فهذا ليس من الدين .

والله هناك حالات تصدر من الناس لا تحتمل من الملل ، والسأم ، كل الأمور مسدودة ، يجلس من غير مبال ، حالة صراع مستمر ، إحباط مستمر ، يمكن أن تعمل أشياء كثيرة .

هذا الدرس درس عام ، هدف التاجر عندك مشروع في الصيف ، مثلاً ، مرة في مسجد بمصيف جميل قالت الأوقاف : كل خطيب معه بيت ، كل خطيب يجلس في هذا البيت جمعة ، ويخطب يوم الجمعة ، أمّنا لكل خطباء دمشق بيتا ، كل واحد له إمكانية أن يجلس جمعة بمكان جميل يلقي فيه خطبة، من نوع ما الموضوعات ، في الأفكار غنى لا يعلمه إلا الله ، من تطبيق ، وإلى نظام ، أو إلى إنجاز ، نكون في حال غير هذا الحال .

أنا أتمنى عليكم كآباء أو كشباب أو كأولاد عند آبائكم ، تفكر أن عندك ثلاثة أشهر ، هذا الوقت ثمين جداً ، يجب أن أتابع الموضوع بتركيز ، وأتفوق فيه .

أحيانا شاب عنده ميل للخط ، نقيم له دورات للخط ، شاب عنده ميل للخطابة ، يقرأ كتب الخطابة ، يهيئ خطباً مثلاً ، شاب عنده ضعف في الكتابة على الكومبيوتر ، يدخل في دورة الكومبيوتر ، أنت في الصيف يجب أن تنمي خبرات جانبية بالإضافة إلى خبراتك الأساسية .

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية – موضوعات مختلفة في التربية - دروس حوارية - الدرس (16-28) : التفكر بالموت

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 25-06-2006

بسم الله الرحمن الرحيم

البدء من النهاية :

أحد أهم القواعد المهمة التي تميز الناس في درجة ذكائهم هي: "ابدأ من النهاية" ، لذلك هناك فرق بين الأذكياء والأغبياء ، الأذكياء يعيشون المستقبل ، والأقل ذكاءً يعيشون الحاضر ، والأغبياء يعيشون الماضي ، يتغنون بماضيهم وواقعهم سيئ جداً ، فلذلك ما هو الحدث الحتمي الواقعي الذي لا ينجو منه إنسان على وجه الأرض من آدم إلى يوم القيامة كائناً من كان ؟ إنه الموت ، لذلك قال تعالى :

(وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً)

[سورة هود : 7]

والتقديم في القرآن الكريم له معنى دقيق جداً ، إنه تقديم أهمية .

الموت والحسابات اليومية :

حينما يولد الإنسان أمامه خيارات لا تعد ولا تحصى ، أما حينما يموت فأمامه خياران لا ثالث لهما ، فو الذي نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار .

الآن كم من إنسان يُدخِل حدث الموت في حساباته اليومية ؟ هل هناك من حدث أكثر واقعية ، وأكثر حتمية ، وأكثر خطورة من أن تنتقل من كل شيء بحسب الظاهر إلى لا شيء ؟ بيت بأربعمئة متر ، ثمنه ثمانون مليونا ، ومركبة ثمنها أربعة وعشرون مليونا ، بيت في المصيف ، بيت على البحر ، مكتب تجاري فخم جداً ، دخل فلكي ، ثم بعد ذلك إلى القبر ، هل نجا أحد من هذا ، هل ننجو نحن من هذا ؟ أبداً ، لذلك عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ ، يَعْنِي الْمَوْتَ))

[الترمذي ، أحمد]

عش ما شئت فإنك ميت ، وأحبب ما شئت فإنك مفارقه ، واعمل ما شئت فإنك مجزي به .

ما الذي يفعله ذكر الموت في حياتنا ؟

ماذا يعني التفكر في الموت ؟

إياكم أيها الإخوة الكرام أن تتوهموا أن قضية الموت قضية تشاؤم ، لا ، أنت مطالب أن تنال شهادة عليا ، وأن تنال خبرات عالية ، وأن تتزوج ، وأن تؤسس أسرة ، وأن تتفوق ، وأن تكون شيئاً مرموقاً في الحياة ، وفي الوقت نفسه تفكر بالموت كل يوم .

أقول لكم بالضبط ماذا يعني التفكر في الموت ؟ التفكر في الموت يمنعك أن تعصي الله ، التفكر في الموت يسرع الخطا إلى الله ، ويمنعك أن تعصي الله ، إذاً : التفكر في الموت له وجه إيجابي ، النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ ، يَعْنِي الْمَوْتَ))

إنه مفرق الأحباب ، مشتت الجماعات ، عش ما شئت ، فإنك ميت ، وأحبب ما شئت ، فإنك مفارقه ، واعمل ما شئت فإنك مجزي به .

ما هو الذكاء ؟

أيها الإخوة الكرام ، من أدق تعريفات الذكاء أنه التكيف ، تصور مؤمنا لا يغادر حدثُ الموتِ ذهنَه أبداً ، وساعة مغادرة الدنيا أدخلها في كل حساباته ، والوقوف بين يدي الله عز وجل ، إنه هاجس لا يغيب عنه أبداً .

مرة موظف في التموين له مكانة كبيرة ، استنصحني لأنني فيما يرى أنني رجل دين ، أردت أن أفاجئه بنصيحة لم يكن يتوقعها مني ، قلت له : اكتب الضبوط كما تشاء ، وأدخل الناس السجن كما تشاء ، ولك أن تفعل ما تشاء ، قال : ما هذه النصيحة ؟ قلت له : هذا الكلام قلته ، لكن لأنك إذا كنت بطلاً فهيئ جواباً لا لرؤسائك ، بل لله عز وجل يوم القيامة .

كلما تفعل شيئاً تذكر أن الله سيسألك : لماذا فعلت كذا ؟ لماذا غضبت ؟ لماذا رضيت ؟ لماذا أعطيت ؟ لماذا منعت ؟ لماذا وصلت ؟ لماذا قطعت ؟ لماذا طلقت ؟ لماذا صرفت هذا الإنسان من عملك ؟ كل شيء تفعله سوف تسأل عنه .

قيمة الوقت :

أيها الإخوة الكرام ، ينتج عن ذلك قيمة الوقت ، كلكم يعلم علم اليقين بأن هذا مركوز في أعماق الإنسان أن الوقت أثمن من المال ، قد لا يبدو هذا واضحاً لكم الآن ، بأعماق كل إنسان مؤمن أو غير

مؤمن الوقت أثمن من المال ، الدليل : لو أن مرضاً عضالاً ـ لا سمح الله ـ أصاب إنساناً ، والعملية التي يرجى أن تنجح ، أو احتمال نجاحها خمسون بالمئة تكلفه ثمن بيته ، هذه الأشياء تقع كثيراً ، أؤكد لكم أن هذا المريض بهذا المرض العضال لا يتردد ثانية واحدة في بيع البيت ، وإجراء العملية الجراحية ، لا يملك بيتا غيره ، يقول لك : أكون مستأجراً في المستقبل ، لأنه مركز في أعماقه أن هذه السنوات التي يمكن أن يتوهم أن يعيشها لو أجرى العملية زيادة على ما يمكن أن يعيش أفضل عنده من كل هذا البيت .

كل إنسان مركز تركيزاً عميقاً في أعماق أعماقه أن الوقت أثمن من المال ، والدليل يبيع الرجل بيته الذي لا يملك غيره ليجري عملية يتوهم من خلالها أنها تمد بعمره بضع سنين .

إن إنسانًا أمسك بمئة ألف أمامكم ، وأشعلها ، وأحرقها حتى أصبحت رماداً ، كم من إنسان يحكم على أنه مجنون ؟ كل الناس ، ماذا فعل ؟ لأنه أتلف هذا المال ، والمال قيمة تحل به مشكلات كثيرة ، وبالتعبير العامي الدراهم مراهم ، إذا كان الذي يحرق مئة ألف ليرة يعد سفيهاً ، ولأن الوقت أثمن من المال فالذي يضيع وقته يعد أشد سفاهة ، كل إنسان يضيع وقته بالقيل والقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال ، هذا من دون معاص مبدئياً ، أما بالغيبة والنميمة ، والكلام الفارغ ، والألعاب الفارغة أمرٌ آخر ز

هل من المعقول لأمة بأكملها ، والعالم بأكمله أصبح عقله في الكرة ؟ عقله ، مبادئه قيمه ، اهتماماته ، شعاراته ، الأعلام بالسيارات ، علم البرازيل ، وإذا نجحت إيطاليا يطلق الرصاص هنا في دمشق فرحاً بانتصار إيطاليا ، مَن هي إيطاليا ؟ يمكن أن يصبح عقل الإنسان في قدمه ؟ طبعاً هؤلاء المهتمون بهذه الألعاب اهتماما يفوق الحد الطبيعي ، يفوق الحد المعقول ، هؤلاء جعلوا من الرياضة ديناً ، هؤلاء ضلوا سواء السبيل .

لذلك أيها الإخوة الكرام ، سألوا طالباً نال الدرجة الأولى في الشهادة الثانوية ، سألوه عبر حوار في صحيفة : ما السبب الذي جعلك من المتفوقين ؟ قال : لأن لحظة الامتحان لم تغادر مخيلتي طوال العام.

وأنا أقول لكم أيها الأخوة الكرام : هؤلاء جميعاً في هذا المسجد ، وأنا معكم بعد كذا سنة لن تجد واحداً منا على سطح الأرض ، شيء في مقبرة الدحداح ، وشيء في مقبرة المهاجرين ، وشيء في مقبرة باب صغير ، المرحوم فلان ، المرحوم عميد أسرته الطبيب الفلاني ، المحامي الفلاني ، العميد الفلاني هذا الواقع فحدث الموت قائم .

بالمناسبة أيها الإخوة الكرام ، لا يستطيع إنسان كائناً من كان أن ينكر حدث الموت ، لكن الناس يتفاوتون لا في إنكار هذا الحدث ، أو عدم إنكاره يتفاوتون بالاستعداد له ، لذلك التكيف أن تتكيف مع حدث مستقبلي لا بد من أن يقع .

والله أيها الإخوة الكرام ، أعرف إنساناً في بلد آخر في الثمانين أنشأ كازينو ، هل يعيش الموت ؟ أبداً ، كيف يلقى الله عز وجل ؟ ماذا يقول لربه إذا سأله : لماذا فعلت هذا ؟ بلا مبالغة ، ببلدنا كم من اغتصاب لبيوت ، كم من اغتصاب لشركات ، كم من قرض لم يسدد ؟ والله آلاف القروض بأصغر دائرة لا تسدد ، يقول : هذه المحاكم ، قرض لا يسدد ، مع أن الشهيد الذي يضحي بحياته في سبيل الله لا يغفر له الدَّين ، الدَّين مقدس .

التكذيب العملي بالآخرة أخطر أنواع التكذيب :

إذاً : ما أحد يدخل الآخرة في حساباته أبداً ، وأنا أقول لكم دائماً أيها الإخوة الكرام : أخطر أنواع التكذيب التكذيب العملي لا القولي ، لا يمكن لإنسان في العالم الإسلامي أن يقول : ليس لك هناك آخرة، أبداً ، في هذا العالم الإسلامي المترامي لا يطرح أبداً إنكار يوم الآخرة ، يطرح في الأوساط الملحدة ، لكن عملياً حتى أتباع الديانات الثلاث الآخرة عندهم في التوراة والإنجيل ، وعندنا في القرآن الكريم ، الخطورة أن هؤلاء الناس أتباع هذه الديانات لا ينكرونها بألسنتهم ، لكن لو دققت في أعمالهم لم يدخلوها في حساباتهم إطلاقاً ، الذي يغتصب شركة ، الذي يغتصب بيتا ، الذي يعتدي على أعراض الناس ، الذي يعد الناس ، ولا يؤدي مضمون وعوده ، كيف يلقى الله عز وجل ؟

القضية خطيرة أيها الأخوة الكرام ، العبرة أن هل أدخل أحدنا الموت في حساباته اليومية ؟ إن أدخل الموت في حساباته اليومية كان أشد انضباطاً مما هو عليه الآن ، لأن الله سيسألك : لمَ فعلت :

فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

[سورة الحجر]

كنت أضرب مثلاً : الحقيقة المثل تركيبي ، لكنه معبّر ، لو أن بلداً افتراضاً فيها قانون إيجارات عجيب، أن مالك البيت يخرج المستأجر في أية ثانية ، و بلا إنذار ، وبلا سبب ، يقول له : اخرج ، ينبغي أن يخرج ، الشيء الثاني في هذا المثل هذا الذي في هذا البيت مستأجر لا يستطيع إلا أن يخرج بثيابه فقط ، ثريات ، سجاد ، أجهزة كهربائية ، غرف ضيوف ، كل شيء اشتراه في هذا البيت بماله الخاص لا يستطيع أن يأخذه معه أبداً ، ولا أمواله ، يوجد صندوق حديد في البيت لا يمكن أن يأخذ شيئاً ، يخرج بثيابه فقط ، هذا البيت مستأجر ، هكذا نظام الإيجار ، والمستأجر عنده بيت ، لكن بالضاحية ، على الهيكل ، وله دخل كبير ، الآن دققوا ، الأولى أن ينفق ماله الوافر على تأثيث هذا البيت ، وتزيينه ، وشراء الثريات ، والسجاد ، والأثاث ، والأجهزة ، ثم يغادر ، ولا يأخذ معه شيئًا أبداً، أما الأولى أن يجهز البيت الذي يملكه ملكاً حقيقياً ، والذي مصيره إليه هذا المثل ، معنى ذلك أنه الذي يوجد عندك من أموال منقولة ، وغير منقولة ، بيوت ، أراض ، شركات ، مال نقدي ، عملات

صعبة ، شيكات ، ديون ، مكاتب ، بيوت في المصيف ، هذا كله سوف تتركه في ثانية واحدة ، ويوضع الإنسان في هذا البيت الذي يملكه ، وهو على الهيكل ، إنه القبر ، فالأولى أن تزين البيت الموقت ، كم من نعي في اليوم .

مرة سألت أحد الإخوة الكرام له صلة بمكتب دفن الموتى ، قال لي : في اليوم تقريباً مئة وخمس وعشرين وفاة ، بين ثلاثين وأربعين نعيًا ، كل هذه كتب عليها : وسيشيع إلى مثواه الأخير ، إذاً : المعنى الضمني أن هذا البيت الذي تسكنه مثوى مؤقت .

أحياناً كنت أقف أمام سوق الحميدية أقول : هذه المحلات قديمة جداً ، لكن كل خمسين سنة هناك طقم جديد ، تجد هذا المحل كان لبيت فلان ، توفى الأب فبيع المحل ، هذه البيوت في الأعم الأغلب بعد الوفاة من أجل اقتسام الإرث تباع ، في أفضل الحالات يبقى إلى نهاية حياة الزوجة ، الأب توفي ، مراعاة للأم ، ولشأنها تبقى في بيت زوجها إلى أن تموت ، بعد ذلك يباع البيت ويُقسم ، إذاً نحن خلائف ، يخلف بعضنا بعضاً ، هذه المعاني الدقيقة ، هذا المصير المحتوم ، هذه المغادرة الكبيرة يجب أن تدخل في حساباتنا اليومية ، أنا دائماً أقول : بطولتك أن تدخل الموت في حساباتك .

والله مرة أحد إخواننا الكرام توفيت والدته ، من واجبي أن أشيع الجنازة ، وقفت على قبرها ، فلما وضعت في القبر ، ووضعت البلاطة ، وأهيل التراب على فتحة القبر ، والله الذي لا إله إلا هو ما وجدت على وجه الأرض أعقل ممن يعد لهذه الساعة .

أحد إخواننا الكرام ـ رحمه الله ـ له نمط في حياته عجيب ، عنده رغبة في الأناقة ، والنظافة بشكل غير معقول ، وهناك حالات طبيعية ، وحالات غير طبيعية ، أنا أعدّها مرضية أحياناً ، توفي هذا الأخ، ففي أثناء التشييع ، هكذا الترتيب هناك بلاطة عبارة عن قطعة إسمنت ، صبت على شكل بلاطة لتغطية القبر ، قياسها حوالي عشرة سنتمترات ، أقل من الفتحة ، وضعت هذه البلاطة ، وجاؤوا بأحجار متفرقة وضعت في هذه الفتحة عشرين سنتيمترا بالأحجار ، فلما أهيل التراب أتصور أنه نزل فوقه خمسة كيلو من التراب ، لوجود فتحات كثيرة ، أقول : يا رب ، إذا لم يكن الغطاء في اليوم نفسه مغسولاً لا ينام ، أناقة ما بعدها أناقة ، نظافة ما بعدها نظافة ، وسوسة ما بعدها وسوسة ، أربعة أو خمسة كيلو تأتي فوقه ، هذا هو الموت ، هذا الموت أمامكم ، لذلك كفى بالموت واعظاً يا عمر .

حديثٌ يقصم الظهر :

اسمعوا هذا الحديث ، أنا أقول هذا الحديث يقصم الظهر : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا))

أي سارعوا .

هذا البدوي الذي كان ساكناً بجدة ، عندما توسعت جدة ، واقتربت من أرضه والأرض أصبح سعرها مرتفعاً جداً نزل ، وباع الأرض لمكتب عقاري خبيث جداً سارق بمبلغ أقلّ من ثمنها بأربعة أمثاله ، فالمكتب اشترى الأرض ، وعمّرها بناية من اثني عشر طابقاً ، وهم ثلاثة شركاء ، أول شريك سقط من أعلى طابق فنزل ميتاً ، والثاني دهسته سيارة ، انتبه الثالث ، بحث عن صاحب الأرض ستة أشهر حتى عثر عليه ، ونقده ثلاثة أمثال حصته لينجو مما جرى لشريكيه ، قال له البدوي : ترى أنت لحقت حالك .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا : هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا ؟ أَوْ غِنًى مُطْغِيًا .....))

[أحمد ، الترمذي]

أي لا يقبل بعد أن أصبح مليونيرا بهذه الزوجة الدرويشة ، هي قبلته ، وهو فقير ، فلما جاءه المال الوفير طلقها ، هذا غنى مطغٍ .

واللهِ أخت كريمة أخبرتني بالهاتف أن زوجها هو ببلد عربي قال لها : إذا لم تأت إليّ ، وأنت تلبسين بنطالا من الجينز ، و نصف بطنك ظاهر أرجعك وأطلقك ، اشتغل بشركة ، ودخله كبير جداً ، قال لها: أنا أريد أن أعيش وقتي ، أريد هكذا زوجة ، وهي محجبة ، وبمعطف وحجاب شرعي ، قال لها : إذا لم تأت إليّ وأنت تلبسين بنطالا من الجينز ، و نصف بطنك ظاهر ، وشعرك إلى نصف ظهرك ، وبلا أكمام فلا محل لك عندي ، ترجعين ، طبعاً ما رجعت ، وهي جالسة بالشام ، ولا تعبأ به .

الغنى المطغي ، شعر أن معه مالا يجب أن يزني ، يجب أن يسافر ، يجب أن يجرّب السياحة الجنسية.

هناك أربعمئة ألف عاهرة بالمونديال ، معهم رخص ، وبطاقات ، وشهادات صحية ، وأجر دخول البناء الذي أنشئ لهذا المونديال كلف سبعة ملايين يورو ، وكل صور الأربعمئة ألف موزعة بكاتالوكات على الفنادق بالمدينة ، هم توقعوا من الزوار مليون زائر ، عندهم حاجات جنسية يجب أن نهيئ لهم فتيات للزنا ، عندنا أربعمئة ألف إنسانة داخل القيود ، معهم هويات ، و معهم بطاقات ، و معهم شهادات ، وهذه هي الحضارة الحديثة ، هذه المرأة الإنسانة العظيمة التي هي في الإسلام أم أو زوجة ، أو أخت أو بنت ، أصبحت تمتهن الدعارة ، مادام فيها بقية جمال يمكن أن تكسب مالاً ، لكن بعد حين تلقى كما يلقى المنديل الورقي بعد أن يمسح به أقذر عملية في المهملات ، أما أمهاتنا فملكات ، الأم ملِكة ، لها أصهار ، لها بنات ، لها مكانة اجتماعية ، مرجع لكل أفراد الأسرة ، والكل يبحث عن

رضاها ، هذا نظام الأسرة ، نظام الأسرة فيه مستقبل ، البنت لها مستقبل ، لكن لا مستقبل في نظام الزنا .

تصور علبة محارم ، لو فرضنا شخصا لم يتمكن أن يقضي حاجة ، ولا يوجد ماء ، فأخذ منديلا مسح به الغائط ، وألقاه ، وإن كان مثلا مزعجا والله ، الفتاة التي تأكل بثدييها كهذا المنديل الورقي الذي لا قيمة له إطلاقاً ، تمسح به أقذر عملية ، ويلقى في المهملات ، هكذا .

كل العقل والذكاء والتفوق في التفكر في ساعة الموت :

فيا أيها الإخوة الكرام ، يجب أن نفكر في هذه الساعة التي لابد منها هذا هو العقل ، العقل كل العقل ، و الذكاء كل الذكاء ، و التفوق كل التفوق ، و الفلاح كل الفلاح ، و النجاح كل النجاح ، و التوفيق كل التوفيق في أن تعد لهذه الساعة التي لابد منها عدتها ، أنا لا أدعوك أن تترك الدراسة بالعكس تفوق .

إخواننا الكرام ، كلكم يعلم ، هذه بديهية ، لو وضعت هذه الورقة تحت أشعة الشمس تحترق ، ائت بعدسة ، و جعل المحرق على الورقة تحترق الورقة ، ما الذي حصل ؟ خطوط الشعاع في العدسة المحدبة تجتمع في نقطة واحدة ، هذه النقطة تحرق الورقة ، لذلك المؤمن إذا آمن ، واستقام ، وضبط شؤونه كل طاقاته في هدف واحد يتفوق .

لا أنسى مرة شركة أرادت أن تكرم الطلاب والطالبات المتفوقين والمتفوقات بلوحات إعلانية ، تذكروا من خمس ست سنوات المفاجأة أن كل الفتيات المتفوقات الأوائل محجبات ، الفتاة المحجبة طاقاتها كلها مجموعة في الدراسة ، طاقاتها مجموعة في التفوق ، لا يوجد توزع ، لا يوجد تبعثر ، لا يوجد تشتت ، لذلك التفكر في الموت يعني التفوق ، يعني أن تكون صناعياً كبيراً ، لكن منضبط بالشرع ، أن تكون تاجراً كبيراً ، أن تكون إعلامياً كبيراً ، أن تكون مثلاً مدرساً كبيراً ، أستاذاً في الجامعة ، أنا أدعوكم إلى التفوق ، إنك إن تفكرت في الموت تتفوق ، تكون كل طاقاتك موجهة لهدف آمنت به ، أما الذي تبعثر ، وتشتت هذا لا يتفوق .

إذاً : أيها الإخوة الكرام ، ابدأ من النهاية وتكيف معها .

أنا أضرب مثلاً ، أحياناً عندما كان هناك سفر للبنان واسع جداً ، في اليوم تقريباً أربعون ألفا يغادرون من دمشق إلى لبنان ، فلو فرضنا شخصا سافر إلى بيروت ، فتفاجأ على الحدود في طريق العودة إلى الشام بتفتيش غير معقول ، أحياناً تأتي كريزات ، كل شيء معك يجب أن تضعه في مكان معين ، حتى الجيوب ، لو وجدت تفتيشا بهذا المستوى ، لا يمر شيء ، و لا ربطة خبز ، و لا شيء إطلاقاً ، وأنت سافرت باتجاه بيروت وجدت دراجة جميلة هل تشتريها لابنك ؟ ماذا تقول ؟ لا تمر ، وجدت غسالة

صغيرة بالحمام لطيفة جداً ، وحجمها صغير ، و تحل مشكلة ، هل تشتريها ؟ يقول لك : لا تمر ، أتمنى والله ، هل رأيت ونحن قادمون كيف التفتيش ؟ هذه الحادثة نموذجية ، المؤمن كل شيء فيه معصية عنده يقين أن عليه سؤالا ، فلا يعمله ، عنده هاجس دائماً أن هذا العمل عليه مسؤولية فلا أعمله ، لا تبعد أحياناً يقول لك شخص : أنا لا أريد أن أخطئ مع الدولة ، إذا جاءه فاكس أنه هل يوجد عندكم روشيشات قصده الرشاش الذي للزراعة ، يقول له : نحن هذه اسمها رشاشات ، وليست روشيشات ، يخاف أن يفهم هذا فهماً آخر ، لماذا عندما تحس نفسك مراقبا ، ومحاسبا تدقق في الكلمة ؟

ليس في الإسلام حرمان :

طبعاً أنا أريد من هذا اللقاء ، كما يأتي في القرآن والسنة ابدأ من النهاية ، أريد أن أغادر ، تعيش ، وتتفوق ، و تدرس ، و تؤسس عملاً ، و تتزوج ، و تنجب أولاداً ، لكن كله وفق منهج الله ، لأن الله عز وجل لم يحرمك شيئا ، ولكن حرمك الشيء القذر ، حرمك العدوان ، حرمك الإثم ، حرمك الفحشاء و المنكر ، ولكن لم يحرمك من أن تأكل من طيبات ما خلق الله ، ما حرمك أن تقترن بامرأة صالحة تسرك إن نظرت إليها ، و تحفظك إن غبت عنها ، و تطيعك إن أمرتها ، لم يحرمك من هذا ، فلذلك لا حرمان في الإسلام ، لكن فيه تنظيم .

أسأل الله لي ولكم السداد والرشاد ، وأكثروا ذكر هذه اللذات ، مفرق الأحباب ، مشتت الجماعات ، عش ما شئت فإنك ميت ، و أحبب ما شت فإنك مفارق ، و اعمل ما شئت فإنك مجزي به ، وإن أكيسكم أكثر كم للموت ذكراً ، و أحزمكم أشدكم استعداداً له ، ألا و إن من علامات العقل التجافي عن دار الغرور ، و الإنابة إلى دار الخلود ، و التزود لسكنى القبور ، و التأهب ليوم النشور .

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية – موضوعات مختلفة في التربية - دروس حوارية - الدرس (17-28) : القرآن والسنة سبقا علم النفس

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 02-07-2006

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة إلكترونية:

أيها الإخوة الكرام ، وصلتني رسالة من أخ كريم يقول فيها : من منا لم يندم يوماً على كلمة قالها ، أو على تصرف قام به ، وقد يندم أشد الندم ، ومن منا لم يفكر يوماً بضبط انفعالاته ومشاعره ، ومن منا لا يتمنى أن يتحكم بعواطفه تجاه الآخرين ؟

وبالمناسبة معظم مشكلاتنا في بيوتنا ، في علاقاتنا بزوجاتنا ، في علاقاتنا بأولادنا ، في علاقاتنا بمراكز أعمالنا ، في علاقاتنا مع شركائنا ، في علاقاتنا مع أقربائنا ، معظم المشكلات التي قد تنتهي بالقطيعة ، أو قد تنتهي بالطلاق ، أو قد تنتهي بإنهاء الشركة سببها أن أحد الأطراف لم يضبط انفعالاته.

يقول بعد حين : ليتني سكت ، ليتني استوعبت ، ليتني لم أكن قاسياً ، ليتني لم أرفع صوتي على شريكي ، شركة ناجحة جداً تنتهي بموقف غير منضبط.

أيها الإخوة الكرام ، الحقيقة أنه كلما أدركت حقائق دقيقة عن نفسك ، وعن جسمك ، وعن انفعالك أمكنك السيطرة عليها ، أنت لا تبتعد بالكومبيوتر ، إن كنت تعرف دقائق هذا الجهاز أنت مسيطر عليه، لكن أحياناً لا تعرف كيف يعمل ، مشكلة صغيرة جداً تحتاج إلى ثانية واحدة يبقى الجهاز معطلاً أسابيع، لأنك لا تعرف كيف يعمل ، إذاً أنت لا تستطيع أن تسيطر عليه .

و الحقيقة المؤلمة أيضاً أن كثيراً من الناس عندهم قدرات عالية جداً ، و ميزات عالية جداً ، ولكنهم لا يستعملونها بسبب عدم علمهم بها .

وكان من الممكن أن تتقدم في حل مشكلاتك إلى خمسين بالمئة حينما تعرف أنك في مشكلة ، لمجرد أن تحدد المشكلة ، وأن تعرف أبعاد المشكلة قطعت في حلها نصف الطريق .

ما هي المشكلة التي ليس لها حل ؟!

المشكلة التي ليس لها حل أن الإنسان لا يعلم أنه يعاني من مشكلة يظن الحياة هكذا ، لا ، تعاني أنت من مشكلة ، أنت حينما تعرف حجم المشكلة ، و تعرف أبعاد المشكلة تكون قد قطعت نصف الطريق في حلها .

النقطة التي ينبغي أن نعلمها جيداً ، إما أن تدير أنت نفسك ، إما أن تتملك زمام إدارة جهازك الدماغي والعصبي والانفعالي ، أو يدار دماغك من قِبل غيرك .

والله هذه النقطة أكثر معاناة أعانيها من هذه النقطة ، يأتي شاب قالت له أمه : طلق فيطلق ، قال أبوه : افعل كذا يفعل كذا ، هو لا يخطط ، غيره يُخطط له ، الكلمة الدقيقة إما أن تملك أنت قيادة جسمك ، دماغك ، انفعالاتك ، مشاعرك ، إما أن تخطط ، أو أن يتولى الآخرون ، من الآخرون ؟ أحياناً الوالدة ، والوالدة غير متعلمة ، وتعيش قبل ثمانين سنة نمطها قديم جداً ، تريد أن تتحكم في ابنها و زوجته معاً ، أو الأب أو الأصدقاء أو الأقارب أو الأعداء ، أهون احتمال أن من حولك يتحكم بك ، أحياناً أنا أشعر أنه فتاة أعظم إنسان في حياتها زوجها ، تتلقى التعليمات التفصيلية حتى في فراش الزوجية من أمها ، افعلي معه كذا ، لا تكلميه ، قاطعيه ، اهجري فراشه ، هذه الفتاة تشقى بزوجها ، لأن التعليمات تتلقاها من غير ذاتها ، والزوج أحياناً كذلك ، تجد من حول الإنسان يتحكمون به في خصوصياته ، في علاقاته الحميمة ، في مودته لزوجته ، في تربية أولاده ، هذه أكبر مشكلة أنا أعاني منها ، حينما تعرض عليّ قضايا الناس ، ليس له اختيار ، ليس له شخصية ، ليس له قرار أبداً ، قراره بيد أمه ، أو قرارها بيد أمها ، وكم من أسرة تشرد أبناؤها بسبب الطلاق ، لأن الأم تتدخل في البنت ، أو الأب يتدخل في الابن، فأنت ككيان إما أن تدير نفسك ، أو يأتي إنسان هو الذي يديرك ، وهذا الذي يديرك بعيد عن أحاسيسك ، بعيد عن مشاعرك ، بعيد عن واقعك ، بعيد عن طموحك ، يتحكم فيك ، وأنت لا تشعر .

العقل الباطن ودوره في الحياة :

الآن الفقرة الأولى في هذا اللقاء الطيب أن العلماء يؤكدون أن هناك عقلاً باطناً يتحكم بعواطفك وانفعالاتك ومشاعرك ، بل وتصرفاتك كيف ؟ عندنا عقل واع ، وعندنا عقل باطن ، لك زميل بالمدرسة ، بعد كذا سنة تألق تألقاً جيداً في المجتمع ، بعقلك الباطن تتألم ، تقع في غيرة شديدة ، الآن عقلك الباطن يوحي لك أن ابحث عن أخطائه ، ابحث عن ثغراته ، تأخذ هذه الأخطاء ، و تكبرها ، ودون أن تشعر لا ترى إلا السلبيات ، لا ترى إلا المثالب ، تشهر بها ، معنى ذلك ، وأنا أثق أنك

بريء، وأنك لا تفكر بعقلك الواعي أن تؤذيه ، لكن عقلك الباطن تدخل في الأمر ، وأمر عقلك الواعي أن تبحث عن أخطائه .

الفكرة الأولى أن العقل الباطن يتصل بالعقل الواعي بقنوات ضيقة جداً ، هذه أول فكرة ، وسوف أريكم أن العقل الواعي يتصل بالعقل الباطن بقنوات ضيقة جداً ، يصبح العقل الباطن يلقن ، و يوحي للعقل الواعي أن يفعل كذا و كذا ، أنا أتكلم عن إنسان مؤمن بريء بريء جداً ، أما عقله الباطن فهو الذي يعمل ، ومع تكرار هذا الإيحاء فإن العقل الواعي يستجيب للعقل الباطن ، وينتقل هذا التأثر إلى سلوك ، لكن في أيّ فترة ينشط هذا التواصل بين العقل الباطن والعقل الواعي ؟

يتصل العقل الباطن بالعقل الواعي عبر قنوات ضيقة في فترة ما قبل النوم ، و فترة ما بعد الاستيقاظ ، قبل أن تنام و بعد أن تستيقظ.

هناك أستاذ جامعي ألف كتاباً عن قوة العقل الباطن ، بيع من هذا الكتاب أكثر من مليون نسخة ، بماذا أمر النبي عليه الصلاة والسلام أن تقول قبل أن تنام ؟

عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

((إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ ، ثُمَّ قُلْ : اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ ، فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ)) .

[متفق عليه]

فترة اتصال العقل الباطن بالعقل الواعي عبر قنوات ضيقة تكون قبل النوم ، والنبي عليه الصلاة والسلام بوحي من الله أمرنا قبل أن ننام أن ندعو بهذا الدعاء ، وأمرنا حينما نستيقظ ، وبعد أن نفتح عيوننا أن نقول :

((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ)) .

[الترمذي عن أبي هريرة]

الحقيقة أن عند علماء النفس شيئًا أنا أراه مضحكاً ، أنت قبل أن تنام قل : سأكون أميناً ، سأكون حليماً، هادئاً ، سأكون صادقاً ، قل هذا الكلام قبل أن تنام مع التكرار لتكون حليماً ، وصادقاً وأميناً ، أما النبي فإنه يعلمنا أن تستمد من الله الحكمة ، من خالق الأكوان ، بين أن تتلفظ أنت بكلمات لا معنى لها ، قبل أن تنام النبي الكريم أمرك أن تقول هذا الكلام ، أن تتوجه إلى الرحمن الرحيم ،

((إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ ، ثُمَّ قُلْ : اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ)) .

إذاً قبل أن تنام ، وبعد أن تستيقظ هذا وقت دقيق جداً حاول أن تدعو بالأدعية التي علمنا النبي إياها قبل أن ننام من أجل أن يستمد عقلك الواعي من عقلك الباطن معونة الله عز وجل ، وهل هناك أجمل من أن يكون طبيبك هو الله .

والله أستمع إلى كلمات من أناس جاؤوا من بلاد بعيدة ، مرة شخص له صديق أصيب بمرض في دماغه ، قال : أنا ذهبت إليه ، وقلت له تحدَّ المرض ، تحدَّ المرض تُشفَ منه ، هذا كلام مضحك ، ما معنى التحدي ؟ لكن قل :

(الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ* وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ)

[سورة الشعراء]

والنبي يقول قل : يا رب أنت خلقتني ، وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أجمل فترة قبل أن تنام ، و بعد أن تستيقظ اتصل بالله بالدعاء ، والكتاب الذي بَيَنَ العقل الباطن بيعت منه مليون نسخة ، والنبي عليه الصلاة والسلام يأمرنا أن نتوجه إلى الله قبل النوم ، وبعد الاستيقاظ

من أسباب الشفاء من الأمراض النفسية :

إخواننا الكرام ، من أبرز أسباب الشفاء من الأمراض النفسية :

1 – أنْ تعترف بالخلل أو المرض :

مادمتَ تعترف أنه عندك مشكلة نفسية فاعترافك بهذه المشكلة ، وإدراكك لأبعادها نصف الطريق على الحل .

2 – التسامح مع الخَلق :

يجب أن تتسامح مع الخلق ، صدقوا أيها الإخوة ، هذا الكلام الذي كتب هذا الكلام لا علاقة له بالإسلام إطلاقاً ، ولا علاقة له بالقرآن إطلاقاً ، وأنا يغلب على ظني أنه ما قرأ القرآن إطلاقاً ، لكن هو باختباراته ، و بقواعد علمية ، و بتجارب وإحصاءات ، وبمعاينات استنبط أن الاعتراف بالخلل ، و

إدراك أبعاد المشكلة نصف طريق الحل ، واعترف أيضاً أن أكبر شيء يسرع الشفاء أن تسامح الناس ، الاعتراف ثم المسامحة ، لذلك قالوا : أظهرت الدراسات أن أطول الناس أعماراً هم أكثرهم تسامحاً .

أحياناً يدخل إنسان بدعوى مع خصم له اثنين وعشرين عاما في القضاء ، وكل أسبوع يسأل المحامي ماذا حدث ؟ والله خصمك يُخاف منه ، لا ينام الليل ، قدّم وثيقة مزورة ، ما الحل ؟ نريد خبراء خط ، يدَعُك اثنين وعشرين عاما محطمة أعصابك ، لو سامحته ، أنت تكون أذكى شخص ، أنت أرحت نفسك من اثنين و عشرين عاما من الضغط النفسي ، وتنتهي أحياناً بالجلطة .

يقول لي أحد القضاة الكرام : أكثر من ألف دعوى تشطب كل شهر لموت أحد الطرفين ، فأنت عندما تسامح تكون عاقلاً ، وتكون ذكياً .

3 – الإنفاق على الفقراء :

شيء ثانٍ ، إن هذا الكلام لا يصدق ، لأن الذي يكتبه لا يعرف القرآن إطلاقاً ، قال : حينما تنفق مالك على الفقراء تشعر بتوازن ، وتشعر بصحة نفسية ، وتشعر بارتياح ، أن تسامح و أن تنفق و الأولى الاعتراف . اسمعوا القرآن الكريم :

(وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)

[سورة آل عمران]

بقي الاعتراف :

(وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ)

[سورة آل عمران : 135]

قال لك : استغفر ، أيقن ، واعترف أنك مخطئ ، ولا يوجد إنسان يستغفر من لاشيء ، أيقن و اعترف بأنك مخطئ ، وسامح خصمك .

أول شيء : أن تنفق على الفقراء ، اعترف بحجم المشكلة ، واستغفر ، وأنفق على الفقراء ، واعفُ عن الناس ، بهذه الطريقة تمتلك صحة نفسية كبيرة جداً .

صدق أيها الأخ أن مئات الأشخاص عاشوا حياة سعيدة جداً ، لأنهم كانوا يسامحون بعضهم ، يقول لك: لا يوجد مشكلة ، أنا صحتي النفسية أغلى ، أنا أعيش حياة نفسية مرتاحًا أغلى من هذا المبلغ الذي في النهاية قد لا آخذه :

(وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ)

[سورة آل عمران : 135]

4 – الإرادة الكافية لعدم تكرار الانفعال :

و يؤكد العلماء أن الطريق المثالية لعلاج الكثير من الاضطرابات النفسية والانفعالات هو أن يكون لديه إرادة كافية لعدم تكرار الانفعال :

(وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا)

[سورة آل عمران : 135]

إذاً نحن يكفينا كلام الله ، يكفينا أن نعود لهذا المنهج الإلهي العظيم الذي أنزله الله على نبيه الكريم ، لكن نحن عندنا عقدة .

مرة قلت لإخواننا : هناك شخص يسكن في منطقة الحجر الأسود ، وهو حي متواضع جداً في دمشق ، فسئل : أين أنت تسكن ؟ قال له : بلاك ستون سيدي ، مادامت كلمة أجنبية فهي شيء تمام .

مرة حدثني أخ أنه صنع كولونيا على يده ، أحضر الليمون وسبيترو ، وعتقهم سنتين ، فشيء رائع جداً ، شيء لم يكلف شيئاً ، حصّر خمسة ليترات ، لم تكلفه خمسين ليرة ، فكلما عطر شخصاً قال : ما شاء الله ، من أين هذه ، هذه ليمونز ، نحن كل شيء يأتينا من الخارج شيء كبير جداً ، انظر ما في هذا الكتاب الكريم ، انظر ما في هذا التنزيل العظيم ، فنحن اتفقنا أنه عندنا عقل باطن يعمل ، وعندنا عقل واع ، و أن بين العقلين اتصالاً بقنوات ضيقة يتم هذا الاتصال قبل أن تنام ، وبعد أن تستيقظ ، والنبي الكريم علمنا أننا إذا أوينا على فراشنا أن ندعو الله عز وجل بدل أن تقول : أنا سأكون جيداً ، أنا سأكون مستقيماً ، أنا سأكون هادئاً ، أنا سأكون حليماً .

إذا لم يكن مع شخص مال يقول : أنا سأكون غنياً ، تبقى فقيراً بقدر ما تقول ، أما هنا فالتوجيه النبوي في ساعة اتصال العقل الباطن مع العقل الظاهر تتوجه إلى الله الذي بيده كل شيء ، يا رب احفظني ، إن أمسكت نفسي فارحمها ، وإن أرسلتها فاحفظها مما تحفظ منه عبادك الصالحين .

و الله أيها الإخوة الكرام ، جاء شخص له مسافة طويلة يمشي بها ، عنده أدعية رائعة جداً : اللهم إني عبدك ، وابن عبدك ، وابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماض فيّ حُكمُك ، عدلٌ فيّ قضاؤك ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له السماوات و الأرض ، و صلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بي سخطك ، أو أن تحل عليّ غضبك ، لك العتبى حتى ترضى ، لكن عافيتك أوسع لي .

عَنْ شَدَّاد بْن أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيِّدُ الِاسْتِغْفَار أَنْ تَقُولَ :

((اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ)) .

[البخاري ، الترمذي ، النسائي ، أحمد]

تعلم الأدعية ، اتصل بالله عز وجل ، تركب سيارة ، تمشي بطريق ، تعمل رياضة مثلاً ، تجلس في جلسة ، تنتظر إنساناً ، ناج الله عز وجل ، هؤلاء الذين لا يعرفون الله إطلاقاً يقولون : اعمل مناجاة داخلية ، قل : أنا سأكون مستقيماً ، سأكون حليماً ، سأكون منضبطاً ، فهذه أبلغ ، أبلغ أن تتصل بالواحد الديان ، وأن تسأله !!!

5 – العمل الصالح :

و الشيء الآخر إخواننا الكرام ، لمجرد أن تفعل عملاً صالحاً تشعر بسعادة لا توصف ، لكن من ذاق عرف ، جرب تخدم إنساناً لوجه الله ، أن تطعم هرة ، أن تأخذ حيواناً مكسوراً إلى البيطرة ، والله قال لي أخ مرة : وأنا قادم من طريق الزبداني الساعة الثانية عشرة بالليل وجدت شاباً وفتاة يحملان طفلاً صغيراً ، لكن وضعه مؤلم جداً ، هذه في أثناء أحداث لبنان الابن حرارته إحدى وأربعين ، وهم غرباء من لبنان ، قال لي : أخذتهم إلى المستشفى ، وأسعفت الطفل ، وأخذنا له الأدوية ، واشتريناها من الصيدلية المناوبة ، وزرنا مستشفى لنأخذ الإبر ، قال لي : انتهيت الساعة الرابعة ، قال لي : بقيت أسبوعين أنا في جَنّة ، اعمل عملاً ، وانظر ماذا يحدث معك ، جرب أن تخدم إنساناً لوجه الله ، تعاون إنساناً ، الكفار الأجانب الذين ليس فيهم دين يتبرعون بأعمال صالحة فيشعرون براحة ، ويأتي إنسان يقول لك : أنا أريد أن أعتني بالمسنين ، يقدم طلباً لجمعية ليفرزوه لمسن يزوره باليوم ساعة ، ينظف له غرفته ، يؤانسه ، و يمشي ، يشعر براحة ، يكون لك عمل صالح ، اخدم الناس ، عندك أبواب العمل الصالح لا تعد و لا تحصى ، الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق .

لذلك أيها الإخوة الكرام ، نريد قرآناً كريماً ، وسنة نبوية ، وفيهما كل شيء .

إخواننا الكرام ، لي أستاذ بالابتدائي توفي ـ رحمه الله ـ توفي في الثانية والتسعين ، كان مدير مدرسة ، و كان إلى جانب المدرسة جامع ، و يوجد بالجامع غرفة تابعة للجامع امرأة مقعدة ، فتولى خدمتها ثلاثين سنة ، ينظف الغرفة ، و يحضر لها أكلها ، كان بيته بجانب المدرسة ، وجانب الجامع ، وترك التدريس ، وتقاعد ، وانتقل للمزة ، وعمره أصبح بالسبعينات ينزل من المزة بباص المزة لساحة الأمويين ، ثم يمشي إلى المهاجرين حتى يتابع خدمته لهذه المرأة ، أهله لم يحتملوا ، أنه أنت بالسبعين

يكفي خدمتها ثلاثين عاماً ، يكفي هذا ، قال لهم : أبداً ، لا يمكن أن أترك خدمتها يوماً ، النتيجة بعد فترة تفاقم الأمر ، فوجدوا لو أنهم أحضروها إلى منزلهم كان أحسن لهم ، قالوا له : أحضرها ، هيئوا لها غرفة صغيرة ، ووضعوها فيها ، وبعد ثلاثة أيام توفيت ، لماذا يتابع العمل ؟ لأنه سعيد .

أقول لكم كلمة : أحياناً تجد الداعية مرهقًا جداً ، ولكن إذا لم يكن عنده عمل يموت ، لأنه تعوّد على الخدمة ، تعوّد على الخير ، فأنت عوّد نفسك على عمل صالح لا يكفي أن تسمع عندما تعمل عملاً صالحاً تحس برقي كبير .

والله هناك أخوات أنا أحترمهن جداً ، في رمضان والله هن فقيرات ، يطعمن كل يوم خمسًا وعشرين أسرة فقيرة ، يطبخون ، ماذا تملك المرأة ؟ إذا كانت امرأة تحب الله ورسوله ، تعرف تطبخ ، هكذا تعمل ، طبخة لخمس وعشرين أسرة ، وتعمل من الصباح إلى المساء ؟ تشعر بسعادة ، أنت لا تعرف عندما تخدم الناس كيف الله يتجلى على قلبك بالسكينة ، لا تكن أنانياً ، اخرج من ذاتك لتنتهي كل أمراضك ، وتنتهي كل مشاكلك ، عندما تخدم عباده يكون الله لك شكورًا ، وتحل جميع مشاكلك ، هم في مساجدهم ، و الله في حوائجهم ، فإذا لم يكن للشخص عمل صالح يقول لك : أنا متضايق ، صلاتي غير منضبطة ، أقرأ القرآن ولا أشعر بشيء ، لأنه لا يوجد لديه عمل :

(فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً)

[سورة الكهف : 110]

عوّد نفسك أن تعمل عملاً صالحاً ، و يوجد مليون عمل صالح تشعر أن له قيمته ، يؤدي بقلوب الناس:

(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً)

[سورة النحل : 120]

لِيَكُن لك عملٌ في الدنيا تجده في قبرك !!!

واللهِ دخلت إلى بيوت للتعزية ، أنظر إلى الرخام (أو نكس) ، شفاف ، الجبصين ، الأقواس ، الشرقيات ، الأثاث ، التحف الفنية ، أين صاحب المنزل ؟ جالس بباب صغير مع الجرذان ، صح لما خطأ ؟ كلنا سنرحل ، هذا البيت الضخم الذي كلف بناءه ثمانين مليونًا أين يجلس صاحبه الآن ؟ يجب أن تفكر في هذه الساعة ، انظر ماذا يحدث ، يموت الإنسان فتبقى أغراضه في المنزل ، بدلاته ، أغراضه ، خزانته ، له درج كل شيء فيه ، مقتنياته الخاصة ، لا يُفتح ؟ يُفتح بعد غيابه ، النتيجة ليس في البيت ، سيارته مصفوفة أمام الباب ، يأتي أقرباءه إلى القبر ، يوضع في القبر ، الكل يرجع ليعزّوا، وانتهى الأمر ، من نزل معه ؟ عمله فقط .

لذلك هيئ عملاً صالحاً تلقَ الله به ، أنا أتألم حين أجد أخاً مستقيماً ، لكن لا عمل له ، طالب العلم ساعده مثلاً ، عندك بيت أجره لشخص طالب علم بنصف الأجرة ، تخفف عنه قليلاً ، تقدم شيئاً من أثاث بيتك الذي لا تريده لطالب علم ، تنفق شيئاً .

بصراحة أقول لكم : إذا لم يكن لكم أعمالاً صالحة لا ترتاحون ، المشاكل في الحياة تتفجر تفجراً ، والله هناك أناس الآن ترحموا على شارون مع أنه لم يمت ، هذا الثاني ، لأن الأول لم يعمل هذا ، فالثاني البنية التحتية ضربها كلها ، لا كهرباء ، ولا شيء أبداً ، لا معامل ، ولا أجهزة ، ولا كومبيوترات ، ولا تكييف ، ولا شيء أبداً ، ضرب مئة وخمسين مليون دولار في ثانية ، بكبسة زر ذهبوا جميعاً ، ضرب الجسور كلها ، قطعها عن بعضها .

فلذلك أيها الإخوة الكرام ، الحياة صعبة جداً ، وفيها مخاطر ، ولا تريح ، وعندنا مشاكل في العالم الثالث كله ، ونحن مشكلتنا أن الطاقة عندنا ، وكل الحضارة من دون طاقة لا قيمة لها ، فلن يريحنا هؤلاء الجماعة ، لا موضوع أسلحة دمار شامل ، ولا شيء ، كل هذا كذب ، هو موضوع بترول فقط، نحن عندنا منابع النفط ، و النفط هو روحهم ، لذلك لن يريحونا ، اعمل عملاً صالحاً إذا لقيت الله عز وجل لك شيء يدخل معك في القبر.

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية – موضوعات مختلفة في التربية - دروس حوارية - الدرس (18-28) : التكافل الاجتماعي في الإسلام

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 09-07-2006

بسم الله الرحمن الرحيم

الضمان الاجتماعي مهمة أولي الأمر ، والتكافل مهمة أفراد المسلمين :

أيها الإخوة الكرام ، مع موضوع جديد من الموضوعات الاجتماعية التي ينبغي أن تنال المرتبة الأولى في المعالجة ، هذا الموضوع اسمه التكافل الاجتماعي ، وهناك مصطلح آخر اسمه الضمان الاجتماعي، الضمان الاجتماعي من مهمات أولي الأمر ، فإذا مرض الإنسان فلابد له من ضمان صحي ، إذا افتقر من ضمان تعاون ، هذه مهمة أولي الأمر ، لكن مهمة آحاد المسلمين في التكافل الاجتماعي ، والتكافل الاجتماعي هو الذي يجعل حياة الإنسان كريمة ، أنت لست وحدك في المجتمع الإسلامي ، الكل لواحد ، والواحد للكل ، المنطلق مِن قوله تعالى :

(وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)

[سورة الشعراء]

قاعدة الأقرب فالأقرب :

لماذا ؟ لأن أقرب الناس إليك نسباً ، أو أقرب الناس إليك داراً ، أو أقرب الناس إليك إيماناً هؤلاء أولى بمعروفك من غيرهم .

هناك نقطة دقيقة جداً ، وقد وصلنا إلى موضوع الدعوة ، ابدأ بمن تثق ، وابدأ بمن يثق بك ، لأن هذا الذي تثق به ويثق بك ليس بينك وبينه حاجز .

كتجربة بسيطة : أنت في الطريق إلى المسجد ، هل تستطيع أن تمسك بإنسان لا على التعيين ، وتقول له : اذهب معي إلى المسجد ، هناك درس جيد مثلاً ؟ يخاف منك ، أما أخوك ، ابنك ، ابنك أخيك ، ابن أختك ، ابن أخيك ، ابن عمك ، ابن خالتك هناك ثقة ، وليس هناك قلق ، ولا خوف ، لذلك المؤمن بادئ ذي بدء ينبغي أن يستغل العلاقة التي أساسها الثقة ، لذلك أمر اللهُ عز وجل النبيَّ عليه الصلاة والسلام فقال :

(وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)

[سورة الشعراء]

ثمة إخوةٌ كثر يهتدون إلى الله عز وجل ، بعد أشهر يأتي بأخيه ، بعد أربعة أشهر بأخيه الثاني ، بعد فترة بصهره ، ثم بابن أخته ، هذا إنسان مبارك ، لأنه أقرب الناس له ، كما أن عند الفقهاء لا تقبل زكاة مسلم وفي أقربائه محاويج ، فالأقربون أولى بالمعروف ، لكن كلمة الأقربون بعضهم أعطاها أبعاداً ثلاثة ، الأقرب نسباً ، والأقرب إلى الفقر ، والأقرب إلى الإيمان ، في أي مشروع توزيع زكاة مالك ، أو الصدقة ابدأ بأقرب الناس إليك ، ابدأ بأقرب الناس إليك نسباً ، أو بأقربهم إليك إيماناً ، أو بأقربهم إليك مكاناً ، إما بجارك ، أو بأخيك النسبي ، أو بمن هو أقرب إليك من أي إنسان ، وهو المؤمن ، لذلك كلما ارتقى المجتمع يرتقي معه التكافل الاجتماعي .

أساس التكافل الاجتماعي :

1 - أساس الجوار :

أيها الإخوة الكرام ، نحن تكافلنا الاجتماعي أساسه النسب ، وأساسه المكان ، الأحاديث التي أوردها النبي عليه الصلاة والسلام في حقوق الجار تعد مفخرة الإسلام ، مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه .

أتدرون ما حق الجار ؟ إن استعان بك أعنته ، وإذ استنصرك نصرته ، وإن استقرضك أقرضته ، وإن مرض عدته ، وإن مات شيعته ، وإذا أصابه خير هنأته ، وإذا أصابته مصيبة عزيته ، ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه ، وإذا اشتريت فاكهة فأهدِ له منها ، فإن لم تفعل فأدخلها سراً ، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ ولده ، ولا تؤذه بقتار قدرك ـ برائحة الطعام ـ إلا أن تغرف له منها .

هناك تضامن وتكافل على أساس المكان ، الأحاديث التي أوصى بها النبي عليه الصلاة والسلام للجيران كثيرة جداً ، والأحاديث التي أوصى بها النبي عليه الصلاة والسلام بالجيران كثيرة جداً .

2 - أساس الجوار :

والأحاديث التي أوصى بها النبي عليه الصلاة والسلام بالأقرباء أكثر ، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام يبين أن الإنسان إذا أعطى من ماله ، أو من زكاة ماله لأقربائه فله في هذا العطاء أجران ، أجر الصدقة ، وأجر الصلة ، يجب أن ننطلق من أن التكافل في الإسلام على أساس جغرافي ، وعلى أساس نسبي ، وما مِن إنسان ليس له أقرباء ، ولا جيران .

أنواع التكافل الاجتماعي :

1 – التكافل المالي :

التكافل أيها الإخوة الكرام أنواع ، عندنا تكافل مالي مادي ، وتكافل معنوي ، ويقع في مقدمة التكافل المعنوي النصيحة ، الإرشاد ، التعليم ، الدعوة إلى الله .

سمعت عن أسرة من أسر دمشق العريقة أنها أسست جمعية ، هذه الجمعية لها أهداف كثيرة ، أول هذه الأهداف أنها قد شكلت شركة تجارية ، رأسمال هذه الشركة من أفراد هذه الأسرة ، وقام على هذه الشركة مدراء ، و اختصاصيون ، وهي ربحية ، ربح هذه الشركة عائد لهذه الأسرة المترامية في دمشق ، مهمتها أن تزوج شبابهم ، وأن تؤمن للشباب تعليماً جامعياً ، مهمتها أن تساعدهم في الزواج ، ريع هذه الشركة فقط لمساعدة أفراد هذه الأسرة ، طبعاً هناك أُسَرٌ أعدادها كبيرة ، أسرة بالمعنى الواسع ، كل من ينتمي لهذه الأسرة له حق في هذه الشركة ، الأغنياء يدفعون كرأسمال ، والفقراء ينتفعون .

أيها الإخوة الكرام ، التعاون دين ، والتعاون حضارة ، ونحن لا نرقى عند الله إلا بالتعاون ، فهذه الجمعية الخيرية المتعلقة بهذه الأسرة لها أهداف تثقيفية ، فمِن حين لآخر تقيم ندوات ومحاضرات لأفراد هذه الأسرة ، تستقبل بعض العلماء ، وقد دعيتُ مرة إلى هذه الجمعية ، وألقيت فيها عدة محاضرات ، وعندها لجان اجتماعية تتفقد أحوال هذه الأسر ، الوضع الاجتماعي ، الوضع الاقتصادي، الوضع التعليمي ، الوضع الديني ، فكل أسرة على حدة ، وضعها المعيشي : هل تحتاج إلى مساعدة من الشركة ؟ الوضع التعليمي : هل هناك أولاد تسللوا من المراحل التعليمية تقنعهم بالعودة ؟ هل هناك شباب يفتقرون إلى قسط جامعي غالٍ جداً لن يقبلوا في التعليم الرسمي ؟ هناك جمعيات خاصة تدفع لهم الأقساط .

أيها الإخوة الكرام ، ما الذي يمنع أن نفعل هذا ؟ وهو بين أيدينا ، والله عز وجل ما كلفنا فوق طاقتنا ، هذا ضمن إمكانات أي إنسان ، والله عز وجل بنص قرآني قطعي الدلالة يقول :

(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)

[سورة المائدة : 2]

لو فكر كل واحد بأي طريقة في أن يعاون من حوله من أقربائه ، أو من جيرانه ، أو من زملائه ، أو من أصدقائه ، أو من أقرب الناس إليه تعاونًا ماديًّا ، تعاونًا علميًّا لكانت الحياة أفضل .

مثلاً : طبيب يحمل أعلى شهادة من بلد بعيد ، شهادته نادرة ، إذا كان إنسانًا عاديًّا همّه الأول أن يجمع أكبر ثروة ، وإذا كان إيمانه عاليًا جداً همه الأول أن يعمِّم علمَه على أكبر شريحة من الأطباء حتى يعمَّم هذا العلم لكل الزملاء .

والله هناك شيء واقع ، عدة أطباء جاءوا من بلد بعيد يحملون أعلى الشهادات ، يفكرون أن يذهبوا إلى المحافظات لإلقاء المحاضرات باختصاصهم لزملائهم ، الحالات المستعصية في المحافظات يأتون بها إلى الشام ليعالجوها مجاناً ، أنت حينما تنطلق من ذاتك إلى خدمة الخلق فأنت عند الله كبير ، وحينما تخرج من ذاتك ، من مصالحك ، من همومك الخاصة ، من مصالحك الخاصة لخدمة الناس فأنت عند الله كبير ، لذلك قال تعالى :

(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)

[سورة المائدة : 2]

2 – تشغيل الشباب العاطل عن العمل :

أحياناً عندك منصب شاغر لعمل أو لوظيفة ، اسأل من بين المؤمنين : هل هناك إنسان بلا عمل ؟ هل هناك إنسان عاطل عن العمل ؟ لو أنه فكرنا في الأعمال ، بدأنا بالأعمال لأن أكبر مشكلة تواجه المجتمعات النامية هي البطالة ، والبطالة نوعان : بطالة حقيقية ، وبطالة مقنّعة ، الذي دخله خمسة آلاف هذا ليس له عمل ، عملياً دخله لا يكفيه ، هذه بطالته مقنّعة ، الدخل لا يكفي ، إذاً يبحث عن أساليب غير مشروعة لكسب المال ، والذي ليس له عمل أصلاً عبء على المجتمع ، حبذا كل واحد ضمن أسرته ، ضمن من حوله يكون منه تعاون ، وتأمين للأعمال .

والله قال لي مرة أخ بالحرف الواحد ، وأنا لا أقيّم كلامه الآن ، قال : أنا عندي من المال ما يكفيني وأولادي أولاد أولادي ، أنا لست بحاجة إلى أن أعمل ، عنده معمل فيه ثمانون عاملاً ، كان هناك صعوبات لا تحتمل في تأمين المواد الأولية ، وفي أشياء كثيرة ، فجاء يستشيرني في إغلاق معمله ، قال لي بالحرف الواحد : لا أربح شيئاً ، الأرباح تساوي المصاريف ، أنا لست بحاجة أن أبذل جهداً كبيراً بلا مقابل ، قلت له : وهؤلاء العمال الثمانون عاملاً أنت تفتح بهم ثمانين بيتاً ، يأخذون ما يغطي في الأعم الأغلب معظم مصاريفهم ، والسبب أنت ، قلت له : هل تصدق أنك لو أبقيت المعمل يعمل ، ولم تربح قرشاً واحداً فأنت أكبر رابح ، أنت فتحتَ ثمانين بيتاً ، لذلك الآن دون أن أشعر الصناعي له مكانة عندي ، الصناعي عنده ألف عامل ، ثمانمئة عامل ، ألف ومائتا عامل ، فتح ألفًا ومئتي بيت ، لذلك أنت حينما تفكر بالآخرين وتخرج من ذاتك لخدمة الخلق فأنت عند الله مقرب جداً .

التعاون فرضٌ في الإسلام :

أيها الإخوة الكرام ، الفكرة الدقيقة أن التعاون فرض في الإسلام ، فرض لأنّ كلَّ أمرٍ في القرآن الكريم يقتضي الوجوب ، وقد قال لك القرآن الكريم :

وَتَعَاوَنُوا

بالمناسبة ، كنت أقول لكم دائماً : الإنسان معه طبع ، ومعه تكليف ، الطبع خصائص نفسه ، والتكليف بالأمر والنهي ، دائماً الطبع يتناقض مع التكليف ، لأن تناقض الطبع مع التكليف هو ثمن الجنة .

كأمثلة أذكرها كثيراً ، الطبع يقتضي أن تأخذ المال ، والتكليف أن تنفق المال ، الطبع يقتضي أن تبقى نائماً ، والتكليف أن تستيقظ ، الطبع يقتضي أن تخوض في فضائح الناس ، والتكليف أن تصمت ، الطبع يقتضي أن تملأ عينيك من محاسن النساء ، والتكليف أن تغض البصر ، هذا تناقض بين الطبع ، والتكليف ثمن الجنة ، الآن الطبع فردي ، والتكليف جماعي ، أنت إذا عدت إلى طبعك ينبغي أن تعيش وحدك ، وأن تستمتع بالحياة وحدك ، وأن يكون لك دخل وحدك ، أما حينما تتعاون مع الآخرين تكون قد خرجت من طبعك إلى أمر الله عز وجل ، لأن أمر الله يقتضي التعاون مع الآخرين ، قال تعالى :

(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)

[سورة المائدة : 2]

هناك شيء آخر أيها الإخوة الكرام أتمنى أن يكون واضحاً جداً عندكم ، أنت يمكن أن تكون غنيًّا ومحسنًا تدفع زكاة مالك وزيادة ، بالمناسبة من قال لك : إن المؤمن مكلف أن يدفع زكاة ماله فقط فقد أخطأ ، من قال لك هذا الكلام ؟ قال تعالى :

(لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآَتَى الزَّكَاةَ)

[سورةالبقرة]

آتى لزكاة شيء ، وآتى المال على حبه شيء آخر ، آتى الزكاة كفرض ، لكن آتى المال على حبه هذه الصدقة ، فعلامة محبتك لله أن تنفق من مالك ، نحن حينما نفهم هذا الدين العظيم فهمًا حقيقيًّا نابعً من الكتاب والسنة لا نراه عبادات شعائرية ، بل نراه منهجًا متكاملاً للحياة .

حقيقة صلة الرحم :

أيها الإخوة الكرام ، التعاون يبدأ بالتعاون المادي دائماً وأبداً ، والأحاديث التي تتحدث عن صلة الرحم تقترب من ثلاثين حديثاً ، ومِن أجلّ العبادات التعاملية في الإسلام عبادة صلة الرحم ، أليس كذلك ؟ هذه العبادة تبدأ بالاتصال ، وقد تبدأ باتصال هاتفي ، ثم يتابع هذه العبادة بزيارة ، وبعد الزيارة تفقد أحوال القريب المعاشية التربوية العلمية الدينية الاجتماعية ، ثم تتابع هذه العبادة بالعطاء المادي إذا كانوا فقراء، أو بالتوجيه الاجتماعي إذا كان فيهم خلل أو خصام ، أو بالتعليم إذا كانوا في جهل ، أو التثقيف إذا كان فيهم ضعف ، فتتابعُ هذه الأسرة بكل ما تحتاج ، وبعد ذلك يأخذ هذا القريب بيد قريبه إلى الله ، هذه صلة الرحم ، لكن الناس أفرغوها من مضمونها ، وجعلوها زيارة تقوم بها في العيد ، وكلك رجاء ألا تجده في البيت ، فتكتفي أن تضع البطاقة ، وانتهى الأمر ، مسخت هذه العبادة الاجتماعية الرائعة إلى وضع بطاقة في البيت من العام إلى العام ، لكن الله تعالى قال :

(وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ)

[سورة الحجر]

موضوع التكافل الاجتماعي ، والضمان الاجتماعي من مهمة أولي الأمر ، أما التكافل الاجتماعي فمن مهمة أفراد المؤمنين ، هذا التكافل الاجتماعي مبني على أساس الجوار ، وعلى أساس النسب ، الجوار في العمل زميل ، في السكن جار ، الجوار في مناسبات خاصة صديق ، وعلاقات الإيمان أيضاً لها المكان الأول في هذه العلاقة .

لذلك أيها الأخوة الكرام ، نحن نرجع التضامن الاجتماعي إلى نواحٍ مادية ، مساعدة ، شراء بيت ، تأمين آلة ، حرفة ، ماذا تفهمون من قول سيدنا عمر : << إذا أعطيتم فأغنوا >> ، ليس معقولا أن تفهم هذا الكلام على أن تعطي الإنسان مئة مليون ، بل يجب أن تعطيه حتى يكون غنياً ، لا أن تهيئ له حرفة ، أن تهيئ له عملا .

والله هناك عمل قام لي علاقة فيه إن شاء الله ، أن إنساناً قدم بيتاً فأسست جمعية التأهيل لحرفة للفتيات الفقيرات ، في هذا البيت تعلم الفتيات الخياطة بأعلى مستوى ، ثم إذا نجحت الفتاة في دورات عديدة يقدم لها آلة خياطة ، ثم يقدم لها القماش يصنع ثياباً ، تؤخذ هذه الثياب فتباع لصالح هذه الفتاة ، فتاة فقيرة في الأعم الأغلب تمد يدها إلى المحسنين متسولة ، جعلناها منتجة ، كانت متسولة فأصبحت منتجة ، كانت قابضة زكاة فأصبحت دافعة للزكاة ، التصور السقيم أن الزكاة نأتي بأناس فقراء يموتون من الجوع فنعطيهم مبالغ ضئيلة جداً ، لا ، هذه تعلمهم الكسل ، هذه تميت فيهم الكرامة ، يكون في الطابور الطويل فتقدم لهم مبالغ يسيرة زهيدة ، ليس هذا هو المطلوب ، المطلوب أن تؤهله لعمل ، لذلك

في بعض المجتمعات ما يقدم مالٌ لإنسان فقير إلا مقابل عمل ، دققوا لا يقدم مال لفقير إلا مقابل عمل ، هذا الفقير لا يأخذ صدقة ، ولا زكاة ، يأخذ أجرة ، يأخذ المبلغ وهو رافع الرأس ، يأخذ هذه الأجرة وهو عزيز النفس ، يأخذ هذا المبلغ ولا يشعر بالمهانة أبداً ، أنت حينما تعطيه مالاً مقابل عمل فأنت تربي فيه الكرامة ، تربي فيه العزة ، يأخذ هذا المال من دون خجل ، يأخذه لأنه تعويض أتعابه ، فلو كان في الأعمال كل شيء إذا دفع للناس مقابل أعمال نمَت ، وحصل التقدم والرقي.

فلذلك أيها الأخوة الكرام ، موضوع التكافل الاجتماعي موضوع خطير جداً ، وكل واحد بإمكانه أن يفعل هذا .

دعوة إلى خطوات عملية للتكافل الاجتماعي :

أنا أدعوكم الآن إلى خطوات عملية ، اكتفينا بالكلام ، الكلام وحده لا قيمة له إطلاقاً ، فقد ترى عشرة أشخاص يدخلون في جمعية ، يدفع كل واحد ألفًا بالشهر ، العشرة أشخاص يعطون كل شهر لواحد عشرة آلاف فتحل مشكلة ، كان يريد أن يشتري حاجة بالتقسيط الربوي ، الآن اشتراها بالقرض الحسن، بدل أن يشتريها بالتقسيط الربوي ، أعطونا هذا المبلغ هذا الشهر لفلان ، فاشترى هذه الآلة بالسعر النقدي من دون زيادة ربوية ، إذاً أقلّ مستوى بالتعاون قضية الجمعيات ، هذه شائعة في الشام ، والحمد لله ، هذا تعاون ، والتعاون الثقافي بالأسرة .

هناك إنسان متفوق بالرياضيات ، يجمع طلاب الكفاءة قبل الامتحان فيعطيهم درسًا أسبوعيًّا بالرياضيات ، هذا تعاون ، إعطاء درس خاص هذا تعاون ، أحياناً إذا في شاغر عمل نبحث بين الأقارب ، أو بين أفراد الأسرة الواحدة ، أو بين رواد المسجد عمن يسد هذه الثغرة .

أحيانا جامعة تحتاج إلى إمام مسجد ، وطالب يحمل شهادة ثانوية ، وبحاجة أن يدخل كلية الطب ، فعين إماماً بهذه الجامعة ، أعفي من القسط ، ودخل كلية الطب ، والقسط غالٍ جداً ، لما تفكر بالآخرين تكتب عندك ، أما الأمور بلا تخطيط ، بلا تعاون ، بلا متابعة فكل إنسان يعيش لذاته ، يعيش همومه الخاصة ، يعيش متاعبه الخاصة ، يعيش ترفه ، أحياناً لا يعبأ بأحد ، هذا الإنسان ليس عند الله مقرباً ، الحمد لله العمل الخيري إعطاء رخص للجمعيات فيه تسهيلات كبيرة جداً ز

أنا سمعت من أكثر من سنتين عن مئتين وأربعين جمعية في القطر إلى ألف وأربعمئة قبل أيام ، وقد دعينا إلى جمعية خيرية دعوا أشخاصًا من علية القوم ، كان أحدهم رئيس جامعة ، تبرع بخمس منح دراسية كل عام لأبناء هذه القرية ، ومستشفى تبرع بمعالجة عدد معين من المرضى لهذه القرية ، عمل تعاوني رائع ، والله الإنسان أحياناً تدمع عينه أن المستشفى قدّم ، والجامعة قدمت ، والمحسنين قدموا ،

والعلماء قدموا ، هذا هو التعاون ، ونحن حياتنا مبنية على التعاون ، والآية الكريمة صارخة :

(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)

[سورة المائدة : 2]

هذه الآية أصل في الدين ، وكل إنسان يتعاون مع أخيه يتعاون مع أخيه بقدر طاعته لله ، وكل إنسان يتنافس مع أخيه بقدر معصيته لله ، قال سيدنا أبو بكر لسيدنا عمر : << امدد يدك لأبايعك يا عمر ، سيدنا عمر قال : معاذ الله !!! أيّ أرض تقلّني ، وأيّ سماء تظلّني إن كنت أميراً على قوم فيهم أبو بكر، قال : يا عمر ، أنت أقوى مني ، قال : أنت أفضل مني ، عندئذ قال : عمر قوتي إلى فضلك >> ، فنتعاون .

التعاون حضارة :

أيها الإخوة الكرام ، التعاون حضارة ، التعاون والتضامن والتكافل حضارة ، وأن تعيش للمجموع أنت إنسان راقٍ جداً ، وأن تحمل هموم الناس أنت أرقى ، وأن تتبرع بمالك ، أو بوقتك ، أو بعلمك ، أو بخبرتك لمن حولك فأنت أرقى وأرقى ، يجب أن يحل التعاون مكان التنافس ، مع الأسف الشديد أعداؤنا في الغرب يتعاونون إلى درجة مذهلة ، بل إن أبناءهم يربون على التعاون ، حتى الألعاب التي يلعبها صغارهم أساسها التعاون ، لا يوجد لعبة فردية أبداً ، اللعب كلها أساسها تعاون ، حتى يدخل التعاون إلى دمهم ، أنا أرى أن هؤلاء الذين تفوقوا في الأرض ، وملكوا ناصية العالم ربّوا أبناءهم من مئات السنين على التعاون ، كأن في دمهم كرية بيضاء ، وكرية حمراء ، وكرية تعاون ، نحن كأن في دمنا كرية بيضاء ، وكرية حمراء ، وكرية تنافس ، في البلاد المتفلتة ينافس بعضنا بعضاً ، يحطم بعضنا بعضاً ، على مستوى شركة ، على مستوى مؤسسة ، على مستوى دائرة ، كل شخص يتربص بالثاني الدوائر ، مفهوم فريق العمل عندنا مفقود ، مفهوم التعاون مفقود ، وهذا من الإسلام ، من أخلاق الإسلام ، أنت بعملك لك زميل أخطأ فتنص ، تأتي إلى المدير العام ، فتقول : هذا لا يفهم شيئاً ، ارتكب غلطة كبيرة جداً ، أنت إذا كنتَ مؤمنًا تتجه إليه ، انتبه ، هذا خطأ ، هكذا صوابه ، الله يجزيك الخير ، أنت الآن أكبر مؤمن ، لا ، لا نتكلم معه ، لا ننصحه ، نتكلم مع المدير ، سيحطمه ، ثلاثة أرباع أعمالنا هكذا بدوائرنا ، بمعاملنا ، بمؤسساتنا ، بشركاتنا ، كل شخص يحطم الآخر ، هذه علامة تخلف فاضح ، أما مجتمع المؤمنين فتتجه إليه ، وتقول له : هذا خطأ ، وهكذا الصواب ، بينه وبينك انتبه ، هذا الذي ينبغي أن يكون .

أنا لكثرة ما أرى من نزاعات في الأعمال ، في الشركات ، في المؤسسات ، في الدوائر ، في الأسر ، كل مشروع فيه تنافس ، كل شخص قناص على الآخر ، حينما يرى الخطأ ثبته ، الآن يشهر به عند

المسؤولين ، حتى يتحطم هذا الإنسان ، فلذلك أسأل الله لي ولكم التوفيق ، والنجاح ، وأسأل الله لكم التعاون ولي أيضاً ، تعاونوا ، فبالتعاون يرضى الله عنا جميعاً ، ولعل الله يرحمنا بالتعاون .

والحمد لله رب العالمين

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 16-07-2006

بسم الله الرحمن الرحيم

توهمات والرد عليها من كتاب الله :

التوهم الأول و الرد عليه :

أيها الإخوة ، ذكرت أنه لا يستقيم إيمان عبد إذا توهم أن الله لا يعلم ما يجري في الأرض ، ألا يعقل لإله بيده كل شيء ، ويعلم كل شيء ، ألا يعلم ما يجري على سطح الأرض مما ترون وتسمعون ؟ إذاً الله يعلم ، ولا يستقيم إيمان عبد يتوهم أن الله لا يقدر أن يفعل شيئاً حاسماً بين عباده ، الله يقدر ، وتوهم أنه لا يعلم يرده قوله تعالى :

(وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا)

[سورة : 59]

فكيف بصاروخ مدمر ؟

التوهم الثاني و الرد عليه :



ويرد التوهم بأنه لا يقدر تعلقُ قدرة الله بكل شيء ، تصادم لوحين سبّب قوة تساوي مليون قنبلة ذرية في زلزال تسونامي ، مليون قنبلة تصادم لوحين : لوح استراليا ولوح آسيا .

وأبيد في هذا الزلزال ثلاثمئة ألف وشرد خمسة ملايين وبلاد بأكملها دمرت ، ولم تقف على قدميها قبل عشر سنوات ، إذاً الله قادر ، في أي مكان هناك طغيان ،

وعدوان، إذاً الله قادر أن ينهي وجود هذا الكيان ، شيء بديهي ، كن فيكون .

التوهم الثالث و الرد عليه :

ذكرت أيضاً أنه لا يستقيم إيمان عبد إذا توهم أن الله لا يعنيه ما يجري على سطح الأرض ، هو يعلم وقادر ، ويعنيه ما يجري على سطح الأرض .

أحياناً ـ ولله المثل الأعلى ـ إنسان يعلم ما يجري بين شخصين ، وبإمكانه أن يوقف هذا النزاع ، لكن لا يبالي بما يجري بينهما ، هذا أيضاً لا يستقيم به إيمان ، إذاً : إذا آمنا أن الله يعلم ، وقادر ، ويعنيه ما يجري ، فهو الإيمان الحق ، لأنه في السماء إله ، فكيف نفسر ما يجري ؟

هذا التفسير يحتاج إلى قوة إيمان ، يجب أن تؤمن أن الذي يجري وفق خطة الله ، لأنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن ، قال تعالى :

(مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً)

[سورة الكهف : 26]

ومستحيل وألف ألف مستحيل أن يظلم الله مخلوقاً كائناً ما كان ، قال تعالى :

(مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ)

[سورة النساء : 147]

أحياناً الإيمان يتزلزل ، أحياناً لسان القال أو لسان الحال يسأل : أين الله ؟ ابتلاء صعب جداً ، الكافر يقوى ويقوى إلى درجة أنه يفعل ما يريد ، ولا أحد يراجعه ، ولا أحد يعترض على سطح الأرض عليه، بل يقول : من حقه أن يدافع عن نفسه ، وهو يتفنن بتدمير كل شيء ، وقتل الأبرياء والأطفال والنساء ، والمنشآت والجسور ، كيف نتوازن ؟ الله يعلم ، وقادر ، ويعنيه ما يجري في الأرض .

ليس هناك إلا تفسير واحد ؛ أن الذي يجري وفق خطة الله .

من هو القوي ؟

طيب ؛ من هو القوي ؟ هذا كلام دقيق ، القوي هو الذي سمح له الله أن يكون قوياً ، لأن أقوى الأقوياء بكلمة زل يزول ، والكيان الذي كان يملك من القنابل النووية ما يدمر بها خمس قارات خمس مرات من

قوة الأقوياء لا ترد بالقوة وحدها بل بالتوبة والإنابة

دون حرب ، من دون قتال تداعى من الداخل ، وصار في مؤخرة الدول ، أليس كذلك ؟
إذاً مع الله ليس هناك قوي ، أول تفسير الله يعلم ، ثاني تنويه الله قادر ، ثالث تنويه الله يعنيه ما يجري ، وهناك تفسير واحد : أن الذي يجري يجري وفق خطة الله ، لماذا ؟ لأن قوة الأقوياء لا ترد بالسيوف وحدها ، بل ترد بالإنابة ، والتوبة ، وبالسيوف ، هذا هو الفرق بين أن ترد ظلم الظالم بالسيف ، وبينك وبينه فرق في الأسلحة يفوق حد الخيال ، وبين أن ترد ظلم الظالم بالعودة إلى الله ، والصلح معه ، والإنابة إليه ، ثم بإعداد القوة ، هذا هو الفرق .

من شروط النصر : التوبة إلى الله :

إذا قال قائل : ما العمل ؟ أقول : للنصر شرطان لا ثالث لهما ، ومهما ذهبت ، ومهما درست ، ومهما تأملت ، ومهما حللت فللنصر شرطان ، كل واحد منهما شرط لازم غير كاف ، وهذان الشرطان يطبقان على سيد الأنبياء والمرسلين ، وصحابته الغر الميامين ، وعلى من في آخر الزمان ، إنه قانون واحد ، النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه لم ينتصروا في أحد ، مع أن النبي سيد الخلق ، وأصحابه نخبة الخلق ، لم ينتصروا ، لأن هناك معصية للرسول ، فلو انتصروا لسقطت طاعة رسول الله ، ولم ينتصروا في حنين ، لم ينتصروا في أحد لسبب سلوكي ، ولم ينتصروا في حنين لسبب اعتقادي ، قالوا: لن نغلب من قلة .
فإذا كان في أمة في آخر الزمان ألف سبب وسبب ، وألف ذنب وذنب ، وألف معصية ومعصية ، وألف انحراف عقدي وسلوكي ، وألف فاحشة وفاحشة فأين النصر ؟
إن أمة تعج بالمعاصي والكذب والدجل ، والربا والقسوة والظلم ينبغي ألا تنتظر من الله أن ترد سيوف الأقوياء إلا بإنابتك إلى الله أولاً ، وبطاعتك له ثانياً ، هذه ملاحظة مهمة جداً .


مطلوب منا أن نقوي أنفسنا وخبراتنا

أيها الإخوة الكرام ، لذلك في هذه الأحوال الصعبة ، في هذه الظروف المخيفة ، في هذه المحن الشديدة، في هذا العدوان الغاشم ، في هذا التهديد المستمر ، لا ينفعنا أولاً إلا التوبة ، وثانياً أن تقوي نفسك ، أن تقوي علمك ، أن تقوي خبرتك ، أن تخلص لأمتك ، أن تقدم شيئاً ثميناً ، أن ترحم الناس ، أن تحمل من

همومهم .

مثلاً : لو تمكنت أن تستورد مادة غذائية لا تصلح في بلاد أخرى إلا لغير البشر ، واستوردتها بثمن بخس ، واستطعت بطريقة أو بأخرى أن تدخلها ، وأن تأخذ موافقة على إدخالها ، مقابل شيء ، هل تعلم أن مثل هذا الإنسان الذي يطعم الناس غذاءً فاسداً يسبب لهم أمراضاً خبيثة هو يمشي بطريقة معاكسة لانتصار الأمة ، لو أن كل تاجر ، أو كل مستورد ، أو كل زارع ، أو كل طبيب ، أو كل مهندس ، أو كل محام حرص أن يطبق منهج الله في حياته لكنا أقوياء جداً ، ولكانت هذه القوة من المنعة بحيث لا تخترق .

في هذه الأيام يقفز الموضوع الأول بعد الإيمان ، إنه موضوع التوبة ، لذلك لا أنا ولا أنتم نستطيع أن نزيح الضلالة والمعاصي عن كل الناس ، لكن ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ، فإذا انتهت عنه فأنت حكيم.

عَنْ أَبِي مُوسَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا))

[مسلم]

من الأحاديث الصحيحة أن النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((إذا كان ثلث الليل الأخير نزل ربكم إلى السماء الدنيا فيقول : هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ هل من سائل فأعطيه ؟ هل من طالب حاجة فأقضيها له ؟ حتى ينفجر الفجر))

[أحمد]

أنت لست مكلفاً إلا بنفسك ، لست مكلفاً إلا أن تقيم الإسلام في نفسك ، وفي بيتك ، وفي عملك ، فإن أفلحت في هذا فقد أديت الذي عليك ، وبقي لك من الله الذي لك ، فإن الله عز وجل يحب التوابين ، وما أمرنا أن نتوب إليه إلا ليتوب علينا ، وما أمرنا أن نستغفره إلا ليغفر لنا ، وما أمرنا أن ندعوه إلا ليستجيب لنا :

((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا))

خاطر من الخواطر الإيمانية :

هذه العبارة وردت كثيراً في بعض الأحاديث خاطر إيماني حولها لا تعدوه تفسيراً دقيقاً : حينما ترى أن العالم الغربي هو العالم الحقيقي ،عنده القيم ،عنده المبادئ ، عالم الحرية والديمقراطية ، ترونها رأي العين ، الحمد لله شيء قريب منا ، ديمقراطية أن يدخل جندي يغتصب بنتا أمام أمها وأبيها مع رفاقه ،

ثم يقتلها ، ثم يقتل أمها وأباها ، ثم يقتل إخوتها ، ثم يحرق البيت ، لماذا جاءوا إلى العراق ؟ من أجل الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان ، فلذلك لما يرى الإنسان أن العالم الغربي هو العالم الحقيقي ، منه القيم ، منه المبادئ ، الاختلاط حضارة ، وتعري النساء حضارة ، والمال الربوي والبنوك حضارة ، وكل الأشياء التي نفاها الإسلام هي في الحقيقة جزء من هذه الحضارة ، يجب أن يتعلم الطفل الموسيقا، والعزف على البيانو ، وإلا ليس متحضراً بل هو متخلف .

حينما ترى أن شمس المعرفة من الغرب ، وأن القيم من الغرب ، وأن الذوق من الغرب ، وأن اللباقة من الغرب فأنت لا يمكن أن تتوب ، لا يمكن أن تتوب ، بل ترى أن الدين تخلف ، والدين قتل ، والدين إرهاب ، والدين فقر ، والدين تعصب ، والدين ضبابية ، والدين سوداوية ، والدين جمود ، والدين تزمت ، إذا ظننت الدين كذلك فلا يمكن أن تتوب ، وهناك خطأ كبير واستراتيجي ، لذلك :

((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا))

بعد أن تطلع الشمس من مغربها لا يتوب الله عز وجل على أحد ، ترى الشخص همه الجنس ، همه التعري .

والله قالت لي زوجة رجل على الهاتف ، وهي محجبة : اغتنى في بلد نفطي بشكل جيد ، أمرها أن تقدم إليه ، فإن لم تكوني بشكل فاضح لا أقبلكِ ، بل تعودين من المطار ، وهي محجبة .

إذا كانت الحضارة بتعري المرأة ، وبالكسب الربوي ، وبالاختلاط ، وبالنفاق ، وبالفنون الجميلة فإن الموت ما دخل في الحسابات إطلاقاً ، إذا ظننت أن شمس المعرفة ، وشمس القيم ، وشمس الحضارة هي من الغرب فقد أغلق باب التوبة ، ومن هوي الكفرة حشر معهم ، ولا ينفعه عمله شيئاً .

الكفر بالطاغوت ثم الإيمان بالله :

أنا أقول لكم أيها الأخوة الكرام : لا يمكن أن تؤمن قبل أن تكفر ، لا يمكن أن تؤمن بالله قبل أن تكفر بالطاغوت ، مادام الطاغوت كبيرًا في نظرك ، وعنده تقنية ، وعنده حضارة ، وبلاده جميلة ، وفي تعامله دقيق جداً ، وعنده حقوق إنسان ، وعنده اتفاقيات التمييز ضد المرأة ، واتفاقيات ضد تمييز الطفل ، وعنده مؤتمرات السكان ، مادامت الشمس تراها من الغرب فاقرأ على الأمة السلام ، الشمس هي في الحقيقة من بلاد المسلمين ، والذي قاله بعض العلماء : أنا لا أصدق أن يستطيع العالم الإسلامي اللحاق بالغرب على الأقل في المدى المنظور ، لاتساع الهوة بينهما ، ولكنني مؤمن أشد الإيمان أن العالم كله سيركع أمام أقدام المسلمين ، لا لأنهم أقوياء ، ولكن لأن خلاص العالم بالإسلام .

القضية عميقة جداً ، إن رأيت أن هذا الدين حق ، وأن هذا الدين وحي السماء ، وأن هذا النبي حق ، وأن منهجه حق ، وأن القرآن حق ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، يمكن أن تتوب ، إن اعتقدت بالآخرة تتب ، أما الآخرة إن لم تدخل في حساباتك إطلاقاً فوالله الذي لا إله إلا هو معظم المسلمون في تعاملهم ، في كسب أموالهم ، في إنفاق أموالهم ، في احتفالاتهم ، في زواجهم ، في تطليقهم ، في سفرهم ، في حلهم ، في ترحالهم ، والله لا يدخلون الآخرة في حساباتهم إطلاقاً ، أنت كمؤمن هل تستطيع أن تدوس على نملة قصداً ، وأن تسحقها بحذائك ؟ كيف تنهب معملا ؟ تنهب شركة ؟ تنهب بيتًا؟ يكون لك إخوة صغار فتأخذ منهم وكالة عامة ، وتجمع كل ثروة الأب لك ، كيف ؟ كيف تضر بالوصية ؟ كم من دعوى كيدية في قصر العدل ؟ سبعة آلاف دعوة كيدية ، والذين يقيمونها من رواد المساجد .

ولذلك أيها الإخوة ، هذا الوقت المناسب للتوبة ، إن أردتم أن ينزاح عنا هذا العدو ، والله إنه عدو ما مرّ في تاريخ البشرية من عدو أقسى منه ، ولا أشد حقداً ، ولا أكثر بطشاً ، ترون مليون ضعف مليار ضعف عما يستحق أسر جنديين ، أمة تهدم كل ممتلكاتها ، كل منشآتها ، كل بنيتها التحتية ، بلا رحمة، ومعظم القتلى أطفال ونساء ومدنيون ، فإذا أردتم أن ينزاح هذا الخطر ، وأن يحفظ الله بلادنا ، ويحفظ مدينتنا ، وأن يحفظ منشآتنا ، ويحفظ علينا بنيتنا التحتية ، ويحفظ علينا تربية أولادنا ، فتوبوا إلى الله ، وهذا الوقت المناسب جداً للتوبة .

إذاً التعليق الأول : حتى تطلع الشمس من مغربها ، أشهد الله من شدة ما أرى أنهم يكذبون ، ويزورون، ويبطشون أكاد أنهار ، هم أول الكيانات في العالم إرهاباً ، وأول الكيانات في العالم كذباً ، يتمنى إنسان أن يسكن في خيمة ، وفيها رحمة للصغار ، أن يسكن بيتاً متواضعاً بسيطاً ، أن يسكن كوخاً ، وفيه كلمة صدق ، كل الكلام الآن كذب ، كل الذي يقال من أخبار من عند الغربيين كذب ، بعد تدمير خمسة أيام ، وكل شيء هدم ، ولا طريق سالكًا ، ولا كهرباء ، يصدر تصريح كم شعرت براحة ، قال : أعمال إسرائيل ليست مبررة ، وزير خارجية السويد قال : أعمال إسرائيل ليست مبررة فقط ، وانتهى كل شيء .

أيها الإخوة الكرام ، نحن في أي عصر نعيش ؟ العالم كله ينافق للقوي ، العالم كله ينافق للقوي ، لا قيم، ولا مبادئ ، ولا وطنية ، ولا قومية ، ولا إنسانية ، ولا دين ، ولا حياء ، ولا شيء ، هناك قوي يتفنن بإذلال الضعيف ، وغني يتفنن باستغلال الفقير ، والكذب في أعلى مستوى .

الحديث الأول رواه مسلم .

والحديث الثاني :

((من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه))

[ورد في الأثر]

هذا هو الغرب !!!

في وقت الثقافة الغربية هي السائدة في العالم كله ، طبيب نفسي عادي جداً ، لو أن مريضاً شاباً زاره ، أول سؤال : ألك صاحبة ؟ يقول له : لا ، فيقول : عليك أن تصاحب فتاة ، ما قولك في طبيب عالم نفس أول نصيحة له أنه يأمرك بمعصية ، هكذا ثقافته ، أن تصاحب فتاةً قبل الزواج ، وأن يكون لك تجارب قبل الزواج .

والله حدثني أخ سافر إلى بلد غربي في إنسان من هولندا أقام في مصر سنوات طويلة أعجبه النمط الإسلامي ، أقسم بالله بحث عن فتاة عذراء أربع سنوات لم يصل إليها ، أربع سنوات يبحث في كل هولندا عن فتاة واحدة عذراء .

وزير السياحة في تايوان يفتخر قبل زلزال تسونامي أنه ليس في بلاده كلها فتاة عذراء واحدة ، ومونديال كأس العالم مليون زائر لألمانيا ، هؤلاء لهم حاجات في الزنا ، إذاً بنوا بناء ضخماً كلف سبعة ملايين أورو ، وعندهم أربعمئة فتاة معهم ترخيص ، وبطاقة رسمة ، وشهادة صحية ، ولها أسعار ، هذه أمة !!؟

أين أنتم يا أيها الإخوة الكرام ، أين الإسلام العظيم ؟ أين العفة ؟ أين الاستقامة ؟ لذلك حينما تطلع الشمس من مغربها ، حينما يرى المسلم أن الغرب هو كل شيء ، وأن حضارته هي الحضارة ، وأن قيمه هي القيم، وأن نمط حياته هو النمط ، فمستحيل أن تعطى رخصة لفندق خمس نجوم من دون خمر ، الخمر حضارة ، مستحيل أن يقام احتفال من دون اختلاط ، والمرأة شبه عارية ، هذا نمط غربي ، النمط الغربي معمم في العالم كله ، فلذلك أيها الإخوة الكرام ،

لعل الله يرحمنا بمجالس الذكر والعلم

((من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه))

إذا أوى الإنسان إلى مسجد ، وتعلم حقيقة هذا الدين ، وحقيقة الكتاب الكريم ، وحقيقة سيد المرسلين ، وانغرس في قلبه مبادئ الإسلام ، وقيم الإسلام ، وعرف الواحد الديان ، وعرف سر وجوده ، وغاية وجوده ، لعل الله يرحمنا جميعاً بهذه المجالس

((ما جلس قوم ذكروا الله فيه إلا غشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده وحفتهم الملائكة))

[الترمذي]

لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ))

[مسلم]

الحديث طبعاً على ظاهره غير معقول ، وإذا ورد المنقول بخلاف المعقول وجب أن نؤول المنقول بما لا يخالف المعقول :

معنى : تذنبوا أي لو لم تحسوا بذنوبكم .

إنسان قذر جداً ، وثيابه قذرة جداً ، قلت له : انظر إلى ثيابك ، ما فيها شيء أبداً ، ما فيها غلط ، ليست فقط ثيابه قذرة ، لا يشعر أنها قذرة إطلاقاً ، وحينما لا يشعر الإنسان بذنب ، وهو يرتكب الذنوب معنى ذلك أنه ميت .

الطبيب أحياناً في حالة الموت أولاً : يمسك النبض ، ولا حركة ، لعل هناك ضعفًا جداً بالنبض ، يطلب مرآة ويضعها أمام أنف المريض ، إذا ظهر بخار ماء على المرآة فهناك بقية تنفس ، وإذا لم يجد يأتي بمصباح ، ويفتح عينيه ، ويشعل المصباح ، فإذا تحركت حدقة العين في حياة ، لا في نبض ولا في نفس ولا في استجابة للضوء يقول لهم عظم الله أجركم ، فإذا الإنسان ما شعر بذنب أبداً نقول له عظم الله أجركم ، يقول لك ماذا فعلت ؟ جلسة كلها غيبة ونميمة وفسق وفجور وأكل مال حرام ومال ربوي ودخل ، ماذا نفعل ؟ لا نؤذي أحداً ، هكذا كلام الناس ، لا نؤذي أحداً ، وإن كان زير نساء ، إن الله جميل يحب الجمال ، مثل هذا الإنسان انتهى عند الله ،

((لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا))

المؤمن يتكلم كلمة غلط لا ينام ، يقسو على إنسان يتألم ، علامة صحتك النفسية ألمك من ذنبك ، وذنب المؤمن كالجبل جاثمًا على صدره ، وذنب المنافق كالذبابة ، فأنت تقيس إيمانك بعظم الذنب عندك ، كلما صغر الذنب عندك كبر عند الله ، وكلما كبر الذنب عندك صغر عند الله .

((لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا))

يقول لك : ما فعلنا شيئا ، وهو جالس يملأ عينيه من محاسن امرأة ، هل أكلناها ؟ متعة فقط ، فالذي يرتكب الذنوب ولا يشعر بها إطلاقاً هذا الذي ذكره النبي عليه الصلاة والسلام :

((لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ))

لازلنا في التوبة ، الحل الآن الذي ينبغي أن نفعله جميعاً أن نتوب إلى الله ، لأن التوبة حصن ، ولأن الله يحفظ عباده إذا تابوا ، قال تعالى :

(فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً* مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً)

[سورة نوح]

فرح الله بتوبة العبد :

الآن يجب أن تعلم أن الله عز وجل لو تبت إليه ما الذي يحصل ؟ في رواية لمسلم :

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ ، وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ ، فَأَيِسَ مِنْهَا ، فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا ، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ : اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي ، وَأَنَا رَبُّكَ ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ))

[مسلم]

حدثنا مرة أستاذ بالجامعة ، أستاذ الأدب العربي الجاهلي قال : هذا الشعر كله لا يمكن أن تتذوقه إلا إذا زرت الصحراء ، ونمت فيها ليلتين ، كل أوصاف الصحراء ، والصفاء في الصحراء ، والسماء في الصحراء ، والخوف في الصحراء ، وقيمة الكرم في الصحراء ، وقيمة الشجاعة في الصحراء ، كل الشعر الذي يتحدث عن الصحراء ، والشعر الجاهلي كله شعر صحراوي ، لا يمكن أن تذوق هذا الشعر إلا إذا ذهبت إلى الصحراء ، كل كلمة يقولها الشاعر صار لها مرتكز عندك ، لو أن واحداً منا كان في الصحراء ، وضلت عنه الناقة فموته بالمئة مليون موت محقق ، طبعاً ليس هناك خلوي ، ولا هاتف ، ولا استراحة ، ولا مراكز معالجة ، ولا شرطة مرور ، صحراء ،

((.... كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ ، وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ ، فَأَيِسَ مِنْهَا ، فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا ، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ : اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي ، وَأَنَا رَبُّكَ أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ))

تكلم بالكفر ، لأنه اختل توازنه ، أخطأ من شدة الفرح ، لله أفرح بتوبة عبده من ذلك البدوي بناقته ، كان موقناً بالموت ، فوهبت له الحياة ، لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ من ذلك البدوي بناقته .

التوبة ، التوبة ، التوبة :

أيها الإخوة الكرام ، ليس لنا في هذه الظروف إلا التوبة ، وإلا أن يكون البيت بيتاً مسلماً ، وأن يكون العمل عملاً إسلامياً ، وأن يكون الإسلام مطبقاً في حياة الإنسان ، وفي بيته ، وفي عمله ، فلعل الله يحفظ بلادنا ، ويحفظ مدينتنا ، ويحفظ ممتلكاتنا ، التشرد صعب ، والآن في العالم نزوح مخيف ، إنسان يخرج بثيابه فقط ، ينام في الطريق ، شيء مخيف ، التوبة ، التوبة ، التوبة .

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية – موضوعات مختلفة في التربية - دروس حوارية - الدرس (20-28) : التحليل الإيماني للأحداث في لبنان

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 23-07-2006

بسم الله الرحمن الرحيم

الاهتمام بالموضوعات الساخنة :

أيها الإخوة ، الموضوعات التي يمكن أن تعالج في هذا الدرس كثيرة جداً ، إلا أن الأحداث الخطيرة التي تجري في بلاد المسلمين يجب أن نهتم بها ؛ لأن مصير الإسلام متوقف على انتصار المقاومة ، كما ترون في لبنان ، وفي فلسطين وفي العراق .

نريد التحليل القرآني للأحداث :

دائماً وأبداً في هذا العصر الذي أصبحت القارات الخمس سطح مكتب ، كل ما يجري تراه رأي العين، فالمشكلة الآن ليست في التأكد من وقوع الذي وقع ، وقع ويُرى على الشاشة رأي العين ، لكن البطولة الآن في تفسير ما وقع ، والتفسيرات لا تعد ولا تحصى ، والتحليلات والآراء والتأملات والتعليقات شيء لا ينتهي ، كلها من صنع البشر ، لكن نحن نريد التحليل القرآن والنبوي والإيماني ، عشرة آلاف أسير ، ثمانية وزراء ، قمم المجتمع الفلسطيني ، ثلاثون عضو مجلس برلمان ، أو شعب منتخبون انتخابات حرة ديمقراطية ، وعشرة آلاف مهجر ، ولبنان بأكمله تدمير كامل ، لبنان حتى وقف على قدميه اقترض أربعين مليار ، نصف الدخل القومي خدمة القرض والفوائد ، المطار ، والطرقات ، البنية التحتية انتهت كلها في ثلاثة أيام ، انتهت مع كل المعامل مع كل الأجهزة الكهرباء ، عشرة آلاف، و ثمانية وزراء ، و ثلاثون عضو مجلس شعب ، وقطر عربي بأكمله مقابل ثلاثة ، واحد بغزة واثنان في لبنان .

ليس للمسلم قيمة في هذا الزمان :

كم هي قيمة المسلم رخيصة ؟ هل سمعتم في العالم كله إنسانا اعترض على أسرانا ؟ على اعتقال وزرائنا ؟ الأخبار المؤلمة لا تحتمل ، أيضاً هذا تمهيد ، معقول ، عشرة آلاف أسير ، ما تسمع بلدا

غريبا واحدا يشجب ، ثمانية وزراء اعتقلوا لا أحد يتكلم ، لا أحد يستنكر ، أما ثلاثة جنود فتقوم الدنيا ولا تقعد ، تدور رحى حرب لم تبق شيئاً ، لبنان رجع خمسين سنة إلى الوراء .

هان أمر الله علينا فهنا على الله :

الملخص من دون مواربة ، من دون مجاملة ، هان أمر الله علينا فهنا على الله ، أرأيت إلى هذا الهوان؟ هان أمر الله علينا فهنا على الله ، أنا أخاطبكم أخاطب الشباب ، الكرة عندنا والأمر بيدنا ، لكن نحتاج إلى إنابة ، إلى توبة ، إلى صلح مع الله ، قال تعالى :

(إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)

[سورة الرعد : 11]

(وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ)

[سورة الأنفال : 19]

(وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)

[سورة الروم : 47]

(وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً)

[سورة النساء : 141]

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي)

[سورة النور : 55]

كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً

إذا عبدناه أرانا الله قدرته فيهم ، بشكل متواضع : أناس ضعاف ، لكن أعدوا المتاح ، ألم يحجموا هذا العدو ؟ ألم يرغموا أنفه في التراب ؟ ما تمكن أن يحقق شيئاً ، والفرق بالإعدادات والمعدات والأسلحة شيء يفوق حد الخيال ، ومع ذلك دققوا في قوله تعالى :

(كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ)

[سورة البقرة : 249]

ساهموا بالعمل ودعوا الكلام :

الله يتمم بخير ، أي تحليل تقدمه هناك من يعترض عليه ، هذا الكلام صحيح ، أي تحليل تقدمه إن تحمست تصبح أبله ، وإن ما تحمست تكون من الطابور الخامس ، اسمع واسكت ، واشتغل ، قدموا

شيئاً لهذه الأمة ، ساهموا في تقوية هذه الأمة ، ساهم بعلمك في تقوية الأمة ساهم بخبرتك ، ساهم بحرفتك ، ساهم في بيتك ، ساهم بصحتك ، إن اعتنيت بصحتك فقد قويت الأمة ، لأن الإنفاق على الأمراض ، وعلى المعالجات أرقام فلكية ، كله من الجهل .

العناية بالصحة أمرٌ مطلوب :

أنا كنت في أمريكا دهشت ، كلما أدخل على طبيب من إخواننا أجد العيادة ملآنة ، توهمت أن كلهم مرضى ، قال لي : لا كلهم أصحاء ، يجرون فحصًا دوريًا ، لأن الأمراض في البداية سهل جداً معالجتها ، نحن إلى أن يتفاقم المرض إلى درجة ليس له حل نذهب إلى الطبيب ، العناية بالصحة تقوية للأمة ، إذا ربيت أولادك قويت الأمة ، إذا أتقنت عملك ، واستغنينا على الاستيراد قويت الأمة ، إذا أتقن معمل الدواء صنعَ الدواء استغنينا به عن شراء الدواء الأجنبي ، فيكون الدواء المحلي فرضاً بخمس عشرة ليرة ، والأجنبي ثمنه ثلاثمئة ليرة كم وفرت على الأمة من ثمن أدوية مستوردة لو أتقنا صناعتنا ؟

نحن والله يا أيها الإخوة ، هناك طرائق لتقوية الأمة لا تعد ولا تحصى ، وهذه بوادر النصر ، سأقول : بوادر النصر ، لأن العدو يملك أكبر ترسانة أسلحة في الشرق الأوسط ، خصائص أسلحته شيء يفوق حد الخيال ، طائرة ترى على الشاشة ثمانية عشر هدفاً ، بكبسة زر تسقط كل هذه الأهداف ، بكبسة زر واحدة يخرج ثمانية عشر صاروخاً ، وعلى بعد مئتين وعشرين كيلو متراً ترى الهدف ، و طائرة أخرى ترى سبعة كيلو مترات ، وهدف واحد ، لن تقابل هذه تلك ، فلذلك الحرب بين حقين لا تكون ، والحرب بين حق وباطل لا تطول ، لأن الله مع الحق ، لكن المعركة بين باطلين لا تنتهي ، بين باطلين تتكلم عن الأسلحة ، طائرات والمدى المجدي ، وإحكام الإصابة ، والإعلام ، التحالفات ، الأقمار الصناعية ، هذا كله يتكلم به متى ؟ إذا كان الطرفان لا يطبقان منهج الله عز وجل .

أحداث لبنان رسالة مفهومة :

أيها الإخوة الكرام ، الذي حدث في لبنان رسالة للعالم العربي ، ما معنى رسالة ؟ أنت كل شيء حصلته بخمسين سنة من مصفاة ، ومن سد ، كله ينتهي بيومين ، أو تخضع ، هما أمران أحلاهم مر ، إما أن تفقد البنية التحتية كلها ، أو أن تركع ، هذا كلام مؤلم جداً ، لكنه واقع ، والله الذي عنده إحساس ديني صحيح يجب أن لا يضحك ، والله لا أحتمل أن أحضر عقد قران ، والموضوع عن الزواج ، والزوجة الصالحة ، هناك موضوعات أخطر الآن ، موضوعات مصيرية بالنسبة لنا ، إما أن يصمد

إخوتنا في فلسطين ، وفي لبنان ، يصمدون ويلقنون العدو درساً لا ينساه ، ويحجّم العدو أمام العالم كله، ويعلو اسم الحق ، مسلم أعد العدة ، مسلم خطط لكل شيء ، مسلم يعرف حجم عدوه ، أعد له ما يستطيع ، شيء رائع جداً إلى الآن ، لم يكونوا يعلمون من أين تنطلق الصواريخ ، ليست القضية سهلة. يا أيها الإخوة ، أبعاد الأخبار كثيراً مفرحة ، وإذا استمرت كثيراً فهي مسعدة ، أنا لا أبالغ ، لكن أقول لكم : الذي عنده إيمان ، وهؤلاء المسلمون ، بدءًا من أفغانستان ، إلى العراق ، إلى فلسطين ، إلى لبنان، أربع دول ، ويتفننون ، من أيام حاصروا مئة وخمسين عنصر أمن ، وعروهم من ثيابهم ، وساقوهم إلى السجن ، هدموا الأبنية كلها ، هدموا الوزارات كلها ، استخفاف بالإنسان المسلم العربي بشيء لا يحتمل ، يجب أن نصحو ، يجب أن نطهر بيوتنا من المعاصي ، نربي أولادنا إلى أن نلقى الله على طاعة ، أن نعين إخواننا ، مدارس ، ومعاهد ، ومؤسسات ، كلها مفتوحة ، وأحضروا فرشاً وطعاماً ، و توزع وجبات درجة أولى ، أقلّ شيء أن نُشعر إخواننا المؤمنين في لبنان أننا نحن معهم ، لو ما عندنا كهرباء فلا بأس ، اصبروا ، لو ما عندنا تكييف ، يجب أن يشعروا أننا نحن معهم ،

(إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)

فيا أيها الإخوة الكرام ، أنا ذكرت مقدمة ، لكنها مؤلمة جداً ، ما تمكنت أن أشرب كأس شاي بكيس شاي ، كم هذه العملة رخيصة ؟ أنا قابلتها بعشرة آلاف شباب وشابات وأطفال ونساء وثلاثين عضو مجلس شعب ، وثمانية وزراء ، ولبنان كلها ثمانمئة ألف مهجر ، و أربعمئة قتيل ، كأن الإنسان المسلم ليس له ثمن ، كلمة قاسية : هان أمر الله علينا فهنا على الله ، قال تعالى :

(وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً)

[سورة النساء : 141]

من مؤشرات ضياع الأمة : كرة القدم :

أيها الإخوة الكرام ، كرة القدم أحد المؤشرات أن الأمة ضائعة ، أحزاب ، وسحب سكاكين ، وإطلاق رصاص ، لأن هناك قسماً ولاءه لفرنسا ، وقسم لإيطاليا ، وتشاجروا ، هذه أمة ؟ الآن اذهب إلى أي مكان ، المقاهي ملآنة ، المطاعم ، رقص ، غناء ، تناول خمور ، هذه أمة ؟ النساء كاسيات عاريات ، التعامل الربوي ، الغش في البيع والشراء ، هكذا ، مثل هذه الأمة لا يمكن أن تنتصر إلا إذا عدنا إلى الله كما فعل صلاح الدين الأيوبي ، فقد بدأ بتعليم جيل مؤمن .

عن مثلِ هذا الرجل نبحث فهل نجده ؟!!

مرة ذكرت قصة لأخ والده هيأ له معملاً في مصر ، مساءً وهو عائد مرهقا ضربت سيارته سيارة ثانية ، أقسم بالله أن فيها رجلا تسعيني السن ، مات ، خبّر مدير معمله التنفيذي ، قال له : لا مشكلة ، تعال بعد ساعة إلى المركز الفلاني ـ الشرطة طبعاً ـ جاء فوجد كل شيء منتهيًا ، الضبط عكس الواقع ، عكس ما حدث ، المضروب صار ضاربًا ، قيل له : وقّع ، الأخ مربًّى تربية عالية ، قال : ماذا أُوَقّع ؟ قال : هذا لم يحدث ؟ قال : لا أوقع إلا على الذي حدث ، غضب الضابط ، قال له : أنت مجنون ، أنا خلصتك ، قال له : لا تخلصني ، أريد أن أخلص من عند الله ، وليس من عندك ، ودفع ديته ، وعين أولاده موظفين في المعمل ، فإذا كان عندك مؤمن كهذا يضع المال تحت قدمه ، لا يزوّر ، لا يكتب تصريحًا كاذبا فأبشر بالنصر .

اليوم سألني أخ عليه حلف يمين ، وإذا حلف يحلف على شيء غير واقع ، وإذا حلف حقيقة يسجن ، قلت له : أنا لي خمس وثلاثون سنة ما أفتيت لإنسان بحلف يمين بخلاف الواقع ، وما مِن شخص ما حلف خوفاً من الله وساق الله له مشكلة ، الله يحميه ، بعد ساعة خبرني الأخ فقال : ما حلفت ، وحلت المشكلة ، الله كبير ، عنده تدخّل ، السجن لا شيء ، لكن لا تحلف .

أيها الإخوة الكرام ، القضية الآن قضية مصيرية ، قال تعالى :

(أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ * وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ)

[سورة النجم]

هذه رسالة للدول المحيطة بهم ، أما الإنجاز الإيجابي فلا أروع منه ، لقد سقط الغرب ، والغرب وحش، أليس كذلك ؟ ما فيه رحمة إطلاقاً ، أكثر القتلى أطفال ونساء ، كل شيء مهدّم ، بيت ، جسر ، معمل صغير ، محطة بنزين ، كل شيء دمروه ، قال تعالى :

(أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ* فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ)

[سورة الماعون]

هذا الربط ، قال تعالى :

(فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ)

[سورة القصص : 50]

الأحداث للوعظ والاستيقاظ :

أيها الإخوة الكرام ، هذه الأحداث كافية أن نتعظ ، كافية أن نتعاون ، كافية أن نتضامن ، كافية أن تشعر أنك لست وحدك في الحياة ، لك إخوان كثر يعينوك ، هذه الأحداث كافية أن نلغي كل الخلافات

بيننا .

الخلاف كفرٌ :

إنّ الله عز وجل وصف الخلاف بين الأوس والخزرج في القرآن الكريم فقال :

(وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ)

[سورة آل عمران : 101]

سمى الخلاف بين المؤمنين كفراً ، الآن خلافات ، شيع ، وأحزاب ، وطوائف ، كل واحد يرى نفسه محور العالم ، والباقون تائهون شاردون كذابون ، لا .

الوقت وقت تعاون وتعاضد :

الآن لا يصلح لنا إلا التعاون ، إلا العمل .

والله في بالي مليون عمل تفعله ولا أحد يسائلك ، وتقوى الأمة به ، مليون عمل ، نقول للطالب : ادرس جيداً ، وكن أولياً ، أريد شخصاً خبيراً يحمل دكتوراه بالإعلام ، دكتوراه بالكومبيوتر ، بالرياضيات ، بالفلك ، أريد شخصاً يُعلم هذا الجيل ، أريد مدرساً ناجحاً ، طبيباً ناجحاً .

أيها الإخوة الكرام ، عندما يأخذ شخص ما (بورد) من أمريكا ، ويأتي إلى بلده ، فقد صارت أمريكا عندنا ، هذا البلد المتقدم جداً طبياً أحضروا الخبرة كلها إلينا ، فقط اخرجْ من ذاتك ، اخرجْ من بيتك ، وزوجتك ، وأولادك ، لمّا يقول لي إنسان : أنا ما عندي مشكلة ، فهذه أكبر مشكلة ، أنك انسلخت منهم، ولست منتمياً إليهم . لما ضُرب النبي عليه الصلاة والسلام بالطائف ماذا قال ؟ قال :

((اللهم اهدِ قومي))

[السيرة النبوية]

قومه كفار ، ضربوه ، وكفروا برسالته ، وسخروا منه ، ما تخلى عنهم ، يأتي إنسان ما عنده مشكلة ، بيته ، ودخله ، و وظيفته ، يقول لك : ما عندي مشكلة ، معنى هذا أنك أنت مشكلة ، وعدم انتمائك للأمة مشكلة ، وعدم اهتمامك بنا بشأننا مشكلة .

انتهى عهد الكلام ، وبدأ عهد العمل :

فأنا أتمنى عليكم : الكلام انتهى ، موضوع الكلام انتهى ، نريد عملاً ، والله بلغني أن هناك عدداً من الشباب يعاونون ، يذهبون إلى أمكنة إخواننا اللبنانيين فيقدمون من حاجات وخدمة وتنظيف ، والله شيء

جميل ، التعاطف والتعاون يؤكد إيمانك ، ما المانع إذا زار شخص هذه المراكز ، كل المدارس مسخّرة لهم ، اسألوا أين مراكزهم ؟ زرهم ، أنت شاب ، قدم لهم مساعدة ، خدمة ، أحياناً يريدون شيئاً ما ، هناك خدمات كبيرة تقدم لهم ، شيء رائع جداً ، لكن اعمل شيئاً ، إنسان ليس له عمل ، لا شيء ، وحجمك عند الله بحجم عملك الصالح ، وأهم نقطة وهي مؤلمة جداً : هان أمر الله علينا فهنا على الله .

عشرة آلاف ، وثلاثون عضو مجلس شعب ، وثمانية وزراء ، ولبنان بكاملها ثمانمئة ألف مهجر ، وثلاثمئة وخمسين ، أو ثلاثمئة وتسعين قتيل تقريباً ، وجرحى ، هذا يساوي ثلاثة جنود محاربين من أصل فرنسي ، لماذا وضعوا قسماً للأفغان والعراقيين في غوانتانامو ؟ لئلا يطبق عليهم القانون الأمريكي ، حتى ما يكون قانون يحميهم ، وما عدّوهم أسرى ، ما الحجة ؟ لأنه قسمًا كبيرًا منهم ليسوا من العراق ، بل من بلاد أخرى ، هذا الجندي الذي خطفوه أصله فرنسي بغزة ، ومقاتل ، وضمن معركة ، ووفق الشريعة الدولية ، والدنيا قامت ، ولم تقعد ، لذلك هذا العالم الذي لا يؤمن بالحق احتقره، اركله بقدمك ، بكل منجزاته الحضارية ، ما لهم قيمة ، لأنهم وحوش .

أنا في حياتي ما شعرت بانفصام عن الحضارة الغربية كهذه الأيام ، القيم هي كل شيء في الحياة ، الرحمة كل شيء ، الصدق كل شيء ، كله كذب .

امتنعوا عن التدخين :

لذلك أيها الإخوة الكرام ، نريد أن نعقد العزم على توبة نصوح ، الذي يدخن لا يدخن ، ولا يدفع المال فيدمر نفسه ، ويسبب السرطان لنفسه ، ويغني الشركات ، شركة واحدة اسمها (فيليب موريس) أرباحها في اليوم من مبيعات الدخان للعالم الإسلامي فقط مئة واثنا عشر مليون دولار لإسرائيل ، عندما تدخن أنت تربح الشركات الغربية ، اترك الدخان ، هذه أكبر خدمة لوطنك ، وخدمة أولادك ، لأن المدخن السلبي يتأثر ثلاثين بالمئة ، خدمت زوجتك ، وأولادك ووفرت المبلغ ، ولا تقل : ماذا نفعل؟ ما بيدنا شيء ؟ لا ، بيدك كل شيء ، اترك الدخان ، ربِ أولادك ، اضبط بيتك ، عاون إخوانك، عاهد الله أن تخدم كل يوم إنساناً ، قوِّ نفسك في الرياضيات ، ابحث عن أخ فقير ضعيف بالرياضيات لتعطيه دروسا ، أنت طبيب معك بورد علّم إخوانك الأطباء الذين من اختصاصك ، لكن ما معهم بورد، ممكن أن تعمل مليون شيء ، وأن تقدم أي شيء ، لكن لا تكن بلا عمل .

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية – موضوعات مختلفة في التربية - دروس حوارية - الدرس (21-28) : تصنيفات البشر - العنصرية

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 30-07-2006

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة ، هذا الدرس مستوحى من الموضوع الساخن جداً الذي يجري في لبنان .

الواقع في تصنيفات البشر مجتمَعات وأفرادًا :

بادئ ذي بدء ، الله عز وجل قسم البشر إلى نماذج في القرآن الكريم ، والبشر لهم تصنيفات لا تعد ولا تحصى ، أطرح على مسامعكم بعض تصنيفات البشر ، هناك أقوياء وضعفاء ، وبيض وملوّن ، دول الشمال ودول الجنوب ، منتجون ومستهلكون ، بلاد متقدمة و بلاد نامية أو نائمة ، هناك تقسيمات لا تعد ولا تحصى على مستوى المجتمعات ، وتقسيمات على مستوى الأفراد ، هناك ذكي ومحدود ، و وسيم وذميم ، وقوي يحتل منصبًا حساسًا وضعيف ، وغني وفقير .

تقسيم البشر في ميزان القرآن :

هذه تقسيمات ما اعتمدها القرآن إطلاقاً ، ما اعتمد القرآن إلا تقسيمين اثنين ، على مستوى النماذج الإنسانية ، قال تعالى :

التقسيم الأول :

(فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى *وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى)

[سورة الليل]

آمن بالآخرة التي هي محط رحاله ، ومنتهى آماله ، لأنه آمن بالآخرة اتقى أن يعصي الله ، وبعد أن اتقى أن يعصي الله بنى حياته على العطاء ، ترى عند المؤمن ما يسمى بالاستراتيجية ، كل حياته عطاء ، يسعد بالعطاء .

وهناك نموذج آخر ، قال تعالى :

(وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى)

[سورة الليل]

التقسيم الثاني :

كذب بالجنة ، وآمن بالدنيا ، لذلك استغنى عن طاعة الله ، وبنى حياته على الأخذ ، فذكاءه في الأخذ ، والمؤمن ذكاؤه في العطاء ، هذا تقسيم.

مصطلح جديد في تقسيم البشر : إنساني وعنصري :

لكن من خلال ما يجري في العالم هناك تقسيم ، هو من روح هذا التقسيم الأول ، لكن بمصطلح جديد ، التقسيم الجديد إنسان عنصري ، وإنسان إنساني ، وكيان عنصري ، وكيان إنساني ، ومجتمع عنصري ومجتمع إنساني ، ما معنى عنصري ؟ من خلال ما يجري حولنا ، جهة ، دولة ، مجتمع ، كيان ، يرى نفسه فوق البشر ، إذاً يحق له ما لا يحق للبشر .

صورٌ مِن صور العنصرية الحديثة :

عقب الحرب العالمية الثانية اخترعوا في مجلس الأمن مبدأ حق النقد (الفيتو) ، هذا مبدأ عنصري ، لماذا دول خمسة أيّ قرار يتناقض مع مصالحها ، ولو كان عادلاً هو مرفوض ، إن جهة ، أو كيانا أو دولة ، أو مجموعة ، أو عرقا يرى لنفسه ما ليس للآخرين ، هو فوق الآخرين ، يحق له وحده ما لا يحق للآخرين ، وهو معفى مما يجب على الآخرين هو عنصري ، لماذا بلد من حقه أن يمتلك سلاحاً نووياً ، وبلد آخر إذا مشى في طريق مفاعل نووي لأغراض سلمية تقوم الدنيا عليه ولا تقعد ؟ من قال: يحق لهؤلاء امتلاك سلاح نووي ، ولا يحق للمسلمين امتلاك سلاح نووي ؟ هذه عنصرية ، معنى عنصري ، يعني يحق له ما لا يحق للآخرين ، وهو معفى مما يجب على الآخرين .

أصدر مجلس الأمن مئتي قرار ، هذه القرارات تلزم الكيان الصهيوني أن تفعل كذا وكذا ، ولم ينفَّذ منها قرار ، ولا تعتبر ، ولا تعبأ ، بينما أي قرار يمس المسلمين يجب فيه التنفيذ بحذافيره ، مع ضغط يومي إلى أن ينفذ .

عندنا شيء في الحياة المعاصرة اسمه عنصرية ، الواحد يرى نفسه فوق البشر ، من مشى بهذا الطريق؟ النازيون ، ومشى بهذا الطريق الرومان سابقاً ، أمم كثيرة وشعوب كثيرة مشت بهذا الطريق ، الآن بالقسم المحتل من فلسطين عام ثمانية وأربعين يحق للمعتدين أن يقبعوا في ملاجئ فخمة جداً ، فيها كل وسائل التسلية ، الكومبيوترات ، والأفلام ، والتدفئة ، والمطاعم ، هذه ملاجئ ، ولا يحق

لعرب ثمانية وأربعين دخول هذه الملاجئ ، لهم ملاجئ بلا دورات مياه ، رائحة نتنة لا تحتمل ، هذا أكثر ما يؤلم الاتجاه العنصري .

هذا الكلام تمهيد لموضوع أخطر ابتلي به بعض المسلمين ، إذاً العنصري إنسان يرى نفسه فوق البشر، له ما ليس لبقية البشر ، معفى مما يلزم بني البشر ، وفي التعبير المألوف بنى مجده على أنقاض البشر ، وهل يمكن أن يعتقل ثمانية وزراء ، ويأسر عشرة آلاف ، ويعتقل ثلاثون عضو مجلس تشريعي ، ويضحي بكل البنية التحتية للبنان ، ويقتل حتى الآن سبعمئة وخمسون قتيلا ، وشرد ثمانمئة ألف ، ودمر كل شيء مقابل جنديين ، من هو العنصري ؟ العدو الأول الصهيوني ، ومن يدعمه ، ومن أيضاً ؟ وجميع دول العالم الصامتة والساكتة ، ولا تصريح ، ولا تنديد ، ولا استنكار ، ولا شجب ، ولا اعتراض ، إذاً نحن في مجتمع عنصري ، هذا المجتمع يجب أن لا تعبأ به أبداً ، هذا المجتمع يبني مجده على أنقاض الآخرين ، وغناه على فقرهم ، وحياته على موتهم ، وأمنه على خوفهم ، وعزه على ذلهم .

احذروا فإن من المسلمين من هو عنصري !!!

صور حية واقعية من عنصرية المسلمين في مجتمعاتهم :

الآن السؤال : هل ترون معي أن من بين المسلمين من هو عنصري ؟ وعندي آلاف الشواهد من بين المسلمين .

أضرب لكم بعض الشواهد ، تاجر عنده شاب موظف يتيم الأبوين ، غير متعلم ، تاقت نفس هذا الشاب ليتعلم ، المدرسة الليلية يبدأ دوامها قبل انتهاء دوامه بنصف ساعة ، يطلب من صاحب العمل أن يسمح له نصف ساعة ليغادر قبل نهاية دوامه ، حتى يلتحق بمدرسة ليلية ، يأخذ فيها الكفاءة ، قال لي : ما وافقت له ، قلت له : لماذا ؟ قال : إذا تعلم يفقس ، وهو يشغله بأجر تافه جداً ، لأنه جاهل ، لو تعلم يملك وعيا فيرفض العمل ، وابن هذا التاجر وضع له مليون ليرة لدروس خاصة ، يريده طبيباً ، ابن الناس ممنوع أن يأخذ الكفاءة ، أما ابنه فيريده طبيبًا ، وفي أفضل مدرسة ، وبدروس خاصة ، هذا ما اسمه ؟ الإنسان المسلم ! الذي يرتاد المساجد ، إنه عنصري ، لا تتوهموا أن العدو فقط عنصري ، هناك مسلم عنصري ، لما تعامل خادمة معاملة قاسية ، بينما ابنتك تعاملها أرقى معاملة ، فأنت عنصري .

أقسم لكم بالله ، إن لم تعامل خادمة كما تعامل ابنتك فلست مسلماً ، إنسانة لها أن تأكل ، ولها أن تشرب، ولها أن تتصل بأهلها ، ولها أن تستريح ، ولها أن تنام مبكراً ، ولها أن ترتدي ثيابا جميلة .
والله أيها الإخوة الكرام ، عندنا في مجتمعاتنا المسلمة عنصرية تفوق حد الخيال ، لذلك العنصري الضعيف لا يغلب العنصري القوي عدونا ، أما الإنساني الضعيف فيغلب العنصري القوي ، هل تعامل زوجة ابنك ، وهي في بيتك كما تريد أن تعامل ابنتك في بيت أهل زوجها ؟ امرأتان كانتا في سفر طويل ليومين أو ثلاثة ، وصلتا إلى البيت الذي يقصدانه ، الأخت يقال لها : اذهبي ، وارتاحي السفر متعب ، أما زوجة الابن فيقال لها : ابدئي بالتنظيف ، هذه عنصرية .
والله يا أيها الإخوة الكرام ، لولا أنني مطلع على نماذج لا تحتمل من العنصرية لما ذكرت هذا الدرس، الزوجة في البيت مع بيت أهل زوجها الضغط كله عليها ، إنجاز الأعمال كله عليها ، التنظيف كله عليها ، والباقون يعطون الأوامر ، هذه عنصرية .
وصدقوا أيها الإخوة ، لو أردت أن أستفيض في الأمثلة كثيرة جداً لما أنهيتها لكثرتها .
مرة كنت في محل تجاري ، فمن غرائب الصدف أن صاحب المحل ابنه في المحل ، وابنه هذا في الصف الثالث ، وفي المحل موظف من سن ابنه تماماً ، فحمل الموظف أول علبة ، والثانية ، والثالثة ، والرابعة ، ما يستطيع ، قال له : أنت شاب ، ثم حمل ابنه علبة واحدة فقال له : يا ابني احذر ظهرك ، فمثل هذا عنصري .
إن لم تكن إنسانياً لا تحترم عند الله ، ولا ترقى عند الله ، لما نعامل بعضنا معاملة إنسانية نكون سداً منيعاً لا يستطيع العدو أن يخترقنا ، كما أنه ما استطاع أن يخترق هذه الثلة الطيبة التي نكلت بالعدو ، وأرغمت أنفه في التراب ، لأنه فيها تماسكا ، لأن الإنسان له قيمة عندهم ، لو أنه استشهد أولاده يدخل أعلى المدارس ، والمعالجة بالضمان الصحي ، فأنت حينما لا تكون عنصرياً يصبح المجتمع سداً منيعاً صفاً واحداً .

أعطِ الإنسان رغيف خبزه وكرامته وخذ منه كل شيء :

نحن الآن لسنا أقوياء ، ولكن يمكن أن نكون أقوياء بتماسكنا ، والتماسك يحتاج إلى تعاون ، وإلى إعطاء حقوق ، أنت حينما تعطيني حقي أتعاون معك ، وأكون حارساً لك .
مثل بسيط : ثلة قليلة بالتعاون ، بالتواضع ، وقد سمعت كلمة أعجبتني ، قال لهم زعيمهم : أنا أقبل رأسكم ، لأنكم رفعتم رؤوسنا ، وأقبل أيديكم لأن أيديكم على الزناد ، وأقبل أرجلكم لأنكم ثبتم في مواقعكم ، لما أشعر أن كل من حولي يهتم بسلامتي ، يهتم بكرامتي ، يهتم بسعادتي أعطيه كل شيء .

أنا مرة قلت في ندوة تلفزيونية : أعطِ الإنسان رغيف خبزه وكرامته وخذ منه كل شيء .

هذا الدرس أريده تطبيقا عمليا ، أتمنى على أخ إذا كنت صاحب محل يعدّ هذا الموظف إنساناً له مشاعر ، له كرامة ، له حاجات ، يقول لك : قبل بأربعة آلاف ليرة ، يقبل طبعاً ، هو بلا عمل ، لكن يا ترى أربعة آلاف يعيش بها إنسان ، المقياس ليس أن يقبل ، المقياس أن تعطيه دخلاً يليق بكرامة الإنسان ، ولو قلّ ربحك .

والله أيها الإخوة الكرام ، أرى أنا أناساً ـ والله ـ ينفقون بغير حساب ، ما من سقف في اليوم ، بل تصل نفقاتهم إلى خمسين ألفا ، أما إذا حاسبوا مَن معهم حاسبوهم على القرش ، وعلى رقم لا يسمن ولا يغني من جوع ، وأي خطأ يحسم منك ، إنه قلب قاسٍ كالصخر ، فأنا أقول لكم كلمة : العنصري الضعيف لا يمكن أن ينتصر على العنصري الضعيف ، أما الإنساني الضعيف يمكن أن ينتصر على العنصري القوي .

كأنني أمام البشر على تقسيمين ، عنصري وإنساني ، إذا كان في قلبك رحمة فأنت إنساني ، إذا عاملت الناس كما تحب أن يعاملوك فأنت إنساني ، وهناك نص لا يرقى إلى مستوى الحديث ، لكن من روح الإسلام ، " عامل الناس كما تحب أن يعاملوك " .

مثلاً : معقول من سيد الخلق ، وحبيب الحق ، وسيد ولد آدم أن يكون في سفر ، وأراد أصحابه أن يأكلوا ، فعالجوا شاةً ، فقال أحدهم : علي ذبحها ، وقال الثاني : علي سلخها ، وقال الثالث : علي طبخها ، فقال عليه الصلاة والسلام : وعلي جمع الحطب ، هو قمة المجتمع ، هو زعيم أمة ، هو نبي ، هو رسول ، هو قائد عسكري ، وعلي جمع الحطب ، قالوا : نكفيك ذلك ، قال : أعلم أنكم تكفونني ، ولكن الله يكره أن يرى عبده متميزاً على أقرانه .

هل معقول من قائد جيش ، سيد الخلق ، حبيب الحق ، قبل معركة بدر ، معه ثلاثمئة وبضعة عشر رجلا ، والرواحل قليلة ، يقول :

((كل ثلاثة على راحلة ، وأنا وعلي وأبو لبابة على راحلة ـ ليس معقولا ، فلما ركب النبي نوبته ، وجاء دوره في المشي توسلا صاحباه أن يبقى راكباً ، قال : ما أنتما بأقوى مني على السير ، ولا أنا بأغنى منكما على الأجر))

[أحمد]

دخل عليه أعرابي فقال : أيكم محمد ؟ ماله كرسي خاص ، ماله مكان خاص ، ماله ثياب خاصة ، ذهب ألماس ، وتاج ، وعصا ، لا شيء إطلاقاً .

أيها الإخوة الكرام ، والله ونحن في خطر شديد ، ولا يعلم متى تنتهي هذه الحرب إلا الله ، وكلما ازداد أمدها ازدادت شراسة وقسوة ، وكل بلادنا معرضة لمثل ما تعرض له لبنان ، والله لا ينجينا من عدو

غاشم إلا أن نكون لبعضنا محسنين ، محبين ، متعاونين ، فكل واحد يجب أن يكون معنى العنصرية واضحا في ذهنه ، ويتجنبه لأقصى ما يمكن ، وهذا الحديث يكتب بماء الذهب : " عامل الناس كما تحب أن يعاملوك " .

إن أردتَ النصر فعامل الناس كما تحب أن يعاملوك :

أنت موظف ، وما أحد يحاسبك ، وهناك مُراجع جاء من حلب ، والعملية تقتضي دقيقتين ، سحب ورقة من الدرج ، وتوقيعك ، ثم تقول له : تعال غداً ، أنت عنصري ، يمكن أن تجد خطأ طفيفا ، وأنت واثق أن الخطأ غير خطير ، ومبرر ، والشخص طبيعي ، تقول له : أعِد المعاملة ، تحتاج إلى شهر ثانٍ ، في بلد المنشأ تحتاج إلى شهرين ، البضاعة كل يوم خمسون ألفا ، لا يهمك إتلاف مال الأمة .
أيها الإخوة الكرام ، هناك أمثلة كثيرة جداً على العنصرية بين المسلمين ، كلما تحررنا من العنصرية ارتقينا عند الله ، واستجلبنا نصره إن شاء الله ، فبطولة الأخ المؤمن من يرتاد هذه الدروس لا أن يصغي إلى المتكلم ، بل أن يجعل من هذه الحقائق سلوكاً يومياً ، وكلما ألغينا العنصرية في حياتنا كان التماسك ، هذه المجتمعات لا تخرق ، ولن تقهر ، أما إذا كان التفاوت كبيرا ينشأ لن ننتصر .
يشبّ حريق مفتعل بمعمل من شدة الحقد ، تنشأ خسارة كبيرة بمؤسسة تجارية مفتعل لأن الموظفين لا يعاملون معاملة إنسانية ، فينتقمون أحياناً ، أو تكون وشاية تسبب تلف مال كبير ، فالإنساني كل من حوله حراس له ، الإنساني كل من حوله أحباب له ، الإنساني كل من حوله في خدمته ، أما العنصري فكل من حوله أعداء له ، يتمنون دماره ، يتمنون إخفاقه ، بين أن تعيش بين أعداء وأن تعيش بين أحباب فرق كبير ، لا تكن عنصرياً .
العنصرية واضحة جداً في الكيان الصهيوني ، لو أن إنساناً أسر يمكن أن تدمر بلاد من أجله ، لأنه عنصري ، أما إن أردتم رحمتي فارحموا خلقي ، الراحمون يرحمهم الله ، من لا يرحم لا يُرحم ، لكن هؤلاء بحسب القرآن الكريم أجِّلت معاقبتهم ليوم القيامة ، بينما المؤمن المقصر يعجل له بالعقاب في الدنيا ، والمؤمن المقصر إذا عاقبه الله في الدنيا أفضل له ألف مرة من أن يعاقب في الآخرة في جهنم ، لذلك ورد في بعض الآثار القدسية :

((وعزتي وجلالي ، لا أقبض عبدي المؤمن وأنا أحب أن أرحمه إلا ابتليته بكل سيئةٍ كان عملها سُقْماً في جسده ، أو إقتاراً في رزقه ، أو مصيبة في ماله ، أو ولده ، حتى أبلغ منه مثل الذر ، فإذا بقي عليه شيءٌ شددت عليه سكرات الموت حتى يلقاني كيوم ولدته أمه))

[ورد في الأثر]

مثلاً المريض في مستشفى راقي جداً ، والأجر فلكي ، يعامل معاملة ، والمريض في مستشفى مجاناً يعامل أسوأ معاملة ، هذه عنصرية ، الفقير لا يعتنى به ، الضعيف لا يعتنى به ، أما القوي والغني فيعتنى به ، هذه عنصرية .

هناك أشياء كثيرة جداً متاحة للأغنياء فقط ، ليست متاحة للفقراء ، هذا خلل اجتماعي ، كل إنسان من حقه أن يأكل ، ويشرب ، ويرتدي ثياباً جميلة ، حتى في بلاد من حق أصحاب الدخل المحدود أن يقوموا بنزهات ، يعطون تعويضات لإقامة نزهات يروحون بها عن أنفسهم ، أحياناً لا تعطي موظفك ، يوم إجازة طول السنة ، أما أنت فسبعة أيام في اللاذقية ، وثمانية أيام بمكان آخر ، فهل من المعقول أن تتمتع بإجازات مفتوحة وبإنفاق ، وهذا الإنسان له ثلاثمئة وستون يومًا يداوم ، ولا تعطيه إجازة ؟ والله يقع تحت سمعي وبصري حوادث يندى لها الجبين ، وكل أصحابها من رواد المساجد ، كأنني أكشف شيئاً فشيئاً لماذا تخلى الله عنا ، لأنه هان أمر الله علينا فهنا على الله ، ما تعاونا ، ولا تحاببنا ،

((حَقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى الْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى الْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ ، عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ ، يَغْبِطُهُمْ بِمَكَانِهِمْ النَّبِيُّونَ وَالصِّدِّيقُونَ))

[أحمد]

آخر مثل ، زوج يتفنن في إهانة أهل زوجته ، لأنه قوي ، وزوجته ضعيفة ، وأهلها فقراء ، وإذا ذهب إليهم يتنافسون في إكرامه ، إن تكلمت كلمة عن أمه أقام الدنيا عليها ، ولم تقعد ، لماذا أنت تتفنن في ذم أمها ، وإذا ذمت أمك بكلمة أقمت عليها النكير ؟ أنت عنصري .

كلمة عنصري أراها أكبر وصمة عار في حق الإنسان ، عنصري لا يعبأ بعبادات إطلاقاً ، ترى نفسك فوق الآخرين ، يحق لك ما لا يحق لغيرك ، وأنت معفى مما يجب على غيرك ، وقد تبني مجدك على أنقاض الناس ، تبني غناك على فقرهم ، تبني أمنك على خوفهم ، تبني عزك على ذلهم ، تبني حياتك على موتهم ، كما يفعل الأعداء .

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية – موضوعات مختلفة في التربية - دروس حوارية - الدرس (22-28) : التوافق بين أطياف المسلمين ورأي أحد كبار علماء الشيعة بسيدنا أبي بكر

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 06-08-2006

بسم الله الرحمن الرحيم

محورا الدرس :

المحور الأول : الدين أداة جمع وتقريب :

أيها الإخوة ، درسنا اليوم مستوحى من الظرف الصعب التي تعيشه الأمة في هذه الأيام ، هو فقرتان لا ثالث لهما :

الفقرة الأولى : أن هذا الدين أداة جمع لا أداة تفرقة ، أداة قرب لا أداة تباعد .

المحور الثاني : أصل هذا الدين توقيفي :

أصل هذا الدين توقيفي من عند الله من عند الخالق ، لذلك لا يمكن أن يكون فيه سبب من أسباب التفرقة ، ولكن نحن حينما أضفنا إلى هذا الدين ما ليس منه أصبحنا شيعاً وأحزاباً ، وطوائف ومذاهب ، وما إلى ذلك ، والآية الدقيقة جداً ، قال تعالى :

(إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ)

[سورة الأنعام : 159]

لست منهم ، وليسوا منك ، لا تنتمي إليهم ، ولا ينتمون إليك ، بل كلمة :

(لَسْتَ مِنْهُمْ)

فيها أشد أنواع الإنكار ، لست يا محمد من هؤلاء ، بل إن الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم وصف الخصومة بين المؤمنين بأنها كفر ، قال تعالى :

(وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ)

[سورة آل عمران : 101]

إذاً الذي حصل بعد حقب كثيرة من هذه الرسالة العظيمة أن ما أضيف إلى هذا الدين شرذم المسلمين ، وفرقهم ، وجعلهم طوائف وشيعاً ، وكان بأسهم بينهم ، والآن العدو لا يفرق بيننا إطلاقاً ، نحن جميعاً عنده مسلمون ، ونحن جميعاً مستهدفون ، والعدو بيده ورقة رابحة ، هي إثارة الفتن الطائفية ، ونحن

بوعينا ، وبإخلاصنا نستطيع أن نسقط هذه الورقة من يدنا ، بوعينا وإخلاصنا ، والأولى في هذه الظروف الصعبة أن نلغي ، أو أن نتناسى ، أو أن نعمي على كل الخلافات فيما بين المسلمين ، لأنني أؤكد لكم أن هؤلاء الأعداء يريدون إفناءنا ، وإبداتنا ، وإفقارنا ، وإضلالنا ، وإذلالنا ، وإفسادنا ، وهذا شيء واضح جداً ، لذلك أنا سأكتفي في هذا الدرس بنقطة خلاف واحدة يعرفها جميع أهل الأرض بين السنة وبين الشيعة ، هذه النقطة ستبدد أمامكم بهذا النص :

تبديد نقطة خلاف بين الشيعة والسنة :

ذكر أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن الصفحة الثالثة والأربعين بعد المئة من كلام الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : << لما قبض أبو بكر رضي الله عنه ارتجت المدينة بالبكاء كيوم قبض النبي عليه الصلاة والسلام ، وجاء علي باكياً مسترجعاً ، معنى مسترجعاً : يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون .

بالمناسبة ، فلان حوقل ، ما معنى حوقل ؟ أي قال : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فلان دمعز ، يعني قال: أدام الله عزك ، فلان هلل ، يعني قال : لا إله إلا الله .

يقول الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه حينما بلغه أن سيدنا الصديق قد قبض إلى رحمة الله فقال : << اليوم انقطعت خلافة النبوة ، ووقف على باب البيت الذي فيه أبو بكر وقال : رحمك الله أبا بكر ، كنت إلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنسه ، يعني كان يألفك ، وكان يأنس بك ، أي كنت يا أبا بكر رحمك الله أقرب الناس إلى رسول الله ، وثقته وموضع سره ، يعني كنت أمين سره ، كنت أول القوم إسلاماً ، ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت له كبوة إلا أخي أبا بكر ما تردد .

كنت أول القوم إسلاماً ، وأخلصهم إيماناً ، وأشدهم يقيناً ، وأخوفهم لله ، وأعظمهم غناءً في دين الله ، وكنت يا أبا بكر أحوطهم على رسول الله ، يعني أشدهم حرصاً على سلامة رسول الله في أثناء الهجرة، كان يذكر أنه سيواجه خطراً يمشي أمامه ، ويذكر الطلب فيمشي خلفه ، يتوهم أن الخطر عن يمينه يمشي عن يمينه ، عن يساره يمشي عن يساره ، هذا كلام سيدنا علي ، وأثبتهم على الإسلام ، وأيمنهم على أصحابه ، يعني أشدهم حرصاً على أصحابه ، وأحسنهم صحبة ، وأكثرهم مناقب ، مناقبه لا تعد ولا تحصى ، وأفضلهم سوابق ، وله سوابق في الإسلام ، أعطى أبو بكر رسول الله كل ماله ، فقال : يا أبا بكر ، ماذا أبقيت لنفسك ؟ قال : الله ورسوله .

النبي عليه الصلاة والسلام :

((يقول ما طلعت شمس على رجل بعد نبي أفضل من أبي بكر))

وأرفعهم درجة ، وأقربهم وسيلة ، وأشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم سنناً ، تطبيقاً لسنته ، وهدياً ، ورحمة وفضلاً .

نحن أمة واحدة :

لازلنا مع كلام سيدنا علي بن أبي طالب ، إذاً الدين واحد ، كل الخلافات بين الفرق الإسلامية ليس لها مكان في أصل هذا الدين ، نحن أمة واحدة ، نحن أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحتاج الآن إلى هذه المعاني ، نحتاج إلى ما يقربنا ، نحتاج إلى ما يلغي كل خلاف بيننا ، نحتاج إلى التعاون ، نحتاج إلى التناصر ، نحتاج إلى التكاتف ، نحتاج إلى التآزر ، نحتاج إلى نقف جميعاً في خندق واحد ، لأن عدونا وضعنا جميعاً في سلة واحدة ، قال تعالى :

(وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ)

[سورة الأنفال : 46]

كنت ـ كما قال سيدنا علي بن أبي طالب ـ أشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم سنناً ، تطبيقاً لسنته، وهدياً ، ورحمة ، وفضلاً ، وأشرفهم منزلة ، وأكرمهم عليه ، وأوثقهم عنده .

أنا أريد أن أذكر لكم آية خالق الكون بنص القرآن الكريم يقول :

(غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ)

[سورة الروم]

من هم الروم المعنيون ؟ أهل الكتاب ، أليس هناك تناقض بيننا وبينهم في العقائد ؟ هناك تناقض كبير، يقول الله عز وجل :

(وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ)

[سورة الروم]

من الإعجاز الإخباري في القرآن الكريم :

هذا من إعجاز القرآن الإخباري ، الإخبار عن المستقبل ، الإعجاز الإخباري بالمناسبة إخبار عن الماضي ، قال تعالى :

(وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ)

[سورة آل عمران : 44]

وعندنا إعجاز الحاضر النبي عليه الصلاة والسلام ، جاءه الوحي ، وأخبره أن أحد أصحابه حاطب بن بلتعة أرسل كتاباً إلى قريش يخبرهم فيه أن محمداً سيغزوهم ، وحي ، أرسل علياً إلى الطريق بين مكة

والمدينة ، وأخذ الكتاب من امرأة وضعته في شعرها ، هذا إعجاز إخبار في الحاضر ، بالمناسبة الإعجاز الإخباري للماضي والمستقبل بُعده زمني ، أما الإعجاز الإخباري في الحاضر فبعده مكاني .

أنا الآن في دمشق لا أعلم ما يجري في الجامع الأموي في حلب ، فإذا جئت بخبر صحيح فهذا البعد مكاني .

أيها الإخوة الكرام ، الآية هذه إعجاز إخباري ، لكن الإخبار عن المستقبل ، قال تعالى :

(غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ)

[سورة الروم]

هذا إعجاز إخباري عن الماضي ، أين الروم غلبت ؟ في أدنى الأرض ، يعني في أخفض مكان في الأرض ، ولا يعلم أحد أي مكان أخطر في الأرض ، لكن بعد أن اكتشفت أشعة الليزر ، هذه الأشعة تقيس المسافة بين الأرض وبين القمر بالسنتمترات ، ترسل أشعة حينما تصطدم بالقمر ، فتعود سرعة الأشعة معروفة ، الزمن الذي استغرق في الذهاب والعودة يكشف لنا المسافة ، وهناك أجهزة صغيرة مع المهندسين ، يقف أمام الحائط فيضغط وتنطلق أشعة الليزر ، وترجع ، يقول لك : ثمانية عشر متراً وخمسة وعشرين سنتمتراً ، وثلاثة ميليمترات ، بعد أن اكتشفت أشعة الليزر أصبح بالإمكان قياس المسافات بلمح البصر ، فاكتشف أن أخفض نقطة في الأرض غور فلسطين ، والدراسات التاريخية تؤكد أن هذه المعركة جرت في غور فلسطين ، قال تعالى :

(غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ)

[سورة الروم]

الإعجاز الإخباري المستقبلي ،

(وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ)

وبعد سبع سنوات فيما أذكر انتصر الروم على الفرس ، قال تعالى :

(وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بِنَصْرِ اللَّهِ)

[سورة الروم]

المؤمنون أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام لماذا يفرحون ؟ لأن ما بين أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام وبين أهل الكتاب قواسم مشتركة ، وأشياء خلافية كبيرة جداً ، ادعوا أن سيدنا عيسى ابن الله ، ومع هذه الخلافات أثبت الله لأصحاب رسول الله فرحهم بهذا النصر ، وسمي هذا النصر .

(وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بِنَصْرِ اللَّهِ)

سمي هذا نصر الله .

بين النصر الاستحقاقي والنصر التفضلي والنصر الكوني :

بالمناسبة لا بد من توضيح ، العلماء قالوا : هناك نصر استحقاقي ، وهناك نصر تفضلي وهناك نصر كوني .

1 – النصر الاستحقاقي :

إنسان صحيح العقيدة سليم السلوك انتصر ، انتصر بفضل الله ورحمته وعدله ، انتصر انتصاراً استحقاقياً .

2 – النصر التفضلي :

إنسان عنده خلل إما في العقيدة أو في السلوك ، وانتصر نقول : انتصر بفضل الله ورحمته وحكمته .
الأول بعدله ، والثاني بحكمته ، هذا النصر اسمه نصر تفضلي ، في عندنا نصر استحقاقي ونصر تفضلي ، وانتصار الروم على ما يعتقدون من شرك كان نصراً تفضلياً .

3 – النصر الكوني :

وهناك نصر كوني ، الفريقان كافران من ينتصر ؟ الأقوى ، والأذكى ، و الذي عنده أسلحة ذات مدى أبعد ، وذات دقة إصابة أشد ، والذي عنده الأقمار والطائرات والحاملات ، والصواريخ ، هذا نصر كوني ، فإذا أثبت الله لأصحاب النبي عليه الصلاة والسلام فرحهم بانتصار الروم أهل الكتاب فلأن نفرح نحن من أعماق أعماق قلوبنا بانتصار إخوة لنا من باب أولى ، والقواسم المشتركة بيننا وبينهم أكبر بكثير من التي بين المسلمين سابقاً وأهل الكتاب .
الآن يقول هذا الصحابي الجليل سيدنا علي رضي الله عنه : >> فجزاك الله عن الإسلام وعن رسوله خيراً ، كنت عنده بمنزلة السمع والبصر ، صدقت رسول الله حين كذبه الناس ، سماك الله في تنزيله صديقاً حيث قال :

(وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ)

[سورة الزمر : 33]

وردت صفة سيدنا الصديق في القرآن الكريم .

وفي آية ثانية :

(ثانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ)

[سورة التوبة : 40]

واسيته حين بخلوا ، كنت معه حين قعدوا ، صحبته في الشدائد أكرم الصحبة ، ثاني اثنين ، وصاحبه في الغار ، والمنزل عليه السكينة والوقار ، هذا كلام من ؟ كلام سيدنا علي بن أبي طالب ورفيقه في الهجرة ، وخليفته في دين الله ، وفي أمته حين ارتد الناس ، فنهضت حين وهن أصحابك ، لما قال سيدنا عمر : " والله من قال : إن محمداً قد مات ضربته بهذا السيف ، قال له : على رسلك يا عمر " ، وذكره بالآية :

(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ)

[سورة آل عمران]

فنهضت حين وهن الناس ، وحينما ارتد معظم العرب وقف وقفة لا مثيل لها ، قال : والله لو منعوني عقال بعير لقاتلتهم من أجله .

فنهضت حين وهن أصحابك ، برزت حين استكانوا ، قويت حين ضعفوا ، قمت بالأمر حين فشلوا ، نطقت حين تتعتعوا ، مضيت بنور إذا وقفوا ، واتبعوك فغضوا ، كنت أصوبهم منطقاً ، وأطولهم صمتاً، وأبلغهم قولاً ، وأكثرهم رأياً ، وأشجعهم نفساً ، وأعرفهم بالأمور ، وأشرفهم عملاً ، كنت للدين عسوباً كالعسل ، أولاً : حين نفى عنه الناس ، أي بعد الردة ، وآخراً حين قفلوا ، وكنت للمؤمنين أباً رحيماً ، إذ صاروا عليك عيالاً ، فحملت أثقال ما ضعفوا عنه ، ورعيت ما أهملوا ، وحفظت ما أضاعوا ، شمرت إذ خنعوا ، عليت إذ هلعوا ، صبرت إذ جزعوا ، أدركت أوتار ما طلبوا ، راجعوا رشدهم برأيك فظفروا ، ونالوا بك ما لم يحتسبوا ، كنت كما قال عليه الصلاة والسلام أمنّ الناس عليه في صحبته ، وذات يدك ، وكنت كما قال : ضعيفاً في بدنك ، قوياً في أمر الله ، متواضعاً في نفسك ، عظيماً عند الله جليلاً في أعين الناس ، كبيراً في أنفسهم ، لم يكن لأحد فيك مغمز ، ولا لأحد مطمع ، ولا لمخلوق عندك هوادة ، الضعيف الذليل عندك قوي عزيز حتى تأخذ له بحقه ، والقوي العزيز عندك ضعيف ذليل حتى تأخذ منه الحق ، القريب والبعيد عندك سواء ، أقرب الناس إليك أطوعهم لله ، قومك الحكم ، وأمرك حلم وحزم ، ورأيك علم وعزم ، فأبلغت ، وقد صعب الطريق ، وأطفأت النيران ، نيران الفتن ، واعتد بك الدين ، وقوي الإيمان ، وظهر أمر الله ، ولو كره الكافرون ، وأتعبت من بعدك إتعاباً شديداً ، وفزت بالخير فوزاً عظيماً ، فجللت عن البكاء ، وعظمت الرزية في السماء ، وهبت مصيبتك الأيام ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، رضينا عن قضاء الله قضائه ، وسلمنا له أمره ، فو الله لن

يصاب المسلمون بعد رسول الله بمثلك أبداً ، فألحقك الله بنبيه ، ولا حرمنا أجرك ، ولا أضلنا بعدك>>.

وسكت الناس حتى انقضى كلامه ، ثم بكوا حتى علت أصواتهم ، هذا كلام سيدنا علي لسيدنا الصديق.

الخلاصة :

الإسلام واحد ، كل الخلافات بين الفرق الإسلامية ليست موجودة في أصل الدين ، وهذه المعاني نحن في أمس الحاجة إليها الآن ، نحن يجب أن نقف جميعاً صفاً واحداً ، وأن نتعاون ، وأن نتآزر ، وألا نسمح بهمس ولمز وهمز أن هؤلاء الذين انتصروا ليسوا من ملتنا هذا ، كلام مرفوض الآن مرفوض كلياً ، نحن بحاجة إلى تعاون ، ويجب أن نفرح ، وأن نعجب كما فرح أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام بانتصار أهل الكتاب مع أن ما بيننا وبين أهل الكتاب قواسم مشتركة ، وتناقضات كبيرة جداً ، فلأن نفرح بانتصار إخوتنا المجاهدين في لبنان وفي فلسطين من باب أولى .

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية – موضوعات مختلفة في التربية - دروس حوارية - الدرس (23-28) أحد أركان النصر – التوبة

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 13-08-2006

بسم الله الرحمن الرحيم

لا يخافنّ العبد إلا ذنبه

أيها الإخوة ، ما نزل بلاء إلا بذنب ، ولا يرفع إلا بالتوبة ، لا يخافنّ العبد إلا ذنبه ، ولا يرجونّ إلا ربه .

إن أردت أن يضغط الدين كله بكلمتين : لا يخافنّ العبد إلا ذنبه ، لا تخف من الأقوياء ، إنهم بيد الله ، لا تخف من الطغاة ، لا تخف من عدوان أجنبي ، خف من ذنبك الذي يستدعي كل ذلك .

لذلك أردت من هذا الدرس إن شاء الله أن يكون الموضوع هو التوبة ، إن ظلم الأقوياء نقمة الله ، ونقمة الله لا ترد بالسيوف فقط ، ترد بالتوبة والإنابة ، وإذا كان هناك توبة عامة كان هناك فرج عام ، وإذا كان هناك توبة خاصة كان هناك فرج خاص ، قال تعالى :

(وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ)

[سورة الأنبياء : 88]

وقال تعالى :

(وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ)

[سورة سبأ : 17]

هذا الذي يجري حولنا في العراق وفي لبنان شيء لا يصدق ، القتل عشوائي ، القتل يومي ، القتل بلا سبب ، موت كقعاص الغنم لا يدري القتل لمَ قتل ، ولا المقتول فيم قتل ، يوم يذوب قلب المؤمن في جوفه مما يرى ، ولا يستطيع إن يغير ، إن تكلم قتلوه ، وإن سكت استباحوه ، يوم يؤتمن الخائن ، ويخوَّن الأمين ، يصدَّق الكاذب ، ويكذَّب الصادق .

القوي لا يفهم إلا لغة القوة :

الأقوياء لا تفكر في كلامهم أبداً ، رئيس القطب الأوحد يتصل ليعزي بالقتلى اللبنانيين ، وهو الذي دبر الجريمة ، وهو الذي انتظر الكيان الصهيوني ثلاثين يوماً ليسحق الشعب كله فلم يستطع ، أرسل تعزية،

شيء لا يصدق ، القوي لا يفهم إلا لغة القوة ، ونحن ينبغي أن نتوب ، ونقوي أنفسنا ، وأي سلوك آخر سلوك غبي ، أن تحاورهم ، أن تحتكم للشرعية الدولية ، أن تحتكم لحقوق الإنسان ، قال تعالى :

(مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً)

[سورة الجمعة : 5]

القوي لا يفهم شيئاً ، يفهم أنه قوي ، إذاً يجب أن يبني مجده على أنقاض الآخرين ، يجب أن يبني قوته على إضعافهم ، يجب أن يبني غناه على فقرهم ، لذلك علاجه الوحيد أن يتلقى الضربات إثر الضربات فقط ، لذلك نحن أمامنا شيء واحد ؛ أن نصطلح مع الله ، وأن نتوب إليه ، ثم أن يقوي كل منا نفسه باختصاصه ، بدراسته ، بحرفته ، بمصلحته ، الضابط بالخبرة العسكرية ، المهندس بالخبرة المدنية ، إلى أن تقوى هذه الأمة ، لأن القوي مجرم ، لا يحترم إلا القوي ، بالقوة يرضخ .

عَنْ أَبِي مُوسَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا))

[مسلم ، أحمد]

ملمَح اجتهادي :

هناك ملمح ، هذا اجتهاد مني ، إن أصبت فمن توفيق الله ، وإن لم أصب فمن تقصيري ، معنى :

((حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا))

إذا رأينا الغرب كبيراً ، حضارة ، علم ، تقدم ، حقوق إنسان ، إذا رأينا الغرب مصدر القيم ، لا يمكن أن نتوب إلى الله ، الشمس رمز المعرفة ، كانت من المشرق ، المسلمون من الشرق صدروا للعالم العلم والحضارة ، أما إذا توهمنا أن الحضارة من الغرب ، وأن اللباقة والنعومة من الغرب ، الطالب الذي يدرس في مدرسة غربية يملك أحاسيس مرهفة تماماً ، إلى أن نتوهم أن الغرب مصدر الحضارة قطع باب التوبة ، وما لم نكفر بالغرب الطريق إلى الله ليس سالكاً ، وأنا أشكرهم من أعماق قلبي ، لأنهم أعانونا على أن نكفر بهم ، لولا بطشهم ، ولولا وحشيتهم ، ولولا قصفهم العشوائي ، ولولا تلذذهم بقتل الأطفال والنساء ، ولولا هدم كل شيء ، ولولا تدمير البنية التحتية لأمة لا تملك غيرها ، لولا إفقارهم للشعوب التي حولهم لما كفرنا بهم ، لكنهم أعانونا على أن نكفر بهم ، وما لم نكفر بهم فلن نؤمن بالله ، قال تعالى :

(فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى)

[سورة البقرة : 256]

إذا توهمنا أن العلم من عندهم ، وأن القيم من عندهم ، وأن أصول الحياة من عندهم ، هل يجرؤ بلد إسلامي أن يفتتح فندقا بخمس نجوم من دون خمر ؟ هناك آيات في القرآن منزلة ، فندق خمس نجوم يجب أن يكون فيه خمر ، هل يجرؤ بلد إسلامي أن يسمح بالترخيص لفندق خمس نجوم من دون خمر؟ مستحيل ، نظامهم مسيطر ، أنماط حياتهم مسيطرة ، البورصة نظام اقتصادي ، عندهم البنوك الربوية، يريدون إسلام حيض ونفاس ، اغتسال جنابة ، حيض ، نفاس ، ادرسوا هذا الدين ، أما دين مقاومة ، دين لك شخصية ، دين أن تقول : لا ، من الذي قال لا في العالم كله ؟ في فلسطين وفي لبنان قالوا : لا، تفننوا في تدميرهم ، قالوا : لا للغرب ، أما الذي انبطح يرضون عنه .

فلذلك أيها الإخوة ، إلى أن تطلع الشمس من مغربها ، إلى أن يتوهم المسلمون أن الحضارة من الغرب، وأن العلم من الغرب ، وأن الدراسة العميقة من الغرب فليس هناك توبة .

لما يكتب الطبيب (بورد) تذوب أمامه ، انتهى كل شيء ، معه بورد ، ما لم يكن الإنسان دارسا بالغرب ، ما لم يحصل على شهادة من الغرب ، الآن إذا أقام حفلا على النمط الغربي ، يفتتح مصرفا في بلد إسلامي لا بد يوم افتتاحه من كسر زجاجتي خمر ، من تقاليد افتتاح المصرف ، أما في دين الإسلام ، فهناك منهج الحلال والحرام ، النمط الغربي هو المسيطر ، فإذا طلعت الشمس من مغربها ، إذا قلدناهم في كل شيء ، إذا دخلوا جحر ضب انتهينا ، ولا توبة حينئذ ، لماذا تتوب ؟ هم على حق لا نحن ، هم الناجون ليس نحن ،هم الفالحون ، هم المتفوقون ، هم المسيطرون ، دعك من رواد المساجد، قلة قليلون ، بلد فيها خمسة ونصف مليون مجموع المصلين في كل المساجد خمسمئة ألف ، كل هؤلاء الذين يرتادون المساجد عشر ، والذين يرتادون الفجر واحد بالألف منهم ، لذلك يعتقد أعداؤنا ما لم يكن عدد المصلين في صلاة الفجر كعددهم في صلاة الجمعة فلا جدوى من أن ننتصر عليهم .

القصة الدقيقة :

((حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا))

العلم من الشرق ، الأخلاق من الشرق ، الإسلام من الشرق ، الحضارة من الشرق ، الأدب من الشرق ، الحياء من الشرق ، حقوق الإنسان من الشرق ، حقوق المرأة من الشرق ، أما إذا طلعت الشمس من مغربها أغلق باب التوبة .

انظر إليهم ـ رعاك الله ـ فإنهم وحوش في صورة بشر :

أغرب محاكمة اغتصاب في التاريخ في بلد أوربي ، أسرة أقامت دعوى على أسرة ثانية أن كلب الأسرة الثانية اغتصب كلبتهم ، وجاء المحققون ، وتفحصوا البيت ، المتهمون ادعوا أن كلبهم شريف ،

ولا يغتصب أحدا ، تصور قاضيا وتحقيقا وشعوبا يقتلون بالملايين ، هم يحاكمون أسرة كلبها اغتصب كلبة ، وينسون أن الناس يموتون شهرا كاملا ، هم ينتظرون ، ما انتهيتم ، نحن ننتظركم ، نحن بانتظاركم ، ألم تنتهوا من قتل الشعب ، لذلك ما لم تكفر بالكفر فلست مؤمناً ، يجب أن تضع الكفر تحت قدمك ، هم وإنجازاتهم وحضارتهم ، وفضائياتهم وأقمارهم تحت قدمك ، ليكون الطريق إلى الله سالكاً ، لنستعيد دورنا القيادي ، لنستعيد مجدنا كي نرفع رؤوسنا ، الإذلال الذي يلقاه المسلمون لا يصدق .

يا أيها الإخوة ،

((إنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا))

[مسلم ، أحمد]

باب التوبة مفتوح على مصارعه ، إلى أن تعتقد ، أو تتوهم أن الغرب عندهم الحضارة ، وعندهم العلم، وعندهم حقوق الإنسان ، وعندهم حقوق المرأة ، وعندهم حقوق الطفل ، هم يعيشون حياة حضارية راقية جداً .

هذا هو حالـهم والإقرار سيد الأدلة :

شاب أحب فتاة عندهم ، استأذن والده في زواجها ، قال له : لا يا بني ، إياك ، إنها أختك ، وأمك لا تدري ، أبوه زير نساء ، ثم أحب فتاة ثانية ، واستأذن والده ، قال : لا يا بني ، إنها أيضاً أختك ، وأمك لا تدري ، أحب فتاة ثالثة ، استأذن والده ، قال له : إنها أختك ، وأمك لا تدري ، ضجر هذا الشاب ، وحدّث أمه ، قالت له : خذ أياً شئت ، أنت لست ابنه ، وهو لا يدري ، هذا مجتمع والله الزنا عندهم أهون من شربة هذا الماء ، ومستحيل أن تعثر على فتاة عذراء ، وإلا فهي معقدة مريضة نفسياً ، تحتاج إلى طبيب نفسي ، وأساساً إذا جاءنا طبيب نفسي مسلم درس عندهم أي مشكلة مريض نفسياً يقول له : ألك صاحبة ؟ صاحب فتاة لتستعيد صحتك ، هكذا علموه هناك ، أن تصاحب فتاة ، هذه الصحة النفسية.

ليس الإسلام دين فولكلور وطقوس :

أيها الإخوة ، نحن ديننا دين فلكلور ، دين أطر ، دين عبادات ، دين مسجد ، دين صلاة ، دين صوم ، دين حج ، لكن علاقاتنا ليست إسلامية ، تجارتنا ليست إسلامية ، أفراحنا ليست إسلامية ، أتراحنا ليست إسلامية ، سفرنا ليس إسلامياً ، أي بلد حينما يستقبل ثلاثين ألف امرأة للبغاء من أجل إرضاء السياح ،

من أجل الزنا ، هذا بلد لن يسلم من عقاب الله عز وجل ، الله عز وجل يرينا بعض آياته في بلاد مجاورة ، قال تعالى :

(وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ)

[سورة هود : 117]

(وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً)

[سورة الإسراء : 58]

هذا هو حال المسلمين لذلك لم ينتصروا :

يجب أن تزرع في ذهن أولادك أنّ الإسلام هو الحضارة ، والإسلام فيه الحقوق ، فيه حقوق المرأة ، وحقوق الطفل ، وحقوق الإنسان ، ما لم تعتز بهذا الدين ، ما لم يطبق هذا الدين في بيوتنا ، في كل مناحي حياتنا فالطريق إلى الله ليس سالكاً ، الكلام خطير .

إذا طلعت الشمس من مغربها أغلق باب التوبة ، إذا رأيتم شحاً مطاعاً ، وهوىً متبعاً ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه ، هوى متبع الجنس ، ما بقي شيء من المرأة إلا وهو ظاهر في الطريق ، وآباء هؤلاء الفتيات مسلمون ، يصلون الجمعة في المساجد ، ويتباركون بالعلماء ، كذب في كذب ، تتبارك بعالم ، وابنتك شبه عارية في الطريق ، هكذا ؟ أنا أريد أن أقول الكلمة الصحيحة ، الكلمة القاسية الكلمة المؤلمة ، الحقيقة المرة : نحن لسنا مسلمين .

حينما كانت حرب البوسنة والهرسك لي صديق طبيب يتابع الأخبار باللغة الأجنبية ، قال لي : من غرائب الصدف أنني استمعت إلى حوار بين مفتي البوسنة ، أنا التقيت به في بعض المؤتمرات ، هو رجل صالح ، المذيع يدير معه الحديث يقول هذا المفتي : أنا أطلب من إخوتنا في المشرق ألا يعتبوا على الله فيما أصابنا ، نحن لم نكن مسلمين ، كنا نشرب الخمر ، ونأكل الخنزير ، وننمي أموالنا في الربا ، لكننا نصلي في المساجد .

واللهِ هناك عالم كبير توفاه الله قبل سنة ، والله من فمه إلى أذني ، من غير وسيط بيننا ، كنا في نزهة ، قال لي : أنا من بلد أوربي ، أوربي شرقي ، قال لي : أذهب كل عام إلى هناك ، أخطب في أكبر مسجد، المسجد فيه عشرون ألفا تقريباً ، قال : من شدة تأثرهم بخطابي كلهم بكوا ، وأخرجوا زجاجات الخمر من جيوبهم ، وشربوه ي الجامع ، ما تحملوا هذه المعاني الحلوة ، ما هذه الأفكار ؟ بكوا ، وتأثروا ، ويسمع الخطبة ، هذا العالم الجليل من فمه إلى أذني ، قال لي : معي صارت ، أنا كنت الخطيب .

فالمفتي البوسني يقول : إخوتنا في المشرق ينبغي ألا يعتبوا على الله فيما أصابنا ، نحن لم نكن مسلمين، كنا نشرب الخمر ، ونأكل الخنزير ، ونأتي الفواحش ، ونأكل الربا ، الآن بعد هذه الحرب أصبحنا مسلمين ، المرض الخطير يحتاج إلى دواء مر ، لذلك لا تعتبوا على الله ، انجوا بأنفسكم .

أنا والله أروي قصة مئات المرات لكنها معبرة ، أن بدويا يسكن في شمال جدة ، توسعت جدة ، اقتربت من أرضه ، ارتفع سعرها ، نزل إلى جدة ليبيعها في مكتب تجاري خبيث جداً ، اشتراها بثمن بخس ، بثلث قيمتها ، وأنشأ بناء ضخماً من اثني عشر طابقاً ، هم ثلاثة شركاء ، أول شريك وقع من أعلى البناء فنزل ميتاً ، وثاني شريك دهسته سيارة ، الثالث انتبه ، عرف الذنب الذي اقترفه ، أنه أخذ هذه الأرض بثمن بخس ، بحث عن صاحب الأرض البدوي ستة أشهر حتى عثر عليه ، أعطاه ثلاثة أمثال حصته ، فقال له : هذا البدوي : ترى أنت لحقت حالك .

كل واحد منا يلحق نفسه ، يصطلح مع ربه ، يقيم الإسلام في بيته ، يلغي المعصية ، الدخل الحرام يتخلى عنه ، العلاقة الشائنة يلغيها .

يصل إلى علمي أشياء لا تصدق من رواد المسجد ، وله صاحبة ، كيف لا أعرف ، هناك قصص لا يصدقها العقل ، فهذا شعب مسلم مقصر غارق في المعاصي والآثام ، أنى له أن ينتصر ، والذي يجري حولنا رسالة لنا من الله ، دعك من أن أعداءنا يهددون كل دول المنطقة ، هذا بحث ثانٍ ، الذي يجري حولنا رسالة لنا ، لأنه ما كل المذنبين يعاقبون ، بل يعاقب بعضهم ردعاً للباقين ، فإن لم يتعظوا يأتي دورنا ، الظالم سوط الله ينتقم به ، ثم ينتقم منه ، فلذلك كل التعليق على كلمة :

((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا))

إنها أوهام لا حقيقة لها فاجتنبوها :

إن توهمنا أن العلم في الغرب ، والحضارة في الغرب ، وأصول السلوك من الغرب ، يجب أن نأكل باليسار ، أما باليمين فهو بلدي ، إذا مسك الشوكة باليمين والسكين باليسار ، معنى هذا أنه غير حضاري ، هكذا يعلمون أولادنا ، أحياناً نضع ابننا بخمسمئة ألف حتى يتعلم منهم العلم ، خمسمئة ألف في الفصل ، نصف مليون ليتعلم ابننا العلاقات الغربية (الإتيكيت) ، الدبلوماسية ، هم يذبحون الشعوب بالسكين ، ويعتبرون ، ويعزون بالموتى ، هو الذي قتله ، هو القاتل نفسه ، هو الذي أمر بقتل هذا الشعب ، ويعزي .

أيها الإخوة ، في بنفسي شيء كثير من هذه الكلمة :

((حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا))

الشمس يجب أن تطلع من الشرق ، من مكة المكرمة ، من المدينة ، من مقام النبي ، من منزل الوحي، من طيبة ، من هذا المكان ، الشمس من القرآن من السنة .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ))

[مسلم ، أحمد]

الحديث الأول في مسلم ، والثاني في مسلم ، ومعنى الحديث : لا توبة إذا طلعت الشمس من مغربها ، فإذا توهمنا أن العلم عندهم ، والرقي عندهم ، والحضارة عندهم ، ونحن متخلفون ، دول نامية متخلفة فلا توبة .

لقد أرادونا متخلفين فأطعناهم في ذلك :

مرة كنت في أمريكا ، وعدت ، وأردت أن أصوغ مقالة قصصية ، هذا فن أدبي ، لكن قليل ، أعبر في هذا المقال عن مشاهداتي ، هناك تصورت أن أباً عنده أولاد كثر ، أعطاهم جزءاً كبيراً من ثروته في حياته ، ليتدبروا أمرهم بهذا المال ، وأعطى المال بالتساوي بين كل أولاده ، عنده ولد ذكي جداً ، خبيث جداً ، منافق جداً ، طموحاته في حياته الدنيا لا يكفيها هذا المال الذي أخذه من أبيه ، أراد أن يعتدي على إخوته ، أقنع أحد إخوته أن يبيعه حاجة لا يحتاجها إطلاقاً ، هل تصدقون أن خمس طائرات بيعت لبلد إسلامي ثمنها يساوي ميزانية بلد كبير لخمسة وعشرين سنة ، أنا أعطي الثمن الدقيق ، ثمن خمس طائرات لا يمكن أن تطير ، لا يمكن أن تستخدم ، مستواها عالٍ جداً ، خمس طائرات ثمنها يساوي ميزانية بلد عربي لخمسة وعشرين سنة ، هذا الابن الخبيث أقنع أخاه أن يشتري حاجة لا يحتاجها ، أخذ ماله ، الآن اشترى من أخ آخر حاجات ثمينة بثمن بخس ، جاء وقت ثمن البرميل ستة ونصف دولار ، كلفة استخراجه ثمانية ونصفا ، إما أن يبيعك شيئاً لست بحاجة إليه بسعر فلكي ، أو أن يشتري منك شيئاً بثمن بخس ، وعندي مؤلف عن البورصة ، الغرب استرد عن طريق البورصة كل الزيادات بأسعار النفط ، استرد مئات المليارات عن طريق البورصة ، ونحن لا نشعر ، كل الزيادات استردها ، والأموال المودعة عنده مستحيل أن تسحب ، ألف مليار ، والرقم متواضع ، قال لي أحدهم ، وهو الخبير ، قال لي : ثلاثة آلاف مليار مودعة عندهم للمسلمين ، ومستحيل أن تسحب ، لك أن تسحب بعض الفوائد فقط ، إذاً هذا الولد الخبيث الذكي المنافق أقنع أخاً له أن يبيعه شيئاً ليس بحاجة إليه ، أخذ كل أمواله ، أقنع أخاً آخر أن يشتري منه حاجة أساسية جداً رائجة جداً بثمن بخس ، أخذ أمواله أيضاً ،

وأخاً اشترى منه أرض ، هذه ألاسكا اشتروها بخمسين ألف دولار ، والولاية كلها فيها بترول ، كلها ثروات ، بخمسين ألف دولار فقط اشتروا ولاية بأكملها ، النتيجة بطريقة أو بأخرى ، باحتيال ، بكذب ، بتدليس ، بغش ، بإيهام ، بقوة بتهديد ، بحياء ، جمع هذا الأخ أكثر أموال إخوته ، وبنى بيتاً ، وأنشأ حدائق ، ومرافق عامة ، لكل ولد جناح ، ولكل ولد سيارة ومرافق ، وسائق ، وقاعات استقبال ، وقاعات طعام ، وبيت في المصيف ، وبيت على الساحل ، عاش في بحبوحة تفوق إلى حد الخيال ، إخوته أصبحوا فقراء ، سحب أموالهم ، وهم جالسون في بيت مئة متر ، إذا زارهم يتأفف ، متخلفون ، ما عندهم ذوق ، ما عندهم (إتيكيت اجتماعي) ، أنت سبب تخلفهم ، أنت الذي نهبت أموالهم ، أنت الذي أوقعتهم بهذا الضيق ، الآن ينتقد العالم الغربي ، ينتقد الدول الشرقية أنها متخلفة ، أنت صيرتنا متخلفين ، ما تركتَ لنا شيئا ، زرعت لنا عدواً استنفذ كل طاقتنا خلال خمسين سنة ، أكثر ميزانياتنا من أجل الدفاع ، هو زرع هذا الكيان .

لما يغتني الإنسان يصبح ناعما نعومة مزورة ، لا يتحمل إذا كانت ألوان الثياب غير متناسبة ، لا يتحمل جلسة من دون موسيقى هادئة ، هو راق ، والذي سرق أموال إخوته ، وجعلهم فقراء أسكنهم في بيت صغير ، وفوق بعضهم ، وطول نهار مشاكل وضرب ، طبعاً ما معهم ليكملوا دراستهم ، فصاروا جهلة .

مرة وزير بريطاني قال كلمة حق ، قال : والله نحن سبب مشكلات الأرض كلها ، في السودان مشكلة، الشرق الأوسط فيه مشكلة ، في بنغلادش مشكلة ، في العراق مشكلة ، فنان بخلق مناطق توتر ، وهذه مناطق التوتر تحتاج إلى أسلحة ، هم يبيعون السلاح ، وكل عقود السلاح عقود إذعان ، ليست عقود تراضٍ ، قد يكون السعر بمئة ضعف ، بخمسمئة ضعف ، وأنت مضطر أن تأخذ السلاح .

فلذلك هؤلاء الغربيون المتوحشون الذين يتعامون عن جرائم لا تحتمل ، ويطلبون أسيرين ، الآن في مجلس الأمن يريدون أسيرين ، والألف الذين قتلوا ، والمليون الذين شردوا ، والبنية التحتية التي هدمت من دون تعويض ، يريدون أسيرين ، الحقيقة ما لم تحتقر الغرب فالطريق إلى الله ليس سالكا ، حتى تطلع الشمس من مغربها ، إذا طلعت الشمس من مغربها أقفل باب التوبة ، لا أحد يتوب الآن ، لأن هذه المعاصي أَلِفها الناس أصبحت جزءاً من حياتهم .

مثلاً : حدثنا مرة أحد رجال الدين بحلب قال : أحصى عدد المحلات التجارية التي سميت باسم مسلسل له ثلاثمئة حلقة فاضح جداً ، في أثناء عرضه كان هناك منع تجول ، الذي يرغب أن يبني مخالفا لقوانين البناء يبني في أثناء عرض المسلسل ، الشعب المسلم تعلق بمسلسل ثلاثمئة حلقة ، وكان في أثناء عرضه منع تجول ، أحصى عدد المحلات التجارية بحلب التي سمت المحل باسم هذا المسلسل ستمئة محل أربعة وعشرين ألف مولود سموا باسم هذا المسلسل ، لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ، أمة

همها الأغاني والمسلسلات والأفلام الإباحية ، وهذه الصحون التي كلما اتسعت على السطوح ضاقت صحون المائدة ، هذه أمة لا ينبغي أن تقول : يا رب ، انصرنا ، لأنهم ما قدموا شيئًا للنصر ، أما حينما نعود إلى الله ، ونتوب إليه ، ونعود ، ونعتز بأمتنا وبديننا ، و بقرآننا وبإسلامنا ، ونقيم الإسلام في بيوتنا وفي أعمالنا عندئذ يمكن أن ندعو الله بالنصر .

التوبة قبل طلوع الشمس من المغرب :

أيها الإخوة ، الكلام الدقيق هذا هو الكلام :

((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا))

والحديث الثاني : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ))

أما إذا طلعت الشمس من مغربها أغلق باب التوبة ، الله عز وجل قال :

(فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقاً)

[سورة الكهف : 16]

ومن هوي الكفرة حشر معهم ، ولا ينفعه عمله شيئا ، لكن أنا أقول لكم : ينبغي أن نتقوى بالأسباب التي تقووا بها .

سألني أخ على الانترنيت : ما حكم الذهاب إلى بلاد الغرب ؟ قلت له : إذا كان الهدف من الذهاب أن تنال شهادة عالية المسلمون في أمس" الحاجة إليها ، وكنت محصناً بزوجة ، وعدت قبل أن يكبر أولادك ، ويتأثروا بالغرب فلا مانع ، كم شرطا ؟ إذا أردت أن تحصل اختصاصا نادرا يحتاجه المسلمون ، هذا الذي رأيتم في الحرب من دقة وإعداد متقن ، وتطوير للصواريخ ، أليس كذلك ؟ هكذا المسلمون ، العالم كله فوجئ ، العالم صعق ، هذا هو الإعداد ، إذا ذهبت إلى بلاد الغرب تتعلم برمجيات ، تعلمت معلومات دقيقة جداً ، وعدت إلى بلد ، ووضعت هذا العلم في خدمة أمتك ، وكنت محصناً بزوجة ، وأولادك صغار ، عدت قبل أن يتأثروا بالغرب فلا مانع ، بنية أن تقوي أمتك ، فأنا أتمنى أن هذه الحضارة لا تقابل إلا بحضارة ، هذه الأسلحة القوية لا تقابل بيا رب دمرهم ، لا يكفي الدعاء من دون عمل ، ما له قيمة ، الله عز وجل قال :

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ)

[سورة الأنفال : 60]

والذي أعد لهم حققوا نتائج ، نتائج مذهلة حققوها ، والله يعينهم ، الله هو المعين ، وأنا الآن أريد أن أضع الخطة أمامكم .

إخواننا الكرام ، الخطة أن نتوب إلى الله ، وأن نصطلح معه ، وعندئذ يمكن أن نعد لأعدائنا بأساليب قوته تماماً ، وأسأل الله لي ولكم التوفيق .

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية – موضوعات مختلفة في التربية - دروس حوارية - الدرس (24-28) : الدروس و العبر من الإسراء و المعراج

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 20-08-2006

بسم الله الرحمن الرحيم

العبرة في المناسبات الدينية بدروسها وعبرها :

أيها الإخوة الكرام ، المناسبات الدينية كالهجرة والإسراء والمعراج ، وما إلى ذلك هي مناسبات من حيث الوقائع معروفة عند جميع المسلمين ، ولكننا في أمسّ الحاجة إلى الدروس والعبر التي يمكن أن تستنبط من هذه المناسبات ، وما أحوج المسلمين في هذه الأيام إلى درس الإسراء والمعراج .

لماذا المسلمون على هذا الوضع المزري ؟

أيها الإخوة ، هناك تساؤل كبير : لماذا المسلمون هكذا ؟ لماذا هم يعتدى عليهم ؟ تسلب أراضيهم ؟ يقتل أبناءهم ؟ يتفنن أعداؤهم في إفقارهم ، وفي إضلالهم ، وفي إفسادهم ، وفي إذلالهم ، وفي إبادتهم ؟ لماذا المسلم لا قيمة له إطلاقاً في الأرض ؟ يقتل الآلاف ، ولا أحد يعترض ، ولا أحد ينطق بكلمة ، ولا أحد يستنكر ، ولا أحد يشجب ، بينما إنسان واحد من جنس آخر إذا أسر تقوم الدنيا ولا تقعد ، أليس هذا سؤال كبير جداً ؟

الإسراء والمعراج يجيب عن هذا الوضع إجمالا وتفصيلا :

الإسراء والمعراج يعطينا الجواب ، الجواب بشكل مختصر أو بشكل تفصيلي ، بشكل مختصر : كل محنة وراءها منحة ، وكل شِدة وراءها شَدة إلى الله ، الذي يعالجه الله في الدنيا ، والذي يشدد عليه ، والذي يضيق عليه ، والذي يمتحنه علامة إيجابية طيبة ، أنه ينطوي على خير ، لكنه مقصر ، إذا أحب الله عبده ابتلاه ، إذا أحب الله عبده عجل له بالعقوبة .

خروج النبي عليه الصلاة والسلام إلى الطائف ومقابلة أهلها له بالأذى :

أما التفصيل ، فهذا النبي عليه الصلاة والسلام الذي هو سيد الخلق ، وحبيب الحق ، ينطوي على كمال، على كمال من الصعب أن ندرك مستواه ، لكن هذا النبي عليه الصلاة والسلام مع أنه رسول ،

ونبي ، وسيد الخلق ، وحبيب الحق ، ذهب إلى الطائف مشياً على قدميه ، والطائف تبعد عن مكة ثمانين كيلو متراً ، مشاها مشياً ، وهو يعلق آمالاً على أهل الطائف لعلهم يؤمنون ، لعلهم يهتدون ، لعلهم ينصرونه ، فكان الجواب غير متوقع ، كذبوه ، وسخروا منه ، وتفننوا بإيذائه ، بل أغروا صبيانهم بضربه .

تصور الإنسان الأول في الأرض ، ينطوي على كمال يصعب أن نتصوره ، جاءه جبريل ، أعطاه خيار الانتقام ، قال له : يا محمد ، أمرني ربي أن أكون طوع إرادتك ، لو شئت لأطبقت عليهم الجبلين، قال : لا يا أخي اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون ، لعل الله يخرج من أصلابهم من يوحده . قال :

((اللهم اهدِ قومي))

[السيرة النبوية]

ما تخلى عنهم ، ودعا لهم ، واعتذر عنهم ، ورجا الله أن يجعل ذريتهم صالحة ، ما هذا الكمال ؟ أيها الإخوة ، للتقريب ، يمكن لإنسان يكون عنده زوجة ملء سمعه وبصره ، ويمحضها من العبارات، من عبارات الحب والثناء والتقدير ما لا يوصف ، لكنها إذا أصيبت بمرض عضال ، يحتمل ، ويحتمل، ثم يتأفف ، ثم يقول كلاماً ، قد تسمعه : الله يخفف عنك ، ونرتاح ، فكل كلامه المعسول السابق لا قيمة له ، عند الامتحان سقط ، لذلك البطولة أن تكون في أعلى درجات القرب ، وأعلى درجات الرضا ، وأنت في محنة ، هو رسول ، ونبي ، وسيد ولد آدم ، قال :

((اللهم اهدِ قومي ، فإنهم لا يعلمون))

لعل الله يخرج من أصلابهم من يوحده .

لجوء النبي عليه الصلاة والسلام إلى ربه بعد محنة الطائف :

ماذا قال في الطائف ؟ صدقوا أنه ما من دعاء ينطبق على المسلمين اليوم كهذا الدعاء ،

((اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا رب المستضعفين ،))

والله الأمة الإسلامية بأكملها ، المليار وخمسمئة مليون مسلم ، بدءاً من قاعدتها إلى قممها ، لا وزن لها في الأرض ، بأي شيء لا يعبأ بها ، ولا باحتجاجها ، ولا بغضبها ، ولا بتنديدها ، كأنها غير موجودة ، مع أن الثروات عندها ، والموقع الاستراتيجي عندها ، وبيدها خيارات لا تعد ولا تحصى ، ولكن فتتوها ، وجزئوها ، وجعلوها مشرذمة ، هذا الذي حصل .

((اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، يا رب المستضعفين ، وأنت ربي ، إلى من تكلني؟ إلى صديق يتجهمني ، أم إلى عدو ملكته أمري ؟ اللهم إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ، ولك العتبى حتى ترضى ، لكن عافيتك أوسع لي))

هناك رب في كلام دقيق جداً في الدعاء ، يا رب ، إذا كانت هذه الشدة تعني أنك لست راضيا عني فأنا أعتذر ، وأتوب ، وأستغفر ، أما إن كنت راضياً عني فلا بأس ، ولك العتبى حتى ترضى ، لكن عافيتك أوسع لي ، بل إن الأدب أن تقول : لكن عافيتك أوسع لي .

الإنسان أحيانا برعونة يقول لك : يدمروننا ، أنت هل تعلم ما هو التدمير ؟ عندك غرفة ضيوف ، وغرفة جلوس ، وغرفة نوم ، ومطبخ ، وحمام ، وعندك مركبة صغيرة ، وعندك دخل معقول ، أن تجد نفسك لاجئاً بمدرسة ، تنام على فراش مع ثلاثين شخصاً في الغرفة ، أنت تعرف قيمة أن يكون الأمر مستقرا ، هذه نعمة كبيرة جداً ، الله تفضل بها علينا ، فاشكروا هذه النعمة .

فائدة مستنبطة من دعاء النبي في الطائف :

الحقيقة أن النبي الكريم علمنا بهذا الدعاء : إياك أن تطلب المصيبة ، لكن عافيتك أوسع لي يا رب ، أما الذي يقول : ليفعلوا ، نحن نصبر ، هذا كلام فيه رعونة ، لكن عافيتك أوسع لي ، هذا الذي حصل تلقى هذه الشدة بالصبر ، تلقى هذه الشدة بالرضا ، تلقى هذه الشدة بأنه استغفر الله عز وجل ،

((اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا رب المستضعفين ، وأنت ربي ، إلى من تكلني ؟ إلى صديق يتجهمني ، أم إلى عدو ملكته أمري ؟ اللهم إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ، ولك العتبى حتى ترضى ، لكن عافيتك أوسع لي))

إذا كان هناك خط بياني لدعوة النبي عليه الصلاة والسلام ، دعوته وصلت في الطائف إلى النهاية الصغرى ، أهل مكة كذبوه ، وأخرجوه ، التجأ إلى الطائف ، فكان هذا ردهم ، ليس له أحد ، الآن سوف يرجع إلى مكة ، يقول له سيدنا زيد : يا رسول الله ، كيف ترجع إلى مكة وقد أخرجتك ؟ مالك بمكة أحد ؟

أنا أقول : ثقة النبي الكريم بربه تفوق حد الخيال ، قال له : إن الله ناصر نبيه ، الآن الدعوة الإسلامية وصلت إلى النهاية الصغرى ، إلى أقل مستوى ممكن ، ومع ذلك قال له : إن الله ناصر نبيه ، محنة ما بعدها محنة ، شدة ما بعدها شدة ، ما الذي كان بعد ذلك ؟ كان الإسراء والمعراج .

ملمح لطيف من آية الإسراء :

في آية الإسراء والمعراج ملمح قد لا ينتبه إليه معظم الناس ، الآية تقول :

(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آَيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)

[سورة الإسراء : 1]

السميع البصير ، يعني يا محمد سمعنا دعاءك ، ورأينا صبرك ، ورأينا محبتك للبشر ، هؤلاء الذين تفننوا بالإساءة إليك كذبوك ، وسخروا منك ، وضربوك ، وأعطيتك الخيار في أن تهلكهم ، فقلت : لا يا رب ، اللهم اهدِ قومي ، فإنهم لا يعلمون ، لذلك جاءت المنحة .

أنت كمسلم ، كمؤمن ، على مستوى فردي ، كواحد ، وعلى مستوى جماعي ، كمجموع ، نحن نعاني محناً لا تعد ولا تحصى ، لكن إذا كنا مؤمنين صادقين يجب أن نعتقد اعتقاداً جازماً أن هذه المحن هي تنتهي إن شاء الله إلى عطاءات ، إنه هو السميع البصير .

لما قال لك جبريل : لو شئت لأطبقت عليهم الأخشبين قلت له : لا يا أخي ، اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون ، لعل الله يخرج من أصلابهم من يوحده ، الرد الإلهي أنك سيد الأنبياء والمرسلين ، الرد الإلهي أنك سيد ولد آدم ، الرد الإلهي أنك وصلت إلى سدرة المنتهى ، ولم يصل إليها مخلوق في الكون، قال تعالى :

(أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآَهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى)

[سورة النجم]

ثمة تكريم الله عز وجل للمؤمن إذا ساق له شدة وصبر ، الله عز وجل قال عن سيدنا إبراهيم :

(وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)

[سورة البقرة : 124]

لكن لا بد من تحفظ ، لأن الدين النصيحة إذا هناك معصية ، أو تقصير بأداء الحقوق ، أو تجاوز ، أو ظلم ، وجاء العقاب ، هذا الموضوع ليس له علاقة بهذا الدرس ، هذا عقاب ، هذا ليس محنة وراءها منحة ، هذا ليس شدة وراءها شدة إلى الله ، هذا موضوع ثان ، هذا عقاب إنسان ماله حرام فدمر الله له ماله ، إنسان مستعلٍ مستكبر متغطرس فأذله الله ، أنا أتحدث عن إنسان مؤمن مستقيم ، عن إنسان لبى طاعة الله عز وجل ، وساق الله له الشدائد والمحن .

لأن هناك سؤال كبير جداً : أعداء الدين المتفلتون من منهج الله يقولون : العالم الإسلامي مبتلى بالمصائب ، فوق كل مصائبه ، وفوق كل همومه ، وفوق كل أحزانه عنده زلزال تسونامي ، معظم البلاد إسلامية ، لأن أعداء الدين يتفننون في اللوم للقدرة الإلهية ، كيف تسوق شدائد للمسلمين ؟ أما هؤلاء فآمنون في بلدهم ، غارقون في النعيم ، غارقون في المتع ، ينشأ عنده مشكلة ، أتمنى عليكم ألا

تتعرفوا إلى الله من خلال أفعاله ، لأن أفعاله لا يمكن أن تفهم حكمتها إلا إذا كان لك علم كعلم الله .
نحن في محنة ، نحن في شدة نحن ، في العناية المشددة ، أكيد ، نحن فينا خير ، نحن بالضبط مثل إنسان معه التهاب معدة حاد ، فالطبيب شدد عليه بأنواع الطعام تشديدا غير معقول ، أعطاه لونين من الطعام ، الحليب والتفاح فقط ، وأي شيء آخر هدده بإجراء عملية لمعدته ، أما الذي معه ورم خبيث منتشر بكل أنحاء جسمه لو سأل الطبيب : ماذا آكل ؟ يقول له : كل ما شئت ، هذا معنى قوله تعالى :

(فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ)

[سورة الأنعام : 44]

فَلَمّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ :

دققوا في هذه الآية ، آية فيها إعجاز ، فتحنا عليهم ، ما قال : باب ، قال أبواب ، ما قال : أبواب شيء، أبواب كل شيء ، قوة ، على بلاد جميلة ، على غنى ، على غطرسة ، على انغماس في كل الانحرافات.

(فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً)

[سورة الأنعام : 44]

المنحرف والكافر نهايته ضربة ساطور واحدة ، قال تعالى :

(إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ)

[سورة يس : 29]

ضربة واحدة ، أما المؤمن فيعالج ، ويؤدب ، تساق له الشدائد ، هذا الكلام للمؤمن المستقيم ، لا لأحد يكون واقعا بمشكلات ، بمال حرام ، بعدوان على أعراض الناس ، الله يعاقبه أشد العقاب ، يقول : هذه محنة وراءها منحة إن شاء الله ، هذا موضوع ثان ، هذا الموضوع ليس له علاقة بدرسنا إطلاقاً ، أنا أخاطب مؤمنا مستقيما يعاني من مشكلات كثيرة جداً ، أبشره أن هذه المحن التي أنت فيها وراءها منح من الله عز وجل له ، لأن الله عز وجل له حكمة بالغة ، وحكمته البالغة لا بد من أن تُكشف ، ولكن بعد حين ما الذي يكون ؟ يكون الصبر .
تصور الله أعطاك حالة صعبة أن تقع ، أن ابن نبي سيدنا إبراهيم ابنه نبي قال له : اذبحه ، لشدة معرفته بالله ولثقته به قال :

(يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ* قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ)

[سورة الصافات]

هناك أشياء قد لا تفهم في حينها ، لكن بعد حين تفهم ، والله الذي لا إله إلا هو مرّ المسلمون في هذين العقدين الأخيرين بمحن كبيرة جداً ، هذه المحن جعلت العالم كله يتهجم عليهم ، وجعلت العالم كله يزدري ما هم عليه ، فلعل هناك حكمة نكشفها بعد حين ، لكنها تتوضح أحياناً .

الإسراء والمعراج لمَن كان مؤمنا مستقيما :

إذاً أيها الإخوة ، الإسراء والمعراج لمن كان مؤمناً صادقاً مستقيماً ، ويعاني ما يعاني ، نقول له : كيف أن النبي عليه الصلاة والسلام ساق الله له من الشدائد ما لا يحتمل ، وساق له من التكذيب والسخرية والإيذاء حتى بالضرب ما لا يحتمل ، وقال الله عز وجل :

(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)

[سورة الإسراء : 1]

يعني سمع دعاءك في الطائف ، ورأى حرصك على سلامة قومك ، وعلى هدايتهم ، وعلى صبرك على أذاهم ، فكانت المنحة أنك سيد الأنبياء والمرسلين ، وأنك سيد ولد آدم ، وأنك بلغت سدرة المنتهى، هذا المقام :

(فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى)

[سورة النجم : 10]

العبودية أعلى مقام للبشر :

أيها الإخوة ، أعلى مرتبة ينالها الإنسان من دون استثناء أن يكون عبداً لله :

(فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى)

[سورة النجم : 10]

إذا كنت عبداً لله فأنت في القمة ، ولا ينبغي لمؤمن أن يكون لغير الله ، ولا ينبغي لمؤمن بالتعبير المصرفي أن يجير لغير الله .

أنا لا أنسى كلمة قالها عالم جليل توفاه الله ، أجرى عملية جراحية في بريطانيا ، وجاءت الهواتف بعشرات الألوف ، فأجروا معه حوارا بالإذاعة هناك في بريطانيا ، سألوه : ما هذه المكانة التي حباك الله بها ؟ فقال : لأنني محسوب على الله .

ينبغي أن تكون محسوباً على الله ، ولا ينبغي أن تكون محسوباً على جهة أرضية ، إذاً أنت تحتقر نفسك لمجرد أن تحسب على جهة أرضية ، أنت أكبر من أن تكون تابعاً لجهة أرضية ، أنت لله ، خلقت

لك السماوات والأرض ، ولم أعي بخلقهن ، أفيعييني رغيف أسوقه لك كل حين ؟ وعزتي وجلالي ، وعزتي وجلالي إن لم ترض بما قسمته لك فلأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش في البرية، ثم لا ينالك منها إلا ما قسمته لك ، ولا أبالي ، وكنت عندي مذموماً .

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية – موضوعات مختلفة في التربية - دروس حوارية - الدرس (25-28) : الموت وعذاب القبر
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 25-08-2006

بسم الله الرحمن الرحيم

الموت : إنه انتقال خطير رأسا على عقب فأعدُّو له عُدَّته !!!

أيها الإخوة ، في هذا الدرس أريد أن يكون واضحاً عندكم موضوع " الموت " ، ذلك أنه ما من حدث مستقبلي أخطر من مغادرة الدنيا ، فيما يبدو أن من كل شيء إلى لا شيء على الشبكية ، أما المؤمن فمن متاعب إلى الراحة الأبدية ، من القلق إلى الطمأنينة ، من الشقاء إلى السعادة .
على كلٍ ينتقل الإنسان من ضياء المهود إلى ظلمة اللحود ، حينما يأتي المهد ، وكل الوسائل ، وكل الترفيه لهذا المولود ، فينتقل الإنسان في الموت من ضياء المهود إلى ظلمة اللحود ، ومن ملاعبة الأهل والولدان إلى مقاساة الهوام والديدان ، ومن التنعُّم بالطعام والشراب إلى التمرغ في الثرى والتراب ، ومن أنس العشرة إلى وحشة الوحدة ، ومن المضجع الوثير إلى المصرع الوبيل .

أين هم الآن ؟!!

أخذهم الموت على غرة ، وسكنوا القبور بعد حياة الترف واللذة ، وتساووا جميعاً بعد موتهم في تلك الحفرة ، لذلك :

أتيت القبور فســـاءلتها ... أين الـــمعظم والمحتقر

هناك عظماء في الأرض ، وأناس في الدرجة الدنيا الاجتماعية .

و أيـــن المذل بسلطانه ... وأين الـقوي على ما قدر
تــفـانوا جميعاً فما مـخبر ... ومـاتوا جميعاً ومات الخبر
فـيا سائلي عن أناس مضوا ... أما لك في ما مضى معتبر
تـروح وتـغدو بنـات الثرى ... فتمحو محاسن تلك الـصور

***

أيها الإخوة ، مرة قرأت كتابا اسمه قصص العرب ، من أربعة أجزاء ممتع جداً ، بعد أن انتهيت من قراءته لمعت أمامي فكرة ، أن الأقوياء ماتوا ، وأن الضعفاء ماتوا ، الأغنياء ماتوا ، والفقراء ماتوا ، الأصحاء ماتوا ، والمرضى ماتوا ، الأذكياء ماتوا ، والأغبياء ماتوا والإنسان بعد حين يمحى أثره .

(هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً)

(سورة الإنسان)

وسيأتي عليه حين من الدهر ليس شيء مذكورا إلا من رحم الله عز وجل .

القبر أول منازل السائرين إلى الآخرة :

عن هانئ مولا عثمان قال : كان عثمان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى تُبل لحيته ، فقيل له : تذكر الجنة والنار فلا تبكي ، وتبكي من هذا ؟ فقال سيدنا عثمان : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

((القبر أول منازل الآخرة))

[أخرجه الترمذي وابن ماجة والحاكم ، عن عثمان بن عفان]

حينما ترى جنازة فهذا أول مرحلة من مراحل الآخرة ، تمشي في الجنازة فيفتح القبر ، ويفتح النعش ، وتحمل الجثة ، وتوضع في القبر ، يكشف عن وجهه ، توضع الرخامة ، ويُهال عليه التراب ، وانتهى الأمر ، هذا الميت دخل أول منازل الآخرة .

((فإن نجا منه فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه))

[أخرجه الترمذي وابن ماجة والحاكم ، عن عثمان بن عفان]

لذلك :

((وعزتي وجلالي ـ كما ورد في الأثر القدسي ـ لا أقبض عبدي المؤمن وأنا أحب أن أرحمه ، إلا ابتليته بكل سيئة كان عملها سقماً في جسده ، أو إقتاراً في رزقه ، أو مصيبة في ماله أو ولده ، حتى أبلغ منه مثل الذر ، فإذا بقي عليه شيء شددت عليه سكرات الموت حتى يلقاني كيوم ولدته أمه))

[ورد في الأثر]

إذا أمكن أن يذوق المؤمن ألواناً من متاعب الحياة الدنيا ، ثم ينتهي به المطاف إلى أن يصل إلى القبر طاهراً مطهراً فهو في أعلى درجات النجاح .

ما رأيت منظرا إلا والقبر أفظع منه ، فأكثروا ذكر هادم اللذات :

يقول عليه الصلاة والسلام :

((ما رأيت منظرا إلا والقبر أفظع منه))

[أخرجه الترمذي وابن ماجة والحاكم عن أبي هريرة]

والله أيها الإخوة ، كما وجه النبي عليه الصلاة والسلام حينما قال الإنسان فقال :

((أكثروا ذكر هادم اللذات))

[رواه الديلمي عن أنس]

لو يُتاح الإنسان أن يمشي في جنازة ، ولو يكن من أهل المتوفى لكان أفضل له ، لاحظ حينما يفتح النعش ، وتُحمل الجثة ، ويوضع في القبر ، أين كان ؟ كان في بيت من مئة متر مساحته ، وفي بيت ثمنه 80 مليونا ، هو اختار الرخام ، أتى به شحنا جويا من إيطالية ، اختار الجبصين ، اختار الأثاث ، اختار اللوحات الزيتية ، أتى بالأجهزة كلها ، أين صاحب هذا البيت ؟ في قبر يقول النبي الكريم :

((ما رأيت منظرا إلا والقبر أفظع منه))

لذلك كان بعض الصالحين حفر قبر في صحن داره ، وكان يضجع فيه كل خميس ، ويتلو قوله تعالى :

(رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً)

(سورة المؤمنون)

يخاطب نفسه ويقول لها : قومي لقد أرجعناك ، تفضل واعمل .

وفي حديث جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

((لا تمنوا الموت ، فإن هول المطلع شديد))

[أحمد]

الإمام الحسن البصري شيع جنازة فجلس على شفير القبر ، فقال : " إن أمراً هذا آخره لحقيق أن يزهد في أوله " .

الموت مصيبة :

إخواننا الكرام ، أحيانا يكون خطُّ بيان الفقير صاعدا صعودا بطيئا ، الفقير المؤمن خطه البياني صاعد، لكنه صعود بطيء ، والموت نقطة على هذا الخط ، والصعود مستمر ، بعض أهل الدنيا خطهم البياني صاعد صعوداً حاداً ، لكن السقوط من هذا المكان إلى القبر مريع خطٌّ لذلك الله عز وجل سمّى الموت مصيبة فقال :

(مُصِيبَةُ الْمَوْتِ)

(سورة المائدة الآية : 106)

من بيت 400 م إلى قبر ، من بيت مكيف إلى قبر ، من بيت مدفأ إلى قبر ، من بيت فيه كل ألوان الأثاث إلى قبر .

سيدنا عمر بن عبد العزيز كان إذا دخل بيت الحكم قصره إن صح التعبير ، كان شعاره هذه الآية :

(أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (205) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (206) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ)

(سورة الشعراء)

يقول لك : عندهم بيوت وسيارات ، لكن لا بد من الموت .

سيدنا عمر بن عبد العزيز يقول : " إذا مررت بهم فنادهم ـ هؤلاء الموتى ـ إن كنت منادياً ، وادعوهم إن كنت داعياً ، ومر بعسكرهم ، وانظر إلى تقارب منازلهم ، سَلْ غنيهم ما بقي من غناه ؟ واسألهم على الألسن التي كانوا يتكلمون بها ، وعن الأعين التي كانت للذات بها ينظرون ، واسألهم عن الجلود الرقيقة ، والوجوه الحسنة ، والأجسام الناعمة ، ما صنع بها الديدان تحت الأكفان ؟ " .

انظرْ كيف تصير في قبرك :

والله مرة حدثني أخ يبدو أن له صديقا حميما ، والقصة قديمة جداً ، إنسان من أكبر أغنياء دمشق ، عنده دائماً أربع زوجات ، وكل واحدة فوق الـ22 سنة يطلقها ، ويأخذ واحدة من سن 18 ، بالأنماط القديمة ، وبيت ، وقصر ، وسيارة ، وخيل ، مثل المرسيدس الآن ، وبستان ، وفواكه ، وثمار ، يأتي بمغنين ، يأتي بمن يلقون الطُّرَف حتى يضحك ، بعدما مات جاءت وشاية أن زوجته سممته ، فتحوا القبر ، أقسم لي بالله ، وقد رأى منظره بعد الموت ، بطنه منفوخ مثل الضرف ، لونه أزرق على أسود، منظر مخيف ، وهذا المنظر كان سبب توبة صديقه إلى الله .

أكلت الألسن ، وغفرت الوجوه ، ومحيت المحاسن ، وكُسرت الفقار ، وبانت الأعضاء ، ومزقت الأشلاء ، فأين حجابهم ؟ وأين قبابهم ؟ وأين خدمهم ؟ وأين عبيدهم ، وأين جمعهم ؟ وأين كنوزهم ؟ أليسوا في منازل الخلوات ؟ أليس الليل والنهار عليهم سواء ؟ أليسوا في مدلهمة ظلماء ، قد حيل بينهم وبين العمل ، وفارقوا الأحبة والمال والأهل .

إن هذه الساعة لا بد منها ، بربكم هل هناك من حدث أكثر واقعية من الموت ؟ وهل يمكن لإنسان ينجو من الموت ؟ أبداً ، بدءاً من الأنبياء ، وانتهاء بأصغر الناس ، الأقوياء ، والأغنياء والأنبياء ، كلهم ماتوا .

والله كان عندي شريط ليس عليه كتابة ، سمعت أوله ، ظهر أنه شريط موضوع بآلة إجابة هاتفية ، استمعت إليه كله ، عددت الميتين فيه ، فإذا هم 12 رجلاً ، والله كلما أعمل مراجعة لدليل هاتف أمحي خمسة إلى ستة أسماء مات أصحابها ، انتهوا .

مرة كنا في حفل ، جلس إلى جانبي أحد علماء دمشق عن يساري ، وعن يميني عالم ثان له شأن ، فعاتب الأول الثاني من خلالي ، أنا جالس في النصف ، قال له : دعيناكم إلى احتفال فما أتى أحد ، قال له : كل الذين دعوتهم ميتون ، ما هذا الأرشيف القديم ، قلنا له : سيدي إذا ما جاء ، وكان ميتا فهل هو معذور عندكم .

لاحظ دليل هاتف ، من حين لآخر تمحو أسماء منه ، كل يوم نرى عدة نعوات ، أنا سألت إنسانا يدفن الموتى ، قال لي : هناك 150 وفاة يومياً في الشام ، لكن في يوم لا بد من أن يقرأ الناس نعوتنا .

فيا ساكن القبر غداً   ما الذي غرك من الدنيا

أين دارك الـفيحاء   أيــن ثمارك اليانعة

أيــن رقاق ثيابك   أن طيبك وبـــخورك

أين كسوتك لصيفك   ولشتائك لــيت شعري

بأي خديك بدأ البلى

***

حال الشهداء والصالحين بعد الموت :

والله سمعت عن إمام جامع الشيخ محي الدين ، وكان من حُفاظ كتاب الله ، وكان صالحاً جداً ، أنهم فتحوا قبره بعد أربعين سنة ، أقسم بالله وهو عندي صادق أنه لا يزال مبتسماً ، وخده كما هو ، هناك فرق كبير بين المؤمن وغير المؤمن .

هناك دبابات بحرب الجولان بقيت فترة طويلة جداً ، ومضروبة طبعاً ، بعدما استرجعنا بعض الأراضي وجدوا دبابة فيها أربعة أشخاص ، أربع هياكل عظمية ، وأحدهم قاعد على مقعد كما هو ، لم يحدث له أي طارئ ، الشهيد له ميزة ، لأنه قاتل لتكون كلمة الله هي العليا .

في حرب الخليج قالوا : إن هنا ميتين ، هكذا قالوا ، تقدموا من واحد أصله سوري ، أقسم بالله أن الحرارة خمسين ، والجثة موجودة بمكان عام من خمسة أيام ، كأنه ميت الآن ، فإذا مات إنسان على نية الشهادة فله معاملة خاصة .

هكذا يجب أن تكون مع الموت لأن الأمر عظيم :

يا مجاور الهلكات ، صرت في محلة الموت ، ليت شعري ما الذي يلقاني به ملك الموت عند خروجي من الدنيا ، وما يأتيني به من رسالة ربي .

عن وهب بن الورد قال : بلغنا أن رجلاً فقيهاً دخل على عمر بن عبد العزيز فقال : سبحان الله ! فقال له عمر : وتبينت ذلك فعلاً ؟ فقال له : الأمر أعظم من ذلك ، فقال له عمر : يا فلان ، فكيف لو رأيتني بعد ثلاث ؟ وقد أدخلت قبري ، وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين ، وتقلصت الشفتان عن الأسنان ، وانفتاح الفم ، ونتأ البطن فعلى الصدر وخرج الصديد من الدبر ، كيف لو تراني ؟ .

إخواننا الكرام ، ما مِن إنسان على الأرض إلا يدرك عند الموت الحقائق التي جاء بها الأنبياء .

وكان يزيد الرقاشي يقول لنفسه : ويحك يا يزيد ، من ذا يصلي عنك بعد الموت ؟ من ذا يصوم عنك بعد الموت ، من ذا يترضى عنك بعد الموت ، ثم يقول أيها الناس : ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقي حياتكم من الموت وموعده ، وقبره وبيته والثرا وفراشه ، والدود وأنيسه ، وهو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر ، كيف يكون حاله ، ثم بكى من رحمة الله .

قال الإمام الغزالي : " ويحيك يا نفس ـ والله ما رأيت كلاماً أبلغ من هذا ـ ويحك يا نفس لو أن طبيباً منعك من أكلة تحبينها ، لا شك أنك تمتنعين ، أيكون الطبيب أصدق عندك من الله ؟ " .

قال لك طبيب : هذه الأكلات تضر قلبك ، أوقفها ، توقفها نهائياً ، تكون في دعوة ، والأكل في أعلى درجة فلا تأكل ، ونفسك تتوق .

" لو أن طبيبا منعك من أكلة تحبينها لا شك أنك تمتنعين ، أيكون الطبيب أصدق عندك من الله ؟ إذاً ما أكفرك ، أيكون وعيد الطبيب أشد عندك من وعيد الله إذاً ما أجهلك " .

يقول بعض العلماء : ينبغي لمن دخل المقابر أن يتخيل أنه ميت ، هناك خواطر لا تضنوا بها على أنفسكم ، يا ترى أنا إذا مت أين يغسلونني ؟ في الحمام ؟ في المطبخ ؟ في الصالون ؟ يا ترى أموت ليلاً أم نهاراً أم مسافرا .

مرة كنت مسافرا إلى المغرب ، في تونس طبعاً في الانتظار نصف ساعة في الطائرة ، فتح مكان البضائع فظهر نعش ، هذا ذهب مسافرا مع بطاقة طائرة ورجع مع البضاعة ، ويخلّص في الجمرك أيضاً ، يعامل كبضاعة تماماً ، مع شهادة ، مع وزن ، مع كل شيء ، قد يسافر الإنسان فيا ترى أيرجع راكبا أم يرجع في النعش ؟ لا يعرف أحد .

ينبغي لمن دخل المقابر أن يتخيل أنه ميت ، وأنه قد لحق بهم ، ودخل معسكرهم ، وأنه محتاج إلى ما هو إليهم محتاجون ، وراغب فيما فيه يرغبون .

النبي الكريم مر بقبر كان حوله أصحابه ، قال صاحب هذا القبر :

((ركعتان خفيفتان مما تحقرون وتنفلون))

[رواه ابن المبارك عن أبي هريرة]

ويقول عليه الصلاة والسلام :

((صاحب هذا القبر إلى ركعتين مما تحقرون من تنفلكم خير له من كل دنياكم))

[ورد في الأثر]

وحشة بعد أنسٍ :

كان يسكن بيتا ثمنه 80 مليونا ، وعنده مركبة ثمنها 24 مليونا ، وله يخت في البحر ، وطائرة خاصة، ومزارع فخمة جداً ، قال عليه الصلاة والسلام :

((صاحب هذا القبر إلى ركعتين مما تحقرون من تنفلكم خير له من كل دنياكم))

قال العلماء : فليأتِ إليهم ما يحب أن يؤتى إليه ، وليتحفهم بما يحب أن يتحف به ، ويتفكر في تغير ألوانهم ، وتقطع أبدانهم ، وليتفكر في أحوالهم ، وكيف صاروا بعد الأنس بهم ، والتسلي بحديثهم . تجد الشخص محبوبا أينما جلس يرحبون به ويحترمونه ، ويضعونه في صدر المجلس ، ويصغون إليه، فإذا مات خافوا أن يدخلوا إلى غرفته .

أحيانا أهل البيت تظل الغرفة التي مات فيها أبوهم مهجورة شهرين أو ثلاثة ، يخافون ، هنا كان ملقًى مسجًّى ، وكان إذا دخل الأب كان مصدر أنس ، ومحبة ، وعند الموت صار مخيفا ، حتى إنهم لا يبقون شيئًا من ملابسه حتى يتذكروه ، ويوزعونها ، لا يبقوا حاجة يتذكرونه بها .

كيف صاروا بعد الأنس بهم ، والتسلي بحديثهم إلى النفار من رؤيتهم ، والوحشة من مشاهدتهم ، وليتفكر أيضاً في انشقاق الأرض وبعثرة القبور ، وخروج الموتى وقيامهم مرة واحدة ، حفاةً عراةً غرلا . يقول سيدنا رسول الله :

((يحشر الناس يوم القيامة حفاةً ، عراةً ، غرلاً))

[مُتَّفَقٌ عَلَيْه]

يعني غير مطهرين .

السيدة عائشة تصورت أن هؤلاء الناس كلهم عراة ، رجالا ونساء ، قالت : يا رسول الله ، أينظر بعضنا إلى بعض ؟ قال : يا أم المؤمنين ، الأمر أفظع مما يعنيهم ذلك .

حتى أوضحها لكم : لو أن واحدا ساقوه للشنق ، هو في السيارة لها نافذة صغيرة ، رأى امرأة ثيابها فاضحة فهل ينظر لها ؟ انتهى .

الأمر أفظع من أن يعنيهم ذلك ، قد تقع عين الأم على ابنها ، تقول الأم لابنها : يا بني ، جعلت لك صدري سقاء ، وبطني وعاء ، وحضني وطاء ، فهل من حسنة يعود عليّ خيرها ؟ يقول لها ابنها : يا أمي ، ليتني أستطيع ذلك إنما أشكو مما أنت منه تشكين ، لذلك قال تعالى :

(فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ)

(سورة المؤمنون)

لي قريب بمصر لما حدث زلزال القاهرة ، زوجته من شدة الفزع والخوف حملت ابنها ، وخرجت للطريق ، في الطريق نظرت إلى ابنها ، ابنها رضيع ، فإذا في يديها حذاء زوجها عوض ابنها .

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ)

(سورة الحج)

نحن سمعنا أخبار لبنان ، لكن ما عانينا القصف ، والدمار ، وتحت الأنقاض ، والدفن أحياء .

(إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ)

(يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ)

(سورة الحج)

عن محمد بن صُبيح قال : بلغنا أن الرجل إذا وضع في قبره فعذب أصابه ما يكره ناداه جيرانه من الموتى : يا أيها المتخلف في الدنيا بعد إخوانه ، أما كان لذلك فينا معتبر ، أما كان في تقدمنا إليك فكرة؟ أما رأيت انقطاع أعمالنا ، وأنت في المهل ، فهلا استدركت ما فاتك إخوانك ؟.

مُر على مقبرة ، وتأكد ما مِن واحد مات إلا عنده قائمة أعمال ما انتهت ، كل واحد له جدول أعمال ، وما مِن إنسان يموت إلا عنده هموم ما تحققت .

لا تكن مثل هذا :

والله الذي لا إله إلا هو أروي هذه القصة لشدة تأثري بها لأنها وقعت بشكل يقيني :

كنت مدرسا بمدرسة ثانوية ، نشأ ساعة فراغ فجائية ، وبيتي بعيد لا يحتمل أن أذهب إلى البيت لا بد من أن أمضي هذه الساعة في المدرسة ، اخترت أن أمضيها عند مدير المدرسة ، وهو صديقي ، لما دخلت عليه شكا همومه ، وأنه متضايق من هذا البلد ، ويريد أن يسافر ، وقد طلب إعارة للجزائر ، ووافقوا له ، قال لي : أذهب إلى هناك ، وأرتاح قليلاً ، قال لي : المعاش مضاعف ، أريد أن أبقى خمس سنوات ، لا أريد الرجوع في الصيف ، أريد أن أمضي صيفاً في باريس ، وصيف في إسبانية ، وصيفا في إيطالية ، وصيفا في بريطانية ، قال لي : أريد أن أرى البلاد ، وأرى متاحفها ، وأرى

ريفها، حضارتها ، وبعد خمس سنوات أرجع فأقدم استقالتي وآخذ التقاعد ، وأنا أتيت معي بمبلغ بهذا السفر ، افتح محل تحف ، قال لي : هذا لا علاقة له بالتموين ، وأقيم فيه منتدى أدبيا ، هو درس الفلسفة ، قال لي : وأصدقائي يجلسون ، يكبر أولادي ، وأنا أسمع له ، هو متحدث لبق ، وكلامه لطيف ، رسم لي والله فيما أذكر عمل عشرين سنة قادمة ، كبر أولاده ، وزوجهم من هذا المحل ، وقال لي : أنا آتي بعد الظهر ، والله انتهى اللقاء ، وضيفني كأس شاي ، وذهبت للبيت ، وتغديت ، وعندي عمل بمركز المدينة مساء ، قلت : أذهب مشيا إلى البيت من أجل الرياضة ، والله الذي لا إله إلا هو قرأت نعيه في اليوم نفسه ، وفي ذلك اليوم كنت عنده ، لذلك :

الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل

***

سؤالات القبر ومقاماته :

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال :

((إِنَّ الْمَيِّتَ يَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ . فَيُجْلَسُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فِي قَبْرِهِ ، غَيْرَ فزِع ، وَلاَ مَشْعُوفٍ ـ أي غير خائف ـ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : فِيمَ كُنْتَ ؟ فَيَقُولُ : كُنْتُ فِي الإِسْلاَمِ ، فَيُقَالُ لَهُ : مَا هذا الرَّجُلُ ؟ فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَصَدَّقْنَاهُ فَيُقَالُ لَهُ : هَلْ رَأَيْتَ اللهَ ؟ فَيَقُولُ : مَا يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَرَى اللهَ ؛ فَيُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةً قِبَلَ النَّارِ فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضاً ، فَيُقَالُ لَهُ : انْظُرْ إِلَى مَا وَقَاكَ اللهُ ، ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ قِبَلَ الْجَنَّةِ ، فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا ، فَيُقَالُ لَهُ : هذا مَقْعَدُكَ ، وَيُقَالُ لَهُ : عَلَى الْيَقِينِ كُنْتَ . وَعَلَيْهِ مُتَّ وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ ، إِنْ شَاءَ اللهُ))

لذلك المؤمن يرى مقامه في الجنة فيقول من شدة الفرح : ما رأيت شراً قط .

انقلْ اهتمامك إلى الآخرة :

أنا أذكر أنني كنت في تركيا ، فأعطوني قصة قرأتها لعالم كبير في تركيا عاصر كمال أتتورك ، والعالم كان ورعا وصالحا جداً ، ألف كتابًا عن حرمة تقليد الأجانب في لبس البرنيطة ، والكتاب أخذ موافقة على تأليفه ، وموافقة على طبعه ، وعنده موافقة ثالثة على التداول ، قبل ما يؤلف يأخذ موافقة ، أخذ موافقة على التأليف ، وعلى الطبع ، وعلى التداول ، أصدر كمال أتاتورك قرارا بمنع اللباس الإسلامي كلياً ، حتى رجال الدين ، الجبة واللفة في الجامع ، أما في الطريق فممنوع ، وجدوا كتابا يحرم تقليد الأجانب ، أخذوا صاحبه ووضعوه في السجن ، هو بريء ، لأن هذا القرار لاحق ، وفي

الدساتير كلها في العالم القوانين لا تطبق بمفعول رجعي ، فكتب مذكرة ، يقول جاره في السجن : كتب ثمانين صفحة ، أنا آخذ موافقات ، أنا ما عندي علم ، القرار لاحق ، والحقيقة أنه مظلوم ظلما شديدا ، يقول جاره في السجن : في يوم من الأيام استيقظ في حالة من الفرح لا تصدق ، يكاد يرقص من الفرح، ومسك هذه المذكرة ، ومزقها ، لماذا فعلت ، هذا اشتغلت فيه عشرين يوما ؟ قال له : انتهى ، رأيت رسول الله ، قال لي : أنت ضيفنا غداً ، ثاني يوم شنقوه ، على الشبكية شُنِق ، لكن هو أين ؟ حسب ما رأى هو عند رسول الله .

لما تنقل اهتماماتك للآخرة لم يعد الموت مخيف جداً .

سيدنا سعد بن الربيع تفقده النبي في معركة ، بعث من يسأل عنه ، فإذا هو بين الموتى ، لكن لم يمت بعد ، قال له : يا سعد ، لقد بعثني إليك النبي عليه الصلاة والسلام لأرى هل أنت مع الموتى أم مع الأحياء ؟ قال له : مع الموتى ، ولكن أبلغ رسول الله مني السلام أن جزاه الله خير ما جزى نبي عن أمته ، وبلغ أصحابه أنه لا عذر لكم إذا خُلص إلى نبيكم ، وفيكم عين تطرف .

الموت تحفة المؤمن :

إخواننا الكرام ، قرأت تقريباً 70 ـ 80 ـ سيرة للصحابة الكرام ، ودرّستها ، فوجدت فيها قاسما مشتركا واحدا ، أنه ما من صحابي إلا كان في أعلى درجات سعادته عند الموت ، كل هذا التعب لهذه الساعة ، الموت ليس مصيبة ، الموت كما قال عليه الصلاة والسلام للمؤمن :

((تحفة المؤمن الموت))

[أخرجه الطبراني ، وأبو نعيم ، والحاكم ، والبيهقي ، عن ابن عمر]

الموت عرس المؤمن ، أحيانا نفسُ الإنسان تتعبه ، تتشبث بالمخالفة ، بالتقصير ، لا أريد حضور درس ، كفانا دروسا ، مللنا ، اجلس لنرى أفلاما ، مثلاً ، لما تحرن نفسك كثير تضايقك عليك بالموت ، فهو أكبر رادع .

فلذلك كلما شعر الإنسان بأن نفسه بدأت تدعوه إلى تقصير ، أو إلى مخالفة قال :

((أكثروا ذكر هادم اللذات ، فإنكم لا تذكرونه في كثير إلا قلله ، ولا قليل إلا كثره))

[رواه الطبراني عن ابن عمر]

إذا كان وضع نفسه بالقبر يقول :

(رَبِّ ارْجِعُونِي لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ)

فيجيب نفسه : قد رجعت يا ربيع ، فيرى فيه ذلك أياماً ، أن يرى فيه العبادة والاجتهاد ، وما من ميت إلا وترفرف روحه فوق النعش ، تقول : يا أهلي يا ولدي ، لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي ، جمعت المال مما حل وحرم ، فأنفته في حله وفي غير حله ، فالهناء لكم والتبعة علي .

طُلب من رجلٍ قرضا ، 300 ألف ليرة ، القصة قديمة ، فطالبُ القرض أعطاه رهنا مزرعة فخمة ، فيها بيت ، ومسبح ، وحديقة ، وأشجار مثمرة ، فطوّبها له ، وأخذ 300 ألف منه ، بعد 6 ـ 7 ـ سنوات أمّن المبلغ ، قال له القرض : كل واحد أخذ حقه ، المزرعة ثمنها مليونان ، فتألم ألما لا حدود له ، وانتهى ألمه بالموت ، قبل أن يموت حدث معه احتشاء قلب ، فجاء بابنه الكبير ، وكتب رسالة لهذا الذي اغتصب منه المزرعة ، هو أخذها رهنا ، فلما راقت له رفض أن يرجعها لصاحبها ، وبيته في المهاجرين ، وهذا الذي اغتصب المزرعة بيته جانب باب توما ، قال لابنه : تمشي الجنازة من المهاجرين إلى باب توما ، و الدفن في المهاجرين ، تمر أمام محل الذي اغتصب المزرعة ، توقف الجنازة ، وتدخل فتعطيه هذه الرسالة ، كتب له رسالة ، فماذا في الرسالة ؟ قال له : " أنا ذاهب إلى دار الحق ، فإن كنت بطلاً لا تلحقني ، وسأقاضيك هناك يوم القيامة " ، يروى أنه أرجع المزرعة ، الدنيا فيها حلول ، عند الموت انتهى كل شيء .

اسمعْ يا عبدَ الله : إنك ترى في قبرك مقعدك من الجنة أو النار :

وعن أنس رضي الله عنه ، قال : قال نبي الله صلى الله عليه وسلم :

((إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه ، حتى إنه يسمع قرع نعالهم ، أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ لمحمد ، فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله . فيقال : انظر إلى مقعدك من النار ، قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة ، فقال عليه الصلاة والسلام : فيراهما جميعا))

يرى مكانه في النار لو لم يكن مؤمناً ، ويرى مكانه في الجنة .

((وأما الكافر أو المنافق فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدري ، كنت أقول ما يقول الناس . فيقال له : لا دريت ولا تليت . ثم يضرب بمطراق من حديد ضربة بين أذنيه ، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه))

الموت يناديك كل يوم حتى تجيبه يوما :

سيدنا علي ابن أبي طالب رضي الله عنه يقول في إحدى خطبه : << يا عباد الله ، الموتَ الموت ـ يعني احذروا الموت ، مفعول به منصوب على التحذير ، الموتَ الموت ، ليس منه فوت ، إن أقمتم له أخذكم ، وإن فررتم منه أدرككم ، الموت معقود بنواصيكم ، فالنجاة النجاة ، إن وراءكم طالباً حسيساً ، وهو القبر ، ألا وإن القبر روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النيران ، ألا وأنه يتكلم في كل يوم ثلاث مرات ، فيقول : أنا بيت الظلمة ، أنا بيت الوحشة ، أنا بيت الديدان ، ألا وإن وراء ذلك اليوم يوماً أشد من ذلك اليوم ، يوم يشيب فيه الصغير ، ويسكر فيه الكبير >> .

(وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ)

(سورة الحج)

لذلك يقول سيدنا علي : << الغنى والفقر بعد العرض على الله >> .

يقال : إن الأرض تنادي الإنسان كل يوم تقول : يا ابن آدم تمشي على ظهري ومصيرك في بطني ، يا ابن آدم ، تأكل الألوان على ظهري ، وتأكلك الديدان في بطني ، يا ابن آدم ، تضحك على ظهري ، فسوف تبكي في بطني ، يا ابن آدم ، تفرح على ظهري ، فسوف تحزن في بطني ، يا ابن آدم ، تذنب على ظهري ، فسوف تعذب في بطني .

زوروا القبور :

لذلك في بعض الأدعية : اللهم ارحمنا نحن فوق التراب ، وتحت التراب ، سيدنا النبي الكريم يقول :

((زوروا القبور فإنها تذكر الموت))

[رواه مسلم عن أبي هريرة]

وفي حديث آخر يقول :

((يقول كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، ألا فزوروها ، فإن في زيارتها موعظة وعبرة))

وكان إذا دخل على المقبرة يقول :

((السَّلامُ عَلَيْكُمْ أهْلَ الدّيارِ مِنَ المؤْمِنِينَ ، وإنَّا إنْ شاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَلاحِقُونَ ، أسألُ اللَّهُ لَنَا ولَكُمُ العافيَةَ . وزاد بعد قوله : للاحقون : أنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ))

من فوائد زيارة القبور :

إخواننا الكرام ، بعض العلماء قال : في زيارة القبور فوائد كثيرة ، منها :

1 – تذكُّر الموت والآخرة :

تذكر الموت والآخرة ، في بعض البلاد بأمريكا لا يمكن أن ترى للموت أثراً ، نحن نرى النعي ، ونسمع أحياناً إعلاما بالمئذنة ، أما هناك فلا شيء يذكرك بالموت إطلاقاً ، لذلك زيارة القبور تذكر الموت والآخرة .

مرة مررت بمدينة اسمها دربون ، طبعاً هم يعتزون بدنياهم ، وما عندهم من منشآت ، وحضارة ، مررت بمقبرة ، فأنا تجاهلت وقلت : أنتم تموتون ؟ ما دام الموت سوّى بيننا فكل هذا التقدم مصيره إلى القبر .

تذكر الموت والآخرة .

2 – تقصّر الأمل :

تقصر الأمل .

3 – تزهّد في الدنيا :

تزهد في الدنيا .

4 – ترقق القلوب :

5 – تدمع العين :

6 – تدفع الغفلة :

7– تورث الخشية :

بأيِّ سبب يُعذَّب الإنسان في القبر :

1 – معاصي القلب والجوارح :

ذكر ابن القيم رحمه الله " أن أهل القبور يعذبون على جهلهم بالله ، وإضاعتهم لأمره ، وارتكابهم لمعاصيه ، فإن عذاب القبر ، وعذاب الآخرة أثر من غضب الله وسخطه على عبده ، فعذاب القبر يكون على معاصي القلب ، والعين ، والأذن ، والفم ، واللسان والبطن ، والفرج ، واليد ، والرجل ، والبدن كله ، فمن أغضب الله ، وأسخطه في هذه الدار ثم لم يتب ، ومات على ذلك كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه ، فمستقل ومستكثر ، ومصدق ومكذب " .

2 – الغيبة والنميمة :

ورد في عذاب القبر على النميمة والغيبة ، فعَنْ أبي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ))

[البخاري]

3 – عدم الاستبراء من البول :

4 – الصلاة بغير طهور :

5 – الكذب :

6 – تضييع الصلاة :

7 – التثاقل عن الصلاة :

8 – ترك الزكاة :

9 – الزنا :

10– الغلول من المغنم :

11– الخيانة :

12– السعي في الفتنة بين المسلمين :

13– أكل الربا :

14– تركُ نصرة المظلوم :

15– شرب الخمر :

16– إسبال الثياب تكبرا :

17– القتل :

18– سب الصحابة :

19– الموت على غير السُّنة :

حكمة وعظة بالغة فاعتبروا يا أولي الأبصار :

هناك كلمة رائعة ، يقول بعض الإخوة العلماء : كم من ظالم تعدى وجار ، فما راعى الأهل ولا الجار. والله لا أجد إنساناً أغبى من الطغاة ، يقتلون ، ويقصفون ، ما تركوا جسرا ، ما تركوا بيتا ، ما تركوا معملا ، هم في زهو ، هم والله أغبى بني البشر ، لأنهم ما أدخلوا حساب الله في حساباتهم .

كم من ظالم تعدى وجار ، فما راعى الأهل ولا الجار ، بين هو في عقد الإصرار حل به الموت فحل من حلته الأزرار .

(فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ)

(سورة الحشر)

ما صحبه سوى الكفن إلى بيت البلى والعفن ، لو رأيته وقد حلت به المحن ، وشين ذاك الوجه الحسن، فلا تسأل كيف صار .

(فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ)

أين مجالسه العالية ؟ أين عيشته الصافية ؟ أين لذاته الخالية ؟ كم تسفى على قبره سافية ، ذهبت العين وأخفيت الآثار .

(فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ)

تقطعت به جميع الأسباب ، وهجره القرناء والأتراب ، وصار فراشه الجندل والتراب ، وربما فتح له في اللحد باب إلى النار .

(فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ)

نادم بلا شك ، ولا خفا ، باكٍ على زال وهفا ، يود أن صافي اللذات ما صفا ، وعلم أنه كان يبني على شفا جرف هار .

(فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ)

من أسباب النجاة من عذاب القبر :

ذكر ابن القيم رحمه الله ذكر أن من أسباب النجاة من عذاب القبر هو أن يفعل ما يلي :

1 – محاسبة النفس كل يوم :

أن يحاسب المرء نفسه كل يوم على ما خسره وربحه في يومه ، ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي : يا ابن آدم أنا خلق جديد ، وعلى عملك شهيد ، وتزود مني فإني لا أعود إلى يوم القيامة ، أن يحاسب المرء نفسه كل يوم على ما خسره وربحه في يومه .

2 – تجديد التوبة النصوح :

ثم يجدد التوبة النصوح بينه وبين الله ، فينام على تلك التوبة ، فإن مات في ليلته مات على توبة .

والله إن كثيرا من الأشخاص أيضاً في هذه الستة اشهر ماتوا في الليل .

لي صديق أستاذ بالجامعة ، دخل إلى مكتبه ليؤلف ، قال لهم : أنا داخل أشتغل ، استيقظوا صباحاً ، وصلوا ، وضعوا الأكل ، قالت لابنه : نادِ والدك ، دخل فوجده ميتا .

لذلك كان عليه الصلاة والسلام إذا استيقظ يقول :

((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ))

[الترمذي عن أبي هريرة]

إذا فتح الرجل عينه معنى ذلك أن الله سمح له بيوم جديد ، وهذه نعمة ، يستطيع أن يصلح فيه أشياء كثيرة ، وإن استيقظ استيقظ مستقبلاً للعمل ، مسروراً بتأخير أجله ، حتى يستقبل ربه ، ويستدرك ما فاته .

3 – النوم على طهارة تاليا للأذكار :

ولا ينام إلا على طهارة ذاكراً لله عز وجل ، مستعملاً الأذكار والسنن التي رويت عن رسول الله ، حتى يغلبه النوم ، فمن أراد الله به خيراً وفقه إلى ذلك .

طبعاً مما ينجي من عذاب القبر :

4 – الرباط في سبيل الله :

5 – الشهادة في سبيل الله :

6 – قراءة القرآن :

عدَّ عمرك عدّاً تنازليا :

إخواننا الكرام ، هذا حديث خطير ، لأن الموت مصير كل واحد حي ، والإنسان البطل يعد عمره عدا تنازليا لا عدا تصاعديا ، يسأل : كم بقي لي ؟ فإذا مضى أربعون عاما والنبي قال : معترك المنايا بين الستين والسبعين ، في الأعم الأغلب الذي بقي أقل من ما مضى ، فإذا مضى الذي مضى كلمح البصر، يقول لك : البارحة كنا بالابتدائي ، ما شاء الله ، الآن وزنه 80 كيلوا ، وعمره 55 ، يقول لك : البارحة كنا بالابتدائي ، الموت يأتي فجأة والقبر صندوق العمل .

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية – موضوعات مختلفة في التربية - دروس حوارية - الدرس (26-28) : الصيام والتجهيز لرمضان

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 28-08-2006

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام ، مع درس جديد من دروس التربية الإسلامية ، وسيكون محور هذا الدرس ما نحن قادمون عليه بعد عدة أسابيع من فريضة تعد ثاني أكبر العبادات في الإسلام .

أصول الإسلام :

لكن بادئ ذي بدء : العبادات في هذا الدين العظيم كما قال الإمام الشافعي : معللة بمصالح الخلق ، إن صح أن هناك مثلثاً لهذا الدين العظيم :

المقطع الأول : العقائد .

المقطع الثاني : العبادات .

المقطع الثالث : المعاملات .

المقطع الرابع : الآداب .

فالدين عقيدة ، وعبادة ، وأحكام تعاملية ، وآداب .

1 – العقيدة :

والعقيدة تقع على رأس هذه الأقسام ، وإن صحت العقيدة صح العمل ، وإن فسدت العقيدة فسد العمل .

2 – العبادات :

المقطع الثاني : هي العبادات ، العبادات كما قال الإمام الشافعي : معللة بمصالح الخلق ، فالصلاة بنص القرآن الكريم :

(تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)

(سورة العنكبوت الآية : 45)

أ ـ الصلاة :

الله عز وجل ملك الملوك ، خالق السماوات والأرض ، يمكن أن يأمرنا أن نصلي ولكن رحمة بنا أعطانا تعليلاً للصلاة ، كلما كان الآمر أكمل أعطى المأمور التعليل قال :

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ)

(سورة العنكبوت الآية : 45)

إذاً : الصلاة معللة بمصالح الإنسان ، تنهاه عن الفحشاء والمنكر ، والفحشاء والمنكر سبب هلاكه في الدنيا والآخرة .

الآن هذا التعليل مهمته أنه من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فما قطف ثماراً من الصلاة ، لئلا تقوم بأفعال لا معنى لها ، لئلا تقوم بأفعال لا فائدة منها ، لئلا تقوم بأفعال مفرغة من مضمونها ، قال :

(وَأَقِمْ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ)

النبي عليه الصلاة والسلام قال :

((الصلاة طهور))

[ورد في الأثر]

مستحيل أن يكون المصلي حقوداً ، الحقد مرض ، مستحيل أن يكون المصلي ظالماً ، الظلم مرض ، مستحيل أن يكون المصلي مستكبراً ، الكبر مرض ، واحد .

الشيء الثاني : الصلاة حبور ، سعادة ،

((أرحنا بها يا بلال))

[أبو داود]

فالذي لسان حاله يقول : أرحنا منها لم يقطف ثمار الصلاة ، فرق كبير بين أرحنا بها ، وبين أرحنا منها .

والصلاة نور ، من خلال الصلاة ترى الخير خيراً والشر شراً ، ترى الخير خيراً فتتبعه ، وترى الشر شراً فتجتنبه ، والدليل :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ)

(سورة الحديد الآية : 28)

فالصلاة نور ، والصلاة طهور ، والصلاة حبور ، والصلاة ميزان ، هل تستطيع ، وبلا مجاملة إن ارتكبت إثماً ، أو اعتديت على إنسان على ماله أو على عرضه أن تصلي ، بإمكانك أن تقف ، وتقرأ الفاتحة وسورة ، بإمكانك أن تركع وتسجد ، لكن ليس بإمكانك أن تتصل بالله ، لأن ذنبك حجبك عن الله عز وجل ، فالصلاة ميزان صارت .

((الصلاة مكيال فمن وفى استوفى))

[رواه ابن المبارك عن أبي هريرة]

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ)

(سورة النساء الآية : 43)

فالذي لا يعلم ماذا يقول في الصلاة إذاً هو لم يصلِ الصلاة التي أرادها الله .

((ليس للمؤمن من صلاته إلا ما عقل منه))

[أخرجه أحمد عن عمار بن ياسر]

الصلاة قرب ، وفي القرآن الكريم :

(وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ)

(سورة العلق)

الصلاة دعاء :

(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6)صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ)

(سورة الفاتحة)

الصلاة ذكر :

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي)

(سورة طه)

الصلاة معراج المؤمن ، الصلاة أصل الطاعات ، وغرة العبادات ، ومعراج المؤمن إلى رب الأرض والسماوات .

إذاً العبادات في الإسلام معللة بمصالح الخلق ، هذه الصلاة .

ب ـ الصيام :

الصيام منطلق حديثنا .

((من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا))

[رواه الطبراني في الكبير عن ابن عباس]

((كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش))

[أخرجه النسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة]

معنى ذلك أنه في الصيام بحسب الواحد الديان :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)

(سورة البقرة)

لعلك إذا صمت ، وتركت كل المعاصي والآثام ، وأقبلت على الواحد الديان ، واشتققت منه النور رأيت الحق حقاً والباطل باطلاً :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)

إذاً العبادات معللة بمصالح الخلق .

ت ـ الزكاة :

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ)

(سورة التوبة الآية : 103)

الغني يطهر من مرض الشح ، قال تعالى :

(وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)

(سورة الحشر)

ومن أدى زكاة ماله أذهب الله عنه الشح ، والفقير يطهر بالزكاة من مرض الحقد ، لأن الفقير يحقد ، فإن أعطيت له الزكاة لا يغدو حاقداً ، والمال يطهر من تعلق حق الغير به .

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ)

(سورة التوبة الآية : 103)

التزكية أي أن نفس الفقير تنمو ، لأنه شعر أن المجتمع لم ينسه ، ونفس الغني تنمو حينما يشعر أنه أدخل الفرحة على قلوب الآلاف ، والمال ينمو ، التعليل :

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ)

(سورة التوبة الآية : 103)

ث ـ الحج :

((من حج بمال حرام ، ووضع رجله في الركاب ، وقال : لبيك اللهم لبيك ينادى أن لا لبيك ولا سعديك ، وحجك مردود عليك))

[ورد في الأثر]

لذلك قال تعالى :

(ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ)

(سورة المائدة الآية : 97)

أنت لمجرد أن تعلم أن الله يعلم فقد حققت الثمرة من الحج .

بل والنطق بالشهادة من أركان الإيمان ، أن تشهد أنه إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، يقول عليه الصلاة والسلام :

((من قال لا إله إلا الله بحقها دخل الجنة ، قيل وما حقها ؟ قال أن تحجبه عن محارم الله))

قلت كلمة في بداية الدرس : العبادات في الإسلام معللة بمصالح الخلق ، لو أردنا أن نقف موقفة متأنية عند الصيام .

من تعريفات الصيام :

من تعريفات الصيام :

أنه عبادة الإخلاص ، كيف ؟ قد يأتي رمضان في الصيف ، واليوم في الصيف طويل ، قد يقترب من 17 ساعة ، والحر شديد ، والعطش يكاد يميت الإنسان ، تدخل إلى بيتك ، وليس في البيت أحد ، الثلاجة فيها ماء عذب فرات بارد ، ولا تستطيع أن تضع قطرة ماء في جوفك ، لماذا ؟ من يحاسب ؟ لا أحد في الأرض يحاسبك ، لذلك :

((كل عمل ابن آدم له ، إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به))

[متفق عليه]

أول شيء الصوم عبادة الإخلاص .

حِكمة الصيام : دورة تعبّدية

1 – دورة تعبدية :

لكن ما حكمته ؟ أنت في أشهر العام تأكل الطعام والشراب ، هل تشعر بذنب إذا تناولت طعام الإفطار؟ هل تشعر بذنب إذا شربت كأس ماء ؟ في أيام الإفطار هل تشعر بذنب إذا قاربت زوجتك ، وهي حلال لك ؟ أبداً إطلاقاً ، ولا واحد بالمليون ، الأشياء المباحة الحلال التي أبيحت لك ، ولا شيء عليك لو مارستها محرمة في نهار رمضان ، إذا كان تناول الطعام والشراب وهو مباح في غير رمضان ، محرماً في رمضان ، فلأن أن تدع المعاصي والآثام من باب أولى ، كأن الله عز وجل قوى فيك الإرادة، أنت ممتنع عن الطعام والشراب فهل يعقل أن تكذب ؟ هل يعقل أن تغتاب ؟ هل يعقل أن تقول الباطل ؟ هل يعقل أن تغش المسلمين ؟ أنت تارك الطعام والشراب الحلال تاركه ، فلأن تدع الحرام من باب أولى ، فكأن الله سبحانه وتعالى في هذا الشهر قوى لك الإرادة على أن تصوم رمضان .

الإنسان أحياناً يستثني دورة محدودة ، قد لا يحتمل أن يدرس لخمسين سنة قادمة ، أما دورة في ثلاثين يوما فقط يستطع .

2 – شهر المغفرة :

بالمناسبة :

((من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه))

[متفق عليه]

((من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه))

[متفق عليه]

للتقريب : المفاهيم المعاصرة واحد عليه 8 ملايين دينا ، أمواله كلها محجوزة ، عليه محاكمة ، وعليه سجن ، قيل له : افعل هذه الأفعال ثلاثين يوماً فقط ، وبعدها أنت معفى من كل شيء ، 8 ملايين ألغيت، والمحكمة ألغيت ، والحجوزات ألغيت ، هل يتردد الواحد منا ثانية ؟ أنت في رمضان تفتح مع الله صفحة جديدة .

((من صام رمضان ـ هذا في الصحاح ـ إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه))

((من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه))

إذاً أنت أمام فرصة ذهبية ، كيف ؟ تفتح مع الله صفحة جديدة .

دع الأشغال وحلَّ المشكلات إلى ما بعد رمضان :

لكن هناك فكرة دقيقة ، يجب أن تكون سرعتك في رمضان مئة ، أنت هنا صفر ، أو واحد ، أنت لا تقدر أن تمشي على الواحد ، لـ29 شعبان ، وتقفز فوراً للمئة ، لا تستطيع ، المفروض أن تهيئ نفسك ، هناك مشكلة حلّها قبل رمضان ، مشكلة عويصة أجّلها إلى ما بعد رمضان ، محاولة كسوة بيت افعلها قبل رمضان ، لأن رمضان شهر عبادة ، شهر تفرغ ، والحقيقة النبي عليه الصلاة والسلام كان يعتكف في رمضان ، وهو انقطاع عن العالم الخارجي كلياً ، أنا قد لا أحثكم على أن تعتكفوا ، الحياة معقدة ، الحياة معقدة جداً ، ولكن معنى الاعتكاف أن تنقطع عن العالم الخارجي ، عن عالم القيل والقال ، والسؤال والجواب ، والنقد ، والهموم والأحزان ، هذا شهر دورة تدريبية مع الله ، لأن العبادة فيها شحنة .

3 – شهر الشحنة الإيمانية :

أوضح مثل على ذلك : الهاتف المحمول يحتاج إلى شحن ، فإن لم تشحنه تنطفئ شاشته ويسكت ، أصبح قطعة بلاستيك لا قيمة لها إطلاقاً ، وأنت كمؤمن تحتاج إلى شحن ، الشحن كم نوعا ؟ عندنا شحن يومي ، كلما وقفت في الصلاة من أجل أن تُشحن شحنة روحية ، لذلك :

(إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً (6)إِنَّ لَكَ فِي اَلنَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً)

(سورة المزمل)

حينما تُشحن في صلاة الفجر تشعر طوال اليوم أنك ترى الحقيقة ، وأنك مالكٌ لجوارحك ، وأن كلامك سديد ، وأن قلبك مستنير ، وأن نفسك مطمئنة ، وأن رحمة الله تحفّ بك ، وأن توفيق الله عز وجل يؤيدك .

إذاً الصلاة شحنة ، لكن طبيعة الصلاة ثلث ساعة ، شحنة من الصباح إلى الظهر ، الظهر شحنة ثانية إلى العصر ، العصر شحنة ثالثة ، إلى المغرب ، المغرب شحنة إلى العشاء .

صلاة الفجر ، كنت في الفراش ، فالسنة قبلية وأنت نائم ، فالسنة قبل الفرض تدريب ، الفرض صحوت ، باعتبار تعبك طوال النهار السنة في العشاء بعدية ، السنة أقرب إلى النوم ، الفجر السنة قبلية، العشاء سنة بعدية ، في الفجر نفسك صافية ، وفي العشاء ركعتان تكفيان ، الظهر كنت في المحل التجاري ، واحد أخذ عليك مبلغا ، والثاني أزعجك ، ما اشترى ، والرابع طالبك بدينه ، أنت مشوش ، تصلي أربع ركعات ، اثنتين قبل ، واثنتين بعد ، دائماً الركعات القبلية تهيئة ، والبعدية ترميم ، ما فاتك من الفرض ترممه في السنة البعدية ، لذلك صلوات النهار طويلة ، أما الفجر قصيرة ، صحوت صافي الذهن ، شحنة ، لذلك قال عليه الصلاة والسلام :

((الصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما))

[أخرجه الحاكم من حديث أبي هريرة]

رمضان ثلاثون يوما من الصيام ، ومن قراءة قرآن ، ومن الذكر ، ومن صلاة الفجر في المسجد ، ومن صلاة العشاء في المسجد ، وكل يوم عشرون ركعة تراويح ، وثلاثون يوما من الإنفاق ، وغض بصر ، وضبط لسان ، رمضان شحنة من العام إلى العام ، الحج شحنة إلى بقية العمر ، شهر من السفر وترك الأهل والأولاد ، واستقبال الكعبة ، والطواف ، والسعي ، ووقوف بعرفات ، ووقوف بمنى ومزدلفة ... إلخ .

إذاً : العبادات شحنات ، وكلما كان الأمد أطول كانت الشحنة أشد ، هذا معنى من معاني الصيام .

4 – الصيام تقوية النفس على الإرادة :

الصيام بادئ ذي بدء : عودك على أن تطيع الله ، لأنك تركت المباحات ، فلأن تدح المنهيات من باب أولى .

إذاً المسلم يصوم بفمه وجوارحه في رمضان ، وفي شوال يفطر بفمه فقط ، وتبقى جوارحه صائمة إلى نهاية العام ، وغض بصره ، وضبط لسانه ، وتحري الحلال ، هذا طوال العام ، هذا واحد .

إذاً : الصيام تقوية الإرادة على طاعة الله ، لكن نحن نتمنى من أعماق أعماقنا ألاّ يكون صيامنا صيام حديث ، موسم رمضان في المجتمعات المعاصرة موسم الأفلام ، موسم الفن ، موسم السهرات ، موسم الولائم ، موسم التخمة ، موسم السهر إلى ساعة متأخرة من الليل ، المؤمن يجعل من هذا الشهر شهر عبادة ، لا شهر لقاءات وولائم ، وما شاكل ذلك ، والطبقة المخملية ـ والعياذ بالله ـ صيام رمضان عندها فلكلور ، تأتي إلى الخيام الرمضانية تبدأ الخيمة بتناول طعام الإفطار ، وتنتهي بالرقص والموسيقى والغناء ، رمضان عند الشاردين موسم فني فقط ، وكل الأعمال الساقطة يكتبون عنها : "إكراماً لقدوم شهر رمضان المبارك " ، نحن كمؤمنين هذا الشهر شهر عبادة ، يمكن أن تقفز قفزة نوعية في هذا الشهر .

5 ـ الشعور بالافتقار إلى الله :

شيء آخر : الله عز وجل قال :

(وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً)

(سورة النساء)

لكنه قد لا يرى ضعفه ، له منصب رفيع ، قوي الشخصية ، معه اتصالات ، ألف إنسان يخضعون له ، لكن برمضان الساعة 12 نشف لسانه ، خواطره كلها كأس ماء بارد ، كأس عرق سوس ، كأس عصير ، شيء بارد ، كأن الله أراد في رمضان أراد أن يشعرنا بافتقارنا إليه ، لما قال الله عز وجل في الأنبياء :

(لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ)

(سورة الفرقان الآية : 20)

ما معنى ذلك ؟ هذا الذي يأكل الطعام أي هو مفتقر في استمرار وجوده إلى أن تناول الطعام ، إذاً هو ليس إلهاً ، الله عز وجل قال :

(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1)اللَّهُ الصَّمَدُ (2)لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3)وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ)

(سورة الإخلاص)

الصمد ، يعني أن وجوده ليس مفتقراً إلى غيره ، أما أنت فإن أغلقت أنفك تختنق ، أنت مفتقر للهواء ، وأكثر من ثلاث دقائق تموت ، وأنت مفتقر للماء ، ومفتقر للطعام ، ومفتقر للنوم ، ومفتقر لزوجة ، مفتقر إلى بعض الأدوات والأجهزة ، لذلك في رمضان يشعر المؤمن بافتقاره إلى الله عز وجل ، فما هي العبودية ؟ أن تفتقر إلى الله .

(وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ)

(سورة آل عمران الآية : 123)

يعني مفتقرون ، أما في حنين فلم يكونوا مفتقرين ، فقالوا :

((لن تغلب اليوم من قلة))

[أخرجه البيهقي عن أنس]

نحن كثر .

(وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ)

(سورة التوبة)

أيها الإخوة ، إحساسك بالجوع والعطش نوع من الافتقار إلى الله ، أنت ـ عفواً ـ لا تعرف قيمة هذا القميص الذي ترتديه إلا في الحج ، حيث ترتدي منشفتين ، هنا قميص له أكمام ، له أزرار ، فضفاض، هناك ترتدي منشفتين ، لا تعرف قيمة الثياب إلا في الحج ، لذلك من توجيهات النبي عليه الصلاة والسلام :

((اللهم أرنا نعمك بوفرتها لا بفقدها))

[ورد في الأثر]

الشيء بالشيء يذكر : نحن كنا ننعم بما يسمى بتوازن القوى في العالم ، بوجود معسكرين كبيرين بينهما حرب باردة ، وكلما تحرك معسكر ليأخذ ما ليس تصدى له المعسكر الآخر ، فكل الدول الضعيفة تنعم برخاء بأمن واستقرار ، لوجود معسكرين ، لكن يوم كنا نعيش هذه الحرب الباردة ما كنا نعرف أن في الأرض معسكرين ، أما حينما انفرد قطر واحد رأينا منه الأهوال ، رأينا منه القهر ، والنهب ، والسلب ، والإذلال ، رأينا منه أنه فرض علينا ثقافته وإباحيته .

إذاً البطولة أن ترى النعمة بوفرتها ، لا بزوالها ، جميع الأغبياء يعرفون النعم عند غيابها ، لكن الأذكياء الموفقون يعرفون النعم بفورتها .

لذلك مرة سأل وزير ملكا ، وقد طلب كأساً من الماء ، قال له : يا أمير المؤمنين ، بكم تشتري هذا الكأس من الماء لو منع منك ؟ قال : بنصف ملكي ، قال : فإذا منع إخراجه ؟ قال : بنصف ملكي الآخر، مُلك طويل عريض يساوي كأس ماء .

لذلك نحن في رمضان مفتقرون إلى الله ، بكأس ماء ، لقمة طعام .

6 ـ الشعور بمعاناة الفقر والجائع :

شيء آخر : فكرة ، ومعاناة : لو أن لك صديقا نشأ خلاف بينه وبين زوجته ، وزوجته تركته إلى بيت أهلها ، أنت عندك فكرة أن زوجة صديقك ذهبت إلى بيت أهلها ، هذه فكرة لا تقدم ولا تؤخر ، ولا تؤثر على سلامتك وسعادتك ، أما الصديق فيأتي ظهراً فلا يجد زوجة ، وطبخا ، ولا طعاما ، الأولاد يحتاجون إلى عناية ، الصديق عنده المعاناة ، وأنت عندك فكرة هجر الزوجة ، الفرق كبير .

مثلاً : لو أريتك خارطة لقصر ، وفيها كل شيء ، الطوابق ، والغرف مساحاتها ، الشرفات ، هذه فكرة ، أما أن تملك هذا القصر فشيء ثانٍ .

لو قلت لك : مئة مليون دولار ، هذه واضحة ، بين أن تملكها وأن تنطق بها فرق كبير جداً ، مئة مليون دولار ، النطق بها سهل جداً .

لذلك في رمضان تعرف معاناة الفقير أبداً ، الفقراء في أول الثورة الفرنسية ما وجودوا خبزا ، تقول ماري أنطوانيت : يأكلون (الكاتو) ، إذا ما وجد أحدنا خبزا يأكل (الكاتو)، وهو أطيب ، فلا معاناة إطلاقاً .

لذلك قالوا :

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

***

أنت في رمضان يمكن أن تعاني مشكلة الفقير ، أنت جائع ، الذي ملأ معدته بالأكل لا يعنيه ، أما الجائع فمنظر الأكل ، ورائحة الطعام تعنيه ، إذاً : يمكن أن تشعر بجوع الفقير في رمضان ، وأن الجوع شيء لا يحتمل ، الله عز وجل ذكر نعمتين عظيمتين من نعمه ، فقال :

(أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)

(سورة قريش)

أكبر نعمتين على الإطلاق أن تأكل فلا تجوع ، وأن تأمن فلا تخاف ، الآن أكبر عقابين للأقوام الفاسدة:

(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)

(سورة النحل)

أكبر نعمتين الشبع والأمن ، وأكبر نقمتين الجوع والخوف ،

(أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)

(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)

إذاً أنت في رمضان فضلاً عن أنك تستعين بالصيام على طاعة الله التامة لأنك تركت الحلال ، تركت المباح فلأن تدع الحرام من باب أولى .

وأعانك الله بالصيام على أن تشعر بجوع الفقير ، أعانك الله بالصيام على أن تشعر بعبوديتك لله عز وجل .

الصيام عبادة جماعية :

شيء آخر ، الصيام عبادة جماعية ، تصور بلدنا خمسة ملايين في دمشق يأكلون في ثانية واحدة عقب إطلاق مدفع الإفطار ، الطرقات فارغة ، عبادة جماعية ، النظام محبب ، فكأن الله سبحانه وتعالى أرادنا أن نُنظم ، تجد في رمضان النظام ، الإمساك عن الطعام يتم مع أذان الإمساك ، الصلوات في المسجد ، الفجر في المسجد ، العشاء في المسجد ، الإفطار في وقت واحد ، لذلك الصيام عبادة جماعية، يعلّم التعاون ، يعلّم النظام .

حدثني مرة أخ والده ضابط ، نحن من ثلاثين سنة نتناول طعام الغداء مع دقات ساعة بيك بن ، الساعة الثانية ، في البيت نظام صارم ، وجبات الطعام لها أوقات .

النظام حضارة أيها الإخوة ، أحياناً يأتي سائح أجنبي يرى الطرقات عند المغرب فارغة ، ما هذا ؟ يشعر أن هناك عبادة جماعية ، الله عز وجل أرادنا أن نكون منظمين .

(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ)

(سورة الصف)

الصلاة أيضاً فيها نظام ، فيها أقات .

مرة قال لي أحدهم : أنا أصلي قبل دخول العصر ، وهذا أكثر راحة لي ، هناك نظام صارم جداً في الصلوات الخمس ، وفي الصيام .

حج رجلٌ بيت الله الحرام ، له منصب رفيع بمصر ، في أثناء العودة بالطائرة قال : والله هناك عناية بالغة ، لكن لو أقاموا الحج على خمس دورات ، كل شهرين دورة لا يكون هناك ازدحام ، أين هو من فهم هذه العبادة ؟! هي عبادة اجتماع .

أنا كنت في القاهرة بمؤتمر إسلامي ، طربت طرباً شديداً لاقتراح وزير أوقاف مسلم قال : لو أن كل حاج باستمارته تكتب حرفته ، وعلى الكمبيوتر نفرزه ، مثلاً : مدرسو الجامعات يعقدون مؤتمرا بمنى

لحلّ المشكلات ، والهموم المشتركة ، عندكم صناعيين يقيمون مؤتمرا ، وللمزارعين مؤتمر ، وللتجار مؤتمر ، ولأصحاب الوظائف المعينة مؤتمر ، الحج كأن الله أرادك أن تلتقي بكل المسلمين .

والحقيقة في الحج يرى الإنسان من كل الجنسيات .

إذاً : أراد الله من الصيام أن تكون عبادة جماعية ، والعزائم التي يقوم بها المؤمن ، ويفتقر إليها بعض المؤمنين تؤدى في رمضان بيسر وسهولة .

إذاً : أيها الإخوة ، هذه بعض الملامح التي تلوح في الأفق بهذا الشهر الكريم الذي هو فرصة ذهبية لا تعوض إلا بعد عام آخر ، كي تصطلح مع الله .

الخلاصة :

بالمناسبة ، إذا رجع العبد إلى الله نادى منادٍ في السماوات والأرض ، أن هنئوا فلاناً فقد اصطلح مع الله ، إذا رجع العبد إلى الله أنسى الله الملائكة وبقاع الأرض كلها خطاياه وذنوبه ، إذا تاب العبد توبة نصوحاً أنسى الله حافظيه ، والملائكة ، وبقاع الأرض كلها خطاياه وذنوبه ، ورمضان فرصة لفتح صفحة جديدة مع الله ، فرصة جديدة للإقبال على الله .

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية – موضوعات مختلفة في التربية - دروس حوارية - الدرس (27-28) : الإخلاص ، قيمة العلم والعمل بالإخلاص

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 18-11-2006

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطاب القرآني للناس :

1 – خطاب العامة بأصول الدين :

أيها الإخوة الكرام ، أحياناً تتجه الدروس إلى عامة الناس ، ومن أساليب القرآن الكريم أن الله حينما يخاطب الناس عامة يخاطبهم بأصول الدين ، قال تعالى :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ)

[سورة البقرة : 21]

2 – خطاب الخاصة من المؤمنين بفروع الدين :

أما إذا خاطب الخاصة منهم ، أما إذا خاطب المؤمنين يخاطبهم بفروع الدين ، قال تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ)

[سورة البقرة : 183]

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ)

[سورة المائدة : 1]

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ)

[سورة آل عمران : 102]

ضرورة تخصيص الدروس لطلاب العلم :

1 ـ خطورة الإخلاص :

لكن أجد أحياناً ضرورة قصوى إلى توجيه الدرس إلى طلاب العلم ، إلى رواد المساجد ، إلى المؤمنين، إلى السالكين إلى الله ، السبب أنه في باب الإخلاص قد تعمل عملاً كثيراً ، وقد يتسرب

الرياء إليك ، فقد تكون كنت في خندق النفاق وأنت لا تشعر ، لذلك أحد التابعين التقى بأربعين صحابياً فقال : " ما منهم واحداً إلا ويظن نفسه منافقاً من شدة خوفه من الله " .

2 ـ أهمية بيان النفاق :

وأقول لكم أيها الإخوة ، إن المنافق يعيش في حال واحد أربعين عاماً ، بينما المؤمن يتقلب في اليوم الواحد في أربعين حالاً من شدة خوفه وحرصه .

اخترت لكم في هذا اللقاء ، وفي هذا الدرس المبارك إن شاء الله موضوع الإخلاص ، لأن قيمة العمل بالإخلاص فقط ، والله عز وجل أغنى الأغنياء عن الشرك ، أنا حينما أتحدث عن الشرك لا أقصد الشرك الجلي ، الشرك الجلي والفضل لله عز وجل غير موجود إطلاقاً في العالم الإسلامي ، نحن ما عندنا آلهة ، وما عندنا أصنام كبوذا نعبدها من دون الله ، نعبد إلهاً واحداً ، لكن الخطورة ليست في الشرك الجلي ، بل هي في الشرك الخفي ، الإنسان أحياناً يتقن صلاته أمام الإخوة الكرام ، ولا يتقنها في بيته ، دخلنا في باب من أبواب الرياء والنفاق ، أحياناً إذا مدح يعمل عملاً صالحاً ، فإن لم يمدح لم يعمل شيئاً ، فيربط عمله بثناء الناس عليه ، فقد وقع حينئذ في الشرك ، وأشرك نفسه مع الله ، فلذلك أيها الإخوة ما من كتاب في الفقه أو في الحديث ومعظم الكتب الدينية تبدأ باب الإخلاص ، وقد يقول واحد منكم : هذا الموضوع طرح كثيراً ، والجواب :

(وَذَكِّرْ فَإِنّ الذّكْرَى تَنْفَعُ المُؤْمِنِينَ)

أحاديث عظيمة أصل في النيات :

الحديث الأول : إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ

أيها الأخوة الكرام ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

((إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ))

[متفق عليه]

وفي رواية :

((بِالنِّيَّةِ))

إخوتنا الكرام ، أحدُ الصالحين ما تخلف عن صلاة الفجر أربعين عاماً ، وأدرك في هذه الأعوام الأربعين مع الإمام تكبيرة الإحرام ، مرة أخذته سِنة من النوم ، فاستيقظ بعد الشمس ، وقال : ماذا يقول الناس عني اليوم ؟ أربعون سنة من أجل أن ينتزع إعجاب الناس ، أنه رجل ملازم للمساجد ، لا تفوته تكبيرة الإحرام في الصف الأول مع الإمام .

أنا ما اخترت هذا الدرس عبثاً ، لأنه ضمن الحلقات الدينية ضمن المساجد هناك دنيا ، هناك إنسان يحب السيطرة ، خصمه يسحقه ، وهو من رواد المساجد ، وحينما لا يكون الإنسان مخلصاً تبدو منه صفات غريبة وعجيبة .

هذا الدرس ليس موجهاً إلى عامة الناس ، الإنسان خارج المدرسة كلياً ما له علاقة بالوظائف والمذاكرات ، والمناهج والتفوق والأطروحة والبحث الخاص ، هذه شؤون تتعلق بطلاب المدارس ، لذلك أنا حينما أخاطب رواد المساجد طلاب العلم ، أنا أخاطبهم بخصوصيات الدين ، الإخلاصَ الإخْلاصَ .

مؤشرات عدم الإخلاص :

أيها الإخوة الكرام ، قبل أن نمضي في الحديث عن الإخلاص أعطيكم بعض المؤشرات :

ـ إذا اختلف العمل في جلوتك عن خلوتك فهذا مؤشر سلبي ليس في صالحك ، فإن اختلف العمل بين خلوتك وبين جلوتك ، يعني خلوتك وحدك جلوتك مع الناس ، هذا مؤشر ليس في صالحك ، معنى ذلك أن هناك خللاً في الإخلاص . ـ إذا اختلف العمل مع مديح الناس لك أو مع ذمهم لك ، لك أعمال طيبة مع أختك ـ وتقول دائماً : أنا أبتغي وجه الله بهذا العمل ، صدر من هذه الأخت موقف غير مناسب ، فتقسم بالأيمان المغلظة لن أساعدها بعد اليوم ، معنى ذلك أنك حينما تساعدها تريد أن تستجدي مديحها وثناءها ، والسمعة الطيبة ، فلما واجهتك بموقف لم تكن تتوقعه حلفت الأيمان المغلظة ألا تمد إليها يد المساعدة .

إذاً : الإخلاص يعني ألا يتغير العمل مع المديح أو مع الذم ، قال تعالى :

(إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً)

[سورة الإنسان : 9]

هذه علامة ثانية .

ـ العلامة الثالثة : ما من عمل يرفع إلى الله خالصاً لوجهه إلا عاد عليك منه سكينة .

العمل الصالح صحة نفسية وجسمية :

التقينا مع طبيب ـ جزاه الله خيراً ـ أنبأني بحقيقة رائعة ، أن الإنسان لما يخاف من خطر ، من شبح مصيبة ، من شبح مرض ، من شبح بطالة ، لما يكون له عدو يتربص به تتبدل كيمياء دمه ، الخطر يدرك بالدماغ ، والدماغ ملك الجهاز العصبي ، والدماغ يلتمس من ملكة الجهاز الهرموني الغدة النخامية أن تواجه الخطر ، والغدة النخامية ملكة عندها وزراء ، أهم وزرائها الكظر ، غدة فوق الكلية تعطي أمراً لوزير داخليتها أن يواجه الخطر ، الكظر معه أسلحة ، أول سلاح يرسله يرفع نبض القلب، فالخائف يزداد نبض قلبه ، السلاح الثاني يرسل أمرا إلى الرئتين يزداد الوجيب ، سلاح ثالث يرسل أمرا إلى الكبد بإفراز كمية سكر إضافية ، الأمر الرابع إلى الأوعية المحيطية ، فتضيق لمعتها ليتوافر الدم للعضلات لا إلى الجلد ، والأمر الخامس يرسل أمرا إلى الكبد لإطلاق هرمون التجلط سميكاً ، بالتعبير الآخر لزجاً ، لذلك هذا الهرمون يقرب من الجلطة ، الدم لزج ، والضغط مرتفع ، ضربات القلب عالية ، لو أنك عملت عملاً صالحاً ، لو أنك خدمت الإنسان ، خدمت من حولك ، لو كنت صادقاً، لو كنت شهماً ، لو كنت عطوفاً ، لو كنت رحيماً ، لو بذلت من مالك ، بذلت من وقتك ، بذلت من خبرتك ، ما الذي يحصل ؟ هناك هرمون آخر معاكس يوسع الأوعية ، ويخفض الضغط ، وينزل ضربات القلب ، ويخفض وجيب الرئتين ، لا يطرح سكراً زائداً ، الإنسان يشعر براحة ، وبطمأنينة ، وبسعادة ، لذلك إذا أردت أن تسعد ، أو أن تصح فأسعد الناس .

الشيء المدهش أن العمل الصالح له وزن كبير في الآخرة ، لكن من يصدق أن العمل الصالح صحة ، العمل الصالح ضغط منخفض ، العمل الصالح نبض قلب منخفض ، العمل الصالح أوعية واسعة ، العمل الصالح دم سيال ما في جلطات ، فلذلك هذه الهرمونات شيء عجيب هرمون التجلط هرمون التمييع ، هرمون توسيع الأوعية هرمون تضيقها ، هرمون رفع الضغط ، هرمون تخفيض الضغط ، هرمون رفع وجيب الرئتين ، هرمون تخفيض وجيب الرئتين .

لذلك أيها الإخوة ، لمجرد أن تعمل عملاً صالحاً خالصاً لله فأنت أسعد الناس ، إذا أردت أن تكون أسعد الناس فأسعدهم .

أيها الإخوة الكرام ، حدثني طبيب آخر أن عندنا طريق الآلام ، طريق الآلام يبدأ من المحيط ، من الحواس الخمس ، ويتجمع في العمود الفقري في النخاع الشوكي ، وينتقل إلى الدماغ ، الآلام التي لا تحتمل موجودة في الدماغ ، في قشرة الدماغ ، لما يضطر الطبيب أن يقلع لإنسان أحد أسنانه ولا يستطيع المريض أن يتحمل المخدر ، ففي أثناء نتش السن يصيب المريض ألم لا يصدق ، يكاد يخرج

من جلده ، فإذا أطلع الطبيب مريضه على السن يجد العصب الذي قطع أرفع من الشعرة ، كل هذه الآلام من هذا العصب .

هل تعلم أن في جسمك بوّاباتٍ للألم ؟!

على طريق الآلام بوابات ، إن أغلقت انخفض الألم إلى العشر ، وإن فتحت تضاعف الألم إلى عشرة أمثال ، إنها بوابات الألم ، من الذي يتحكم في هذه البوابات ؟ الحالة النفسية للمريض ، إذا كان مؤمناً كانت آلامه خفيفة جداً .

حدثني أخ طبيب هذه القصة ، لعلي رويتها لكم ، لكن الآن هي مناسبة أن يعاد سماعها ، طبيب من إخواننا الكرام بمستشفى حكومي ، جاءهم مريض مصاب بالسرطان في الأمعاء ، شيء يلفت النظر ، مبتسم ، كلما دخل مَن يعوده يقول له : أهلاً وسهلاً ، اشهد أنني راض عن الله ، يا رب ، لك الحمد ، وجهه منير ، نفسه طيبة ، مرح ، متفائل ، والمرض خبيث ، والمرض مميت ، كلما دخل إنسان يزوره يشهده أنه راض عن الله ، ويتبع هذا الكلام بكلمة الحمد لله رب العالمين ، بقي أياما معدودة وتوفاه الله ، لكن في هذه الغرفة سر وسحر وجذب ، إن ضغط على المنبه يتنافس الممرضون على الدخول إلى غرفته ، والأطباء يسرعون إليه ، ويرتاحون عنده ، نفسه راضية عن الله ، نفسه مستسلمة لله ، كلما دخل عليه إنسان قال : اشهد أنني راض عن الله ، يا رب ، لك الحمد .

والله أيها الإخوة ، لي صديق حميم أصيب بهذا المرض ، وبقي سنتين ، تقسم بالله زوجته إنه خلال السنتين ما سمعت منه إلا الحمد لله ، يا رب ، لك الحمد ، يا رب أنا راض ، الإيمان درجة عالية جداً ، سبحان الله ، توفي ، وجاء مريض آخر إلى الغرفة نفسها ، والأطباء نفسهم ، والممرضون نفسهم ، ما مِن نبي ما سبّه هذا المريض الثاني ، سبّ الدين كأنه استغفار ، صوت لا يحتمل ، رائحة كريهة ، تشاؤم ، سباب ، أصبحت هذه الغرفة قطعة من الجحيم ، يقرع الجرس فلا يجيبه أحد ، الكل يتهرب منه، أقسم بالله هذا الطبيب وقال لي : درّس للمستشفى المرض نفسه ، الآلام نفسها ، قال لي : كأن المريض الأول لا يتألم ، هذه بوابات الألم .

هذا الموضوع أنا أخذته من مجلة ، لكن الموضوع ليس له علاقة بالدين إطلاقاً ، إنها قضية علمية محضة ، هناك بوابات ألم ، فكلما ارتفعت معنويات المريض أغلقت هذه البوابات ، فوصل من الألم العشر ، وهو محتمل ، وكلما ابتعد المريض عن الله عز وجل فتحت البوابات على مصارعها ، وانهمر الألم بشكل لا يحتمل .

لذلك أيها الإخوة ، المؤمن عنده هرمون آخر غير هرمون الكظر ، هرمون يوسع الأوعية ، هرمون يخفض الضغط ، هرمون يخفض ضربات القلب ، هرمون يبعث السرور والمرح ، فلذلك إذا أردت أن تسعد فأسعد الآخرين ، النصوص .

عبدي ، كن لي كما تريد أكن لك كما تريد ، عبدي ، كن لي كما أريد ، ولا تعلمني بما يصلحك ، من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته فوق ما أعطي السائلين .

الحديث الثاني : إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ ...

أيها الإخوة الكرام ، حديث آخر متعلق بالإخلاص عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ))

[مسلم]

مرة كنت في مؤتمر إسلامي كبير في المغرب ، الأيسيسكو ، عام ثلاثة وتسعين ، ونزلنا في أضخم فندق هناك ، كان هذا الفندق مقراً لمؤتمرات القمة ، وصلنا الساعة الثانية عشر ليلاً يوم الأحد ، نمت في صبيحة اليوم الأول استمعت إلى قرآن كريم مع أذان الفجر رائع جداً ، أطللت من النافذة فإذا بعاملِ الحديقة يصلي الفجر في وقته بصوت رائع ، وبخشوع ، وبقراءة مؤثِّرة ، والله أبكاني ، وقلت : لعل هذا العامل أفضل عند الله مِن كل رؤساء الوفود في هذا المؤتمر ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ))

[الترمذي]

قد يكون الإنسان في الدرجة الاجتماعية الدنيا ، قد يكون حاجباً ، لكنه موصول بالله ، وهو عند الله كبير ، لذلك :

(إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ* خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ)

[سورة الواقعة]

الذين كانوا في القمم قد يأتي يوم هُم في الحضيض ، والذين كانوا في الحضيض قد يأتي يوم هم في القمم ، خافضة رافعة ، فالبطولة أن تتفوق لا بمقاييس البشر ، بل بمقاييس رب البشر ، أن تكون عند الله محبوباً ، قال تعالى :

(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ)

[سورة القمر]

إذاً :

((إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ))

[مسلم]

قال بعض الشعراء :

جمال الجسم مع قبح النفوس كقنديل على قبر المجوس

***

أحيانا يكون عند الرجل جَمال ، لكن كلامه بذيء .

مرة شخص أنيق جداً يبدو غنياً وألبسته غالية جداً ، وتكلم كلاماً بذيئاً جداً ، أحد الوجهاء قال له كلمة رائعة ، قال له : إما أن تلبس مثل كلامك ، أو تتكلم مثل لبْسِك .

التأدب في الكلام حلية نفيسة :

المؤمن عفيف ، والله لا أدري ماذا أقول ، أنا لا أصدق أن ينطق المؤمن بكلمة فاحشة ، هناك كلمات كثيرة ، هذا الذي تجري على لسانه هذه الكلمات والله ما أستطيع أن ألفظها في حياتي كلها ، هذا إنسان فاحش متفحش ، ليس المؤمن بالفاحش ولا المتفحش ، كلمات العورات ، كلمات فضلات الإنسان ، كلمات السباب الرخيص ، كلمات سباب أهل الأزقة المنحرفين ، هل هذا يكون في المسجد ؟ من مؤمن؟ والله الذي لا إله إلا هو مستحيل وألف ألف مستحيل أن ينطق المؤمن بكلمة فاحشة ، أو أن يكني عن العورات ، أو أن ينطق بكلام ملغوم ، أو مغشوش ، أو مزاح جنسي ، هذه كلها صفات المنافقين ، صفات السفلة ، صفات المنحرفين ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ ، وَلَا يَدْخُلُ رَجُلٌ الْجَنَّةَ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ))

[أحمد]

تعلموا الأدب من الصحابة ، قالت امرأة لعمر بن الخطاب : يا أمير المؤمنين ، إن زوجي صوّام قوام، ما انتبه سيدنا عمر ، قال : بارك الله لك بزوجك ، قال سيدنا علي : إنها تشكو زوجها ، ليس هذا موضوع مديح هنا ، ماذا اختارت هذه المرأة : صوام قوام ، في النهار صائم ، في الليل قائم ، لا علاقة له معي إطلاقاً ، وأنا محرومة منه ، اقرأ القرآن الكريم :

(وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ)

[سورة المؤمنون]

دخل الجنس ، ودخل السحاق واللواط ، وتبادل الزوجات ، والأفعال المنحرفة ، وزنا البهائم ، وزنا المحارم ، كل هذه الانحرافات تضمنتها كلمة :

(فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ)

[سورة المؤمنون : 7]

اقرأ القرآن :

(فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً)

[سورة الأعراف : 189]

كلمة تغشاها لا تجرح الحياء إطلاقاً .

قال تعالى :

(أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً)

[سورة النساء : 43]

هناك كلمات قرآنية كلها أدب ، تعلموا من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأدب ، تعلموا من القرآن الأدب، تعلموا من أصحاب رسول الله الأدب .

ثلاث نقطٍ ملخص الإخلاص :

أيها الإخوة الكرام ، موضوع الإخلاص باب كبير ، لكن أتمنى أن يكون التركيز على النقاط التالية الثلاث :

ـ المخلص لا يختلف عمله مع الناس أو وحده ، لا في خلوته ولا في جلوته ، عمل واحد ، عبادة واحدة، انضباط واحد .

ـ المخلص لا يتأثر لا بالمديح ولا بالذم .

ـ المخلص يشعر بالسكينة ، لأن السكينة شيء يلقى في قلبه يشعره بالسعادة ، وإن لم تقل : أنا أسعد الناس فالإيمان في خلل .

الحديث الثالث : مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ ...

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ ، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَعَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ ، وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ))

[مسلم]

لكن هنا سؤال : من همّ بحسنة فلم يستطع أن يعملها ، ما له أجر إطلاقاً ، ما استطاع أن يسرق ، وجد في البيت أشخاصا ، فلم يستطع أن يسرق ، من هم بحسنة بنهي ذاتي ، بندم ما عمِلها .
القضية في النية ، طبعاً أضرب مثلاً مشهوراً لشخص يملك آلاف الدنمات ، جاء من يهمس في أذنه أن هذه الأرض كلها مشاع ، وأسعارها رخيصة جداً ، أنت حينما تتبرع لبناء مسجد تضطر البلدية أن تنظم هذه الأرض إلى محاضر ، فإذا فرزت إلى محاضر ارتفع سعرها ، هو في الأصل لا يصلي ، فقدم لبناء مسجد خمسة دنمات ، فالبلدية اضطرت أن تنظم هذه الأرض أن تفرزها إلى محاضر ، وارتفع السعر ، هو عند الناس محسن كبير .

إيّاك والوقوفَ في خندق مُعادٍ للدين !!!

مرة أحد إخوتنا الكرام له زوجة مدرسة في ثانوية ، والمديرة يبدو أنها حاقدة على كل فتاة محجبة ، فتتفنن في إذلالها ، في إيلامها ، في فصلها ، في تحقيرها ، وكثير من المدرسات تركوا الثانوية خوفاً من بطشها ، شوهدت بعد بضع سنوات على رأسها الحجاب ، ما الذي حصل ؟ لعلها تابت ، لا ، أصيبت بمرض عضال في جلدة رأسها ، فنصحها الطبيب أن تضع خمارا على رأسها ، قالت له : هل يمكن أن أضع الباروكة (الشعر الاصطناعي) ، قال : لا ، تسبِّب لكِ حساسية ، يجب أن تضعي خمارا فقهرها الله بالحجاب .
أشقى الناس من كان في خندق معادٍ للدين ، هذا أشقى إنسان ، لأنه في الآية ملمحًا دقيقًا ، لما قال الله عز وجل :

(إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ)

[سورة التحريم : 4]

هل من المعقول لعائشة ، وأختها استنفار :

(فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاَهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ المُؤْمِنِينَ وَالمَلاَئِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ)

إذا انتقدت فتاة النظام يحدث استنفار القوى الجوية والبحرية ، وقوى الأمن والإعلام ، إنها امرأة انتقدت بكلمتين .
في الآية شيء ليس واضحاً ، لكن بعض المفسرين قال : إذا كنت معادياً للحق فاعلم من هو الطرف الآخر ، لذلك الله عز وجل توعد بالحرب لشخصين فقط في القرآن والسنة)
توعد بحرب المرابي ، قال تعالى :

(فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ)

[سورة البقرة : 279]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ اللَّهَ قَالَ :

((مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ))

[البخاري]

سبحان الله !!! بعض الأشخاص أحياناً يتلذذ بقهر الضعيف ، قد يكون مؤمنًا ضعيفًا ، لكنه بريء ، فيلصق به تهمة هو بريء منها ، فيتفنن في إذلاله .

والله أعرف رجلاً هو من علماء الشام الأجلاء ، عنده مركبة ، في أثناء رجوعه يبدو أن مركبته مست مركبة أخرى ، من أدبه وورعه كتب رسالة أن هذا تلفوني ، وأنا مستعد لإصلاح الخلل مهما بلغ ، الخلل ضربة خفيفة جداً ، يمكن أن تصلح في دقائق ، مع ذلك كتبها ، في أثناء كتابة الورقة جاء صاحب السيارة ، وله عمامة وجبة ، لم يترك كلمة بذيئة ما نعته بها ، الله يسامحك ، مهما ترد أعطك ، خذ عشرة أضعاف ، هذا صاحب السيارة السفيه عنده ثاني يوم حفلة خارج دمشق ، عنده مزرعة ، فأحد أصدقائه ما عرف المزرعة ، فقال له : أنا سآتي وآخذك ، فوقع في حادث صدام فقطع عموده الفقري ، عمره ست وعشرون سنة ، وهو يقضي عمره كله مشلول .

((مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ))

[البخاري]

إياك أن تقترب من إنسان ولي لله عز وجل ، تجلس فتنصب له فخًا أو سؤالا محرجًا ، أو تتهمه بتهمة باطلة ، أو أنه لا تقدّر ، هذا ولي لله عز وجل ، فالله يحارب اثنين ، يحارب المرابي ، و :

((مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ))

الإخلاصَ الإخلاصَ :

أيها الإخوة الكرام ، الموضوع يتعلق بالإخلاص ، ومع الإخلاص ينفع قليل العمل وكثيره ، ومن دون إخلاص لا ينفع قليل العمل ولا كثيره ، والإخلاص عبادة القلب ، ولا يعلم به أحد ، لا ملك ، ولا نبي ، فلذلك الإخلاصَ الإخْلاصَ ، وهناك إخلاص يحتاج إلى إخلاص .

وراقب قلبك ، هل تبتغي وجه الله ، أنا أغنى الأغنياء عن الشرك ، الشرك أخفى من دبيب النملة السمراء ، على الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء .

هل يمكن أن تسمع مشي نملة في الليل على صخرة صماء ؟ هل تسمع صوت مشيها ؟ مستحيل ، فالشرك أخفى من ذلك ، وأدناه أن تحب على جور ، إنسان جائر تحبه ، غني قوي ، يبرك فتتعامى عن

خطأه ، لا تنصحه أبداً ، يباع بالعزاء ، أنا لي مصلحة معه الآن ، أو أن إنساناً نصحك بأدب فلا تقبل ، مَن أنت حتى تنصحني ؟ أخذته العزة بالإثم .

عليكم بالتواضع وإيّاكم والعلوّ :

فيا أيها الإخوة الكرام ، تواضعوا لله ، باب العلو في الأرض عليه ازدحام شديد ، أما باب الانكسار إلى الله فليس عليه ازدحام أبداً .

بالمناسبة ، أيها الإخوة الكرام ، هناك ست جهات ، شرق ، غرب ، شمال ، جنوب ، فوق ، تحت ، أليس كذلك ؟ أربع جهات احتلها إبليس ، قال تعالى :

(ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ)

[سورة الأعراف : 17]

لكن ما تكلم عن فوق وتحت ، الطريق إلى الله محروس من الشيطان ، وطريق الانكسار أيضاً محروس ، فتحت هناك حراسة ، وفوق هناك حراسة ، أما الأربع اتجاهات فللشيطان ، قال تعالى :

(لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ)

[سورة الأعراف]

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية – موضوعات مختلفة في التربية - دروس حوارية - الدرس (28-28) : البرنامج العملي لما بعد رمضان

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 25-11-2006

بسم الله الرحمن الرحيم

أعياد المسلمين تأتي عقِب عبادات :

أيها الإخوة الكرام ، قبل كل شيء كل عام وأنتم بخير ، وأعياد المسلمين كما تعلمون تأتي عقب عبادات كبرى ، فعيد الفطر السعيد يأتي عقب فريضة الصيام ، وعيد الأضحى المبارك يأتي عقب الحج ، لذلك فرح المسلم بأعياده فرح ديني ، وما قوله تعالى :

(وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)

(سورة البقرة)

ما هذه التكبيرات إلا تكبيرات الشكر ، لذلك هذا درس وحيد بعد العيد ، وننتقل إن شاء الله في الدروس القادمة إلى فقه السيرة النبوية ، ونستمر .

وما التكبيرات التي وردت في القرآن الكريم عقب آيات الصيام :

(وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)

إلا من أجل أن نتابع المكتسبات التي كسبناها في رمضان بعد رمضان .

لذلك ما اصطفى الله من أشهر العام شهر رمضان إلا ليكون فيه الصفاء والقرب والعبادة ، والتلاوة ، والصلاة في المسجد فجراً وعشاءً إلا لينسحب هذا المكتسب على أشهر العام ، أما حينما نقول : إننا نعود إلى ما كنا عليه فما استفدنا من شهر الصيام إطلاقاً .

(كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً)

(سورة النحل الآية : 92)

((مثل المنافق في الصيام كمثل الناقة حبسها أهلها فلا تدري لا لما حبست ، ولا لما أطلقت))

ما الذي فعلته في الصيام ؟ صليت العشاء في المسجد ، وصليت التراويح ، وهي قيام الليل ، وصليت الفجر في المسجد .

بنود البرنامج العملي لِما بعد رمضان :

البند الأول : صلاة الصبح والعشاء في المسجد جماعة :

البند الأول في هذا الدرس : أن تسعى جهدك أن تصلي فرضي الفجر والعشاء في المسجد ، فعَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ ، فَلَا يَطْلُبَنَّكُمْ اللَّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ فَيُدْرِكَهُ فَيَكُبَّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ))

[البخاري]

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَهُوَ كَمَنْ قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَهُوَ كَمَنْ قَامَ اللَّيْلَ كُلَّهُ))

[مسلم]

((ابن آدم : لا تعجز عن ركعتين قبل الشمس ، وقبل الغروب أكفك ما بينهما))

[ورد في الأثر]

الإنسان فوقه أخطار لا تعد ولا تحصى ، والدعاء النبوي الشريف :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ :

((اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ، وَابْنُ عَبْدِكَ ، وَابْنُ أَمَتِكَ ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي ، وَنُورَ صَدْرِي ، وَجِلَاءَ حُزْنِي ، وَذَهَابَ هَمِّي ، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا ، قَالَ : فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا ؟ فَقَالَ : بَلَى ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا))

[أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم من حديث ابن مسعود]

((أعوذ بنور وجهك الكريم الذي أضاءت له السماوات والأرض ، وأشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، أن تحل علي غضبك ، أو تنزل علي سخطك))

[رواه الطبراني في الكبير عن عبد الله بن جعفر]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ : كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ))

[رواه مسلم]

الإنسان نقطة دم لا ترى بالعين ، تتجمد في مكان بالدماغ فيفقد بصره ، وفي مكان آخر يفقد ذاكرته ، وفي مكان ثالث يفقد حركته ، نحن تحت ألطاف الله عز وجل .

((لا تعجز عن ركعتين قبل طلوع الشمس ، وقبل الغروب أكفك ما بينهما))

((مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ))

[البخاري]

في رعاية الله ، في حفظ الله ، في توفيق الله ، في تأييد الله ، في نصر الله .

((مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَهُوَ كَمَنْ قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَهُوَ كَمَنْ قَامَ اللَّيْلَ كُلَّهُ))

هذه واحدة .

أنت في رمضان صليت الفجر في جماعة ، والعشاء في جماعة .

البند الثاني : المواظبة على قيام الليل :

الآن أنت في رمضان صليت قيام الليل ، صليت عشرين ركعة ، أو ثماني ركعات ، ماذا عليك لو استيقظت قبل الفجر بربع ساعة ، وصليت ركعتين ، وقدر ورد في الحديث الصحيح عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ قَالَا : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((إِنَّ اللَّهَ يُمْهِلُ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلُ نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ : هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ))

[مسلم]

صليت في رمضان عشرين ركعة كل يوم ، صلِ بعد رمضان ركعتين فقط ، أو أربع ركعات ، ولا مانع من أن تقرأ من المصحف ، كختمة ، كل ركعة صفحة ، ضع أمامك مصحفًا ، وابدأ ختمة لقيام الليل ، كل ركعة صفحة ، وتدبر كلام الله عز وجل .

أنا أعطيكم برنامجًا عمليًا ، أنت في رمضان صليت الفجر في جماعة ، والعشاء في جماعة ، وصليت القيام حاول أن تصلي العشاء في المسجد ، والفجر في المسجد ، وأن تصلي ركعتين قبل الفجر في بيتك قيام ليل واقرأ بهما صفحتين .

البند الثالث : المواظبة على تلاوة القرآن :

أنت في رمضان تلوت القرآن الكريم ، أليس كذلك ؟ ينبغي أن تقرأ كل يوم ست صفحات أو خمسًا ، أو أربعًا ، ابدأ بختمة تلاوة ، الختمة الأولى ، ختمة قراءة لقيام الليل اقرأ أربع صفحات ، أو خمسًا ، أو

عشرًا ، بقدر طاقتك ، إذا أقبلت النفس فاحملها على النوافل ، وإذا فَتَرتْ فاحملها على الفرائض ، فأنت بين حالة إقبال وفتور ، إياك ، ثم إياك ، ثم إياك أن تقول كما يقول الجهلاء : ساعة لك ، وساعة لربك، هذه مقولة شيطانية ، أنت لله دائماً .

(قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)

(سورة الأنعام)

(إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ)

(سورة التوبة الآية : 111)

صار معنا الفجر في المسجد ، والعشاء في المسجد ، وأربع صفحات قرآن ، أو خمس ، أو ست ، ربع ساعة أو أقل عشر دقائق ، وركعتان قيام ليل .

البند الرابع : المواظبة على غضِّ البصر :

ماذا فعلت في رمضان أيضاً ؟ كنت في رمضان تغض البصر عن محارم الله .

(قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ)

(سورة النور الآية : 30)

فإذا وفقك الله في رمضان في غض البصر فينبغي أن تتابع هذه العبادة بعد رمضان .

((من غض بصره عن محارم الله أورثه حلاوة في قلبه إلى يوم يلقاه))

[ورد في الأثر]

ينبغي أن تتابع هذه العبادة بعد رمضان .

((من غض بصره عن محارم الله أورثه حلاوة في قلبه إلى يوم يلقاه))

((ومن ملأ عينيه من الحرام ملأهما الله من جمر جهنم))

((والنظرة سهم مسموم من سهام إبليس لعنه الله ، فمن تركها خوفا من الله آتاه الله عز وجل إيمانا يجد حلاوته في قلبه))

[أخرجه الحاكم وصحح إسناده من حديث حذيفة]

إذاً : البند الثالث بعد رمضان : أن تتابع غض البصر ، وغض البصر من أولى ثمراته الوفاق الزوجي، وكان الإمام الشعراني رحمه الله تعالى يقول : " أنا أعرف مقامي عند ربي من أخلاق زوجتي ، مادام الزوج طائعاً لله ، غاضاً للبصر ، فالله عز وجل يرزقه محبة زوجته ، وقد قال عليه الصلاة والسلام :

((الحمد لله الذي رزقني حب عائشة))

[ورد في الأثر]

مِن نِعم الله الكبرى أن تحب زوجتك ، حلالك ، أم أولادك التي أكرمك الله بها ومن شقاء الإنسان أن يبغض زوجته ، وأن يحب امرأة لا تحل له .

((الحمد لله الذي رزقني حب عائشة))

إذاً : فلنتابع بعد رمضان غض البصر كما كنا في رمضان .

وأنتم جميعاً في رمضان تستمعون إلى الدعاء الشهير : اللهم أعنا على الصيام والقيام وغض البصر وحفظ اللسان .

البند الخامس : ضبطُ اللسان بعد رمضان :

في رمضان أغلب الظن أنك ابتعدت عن الغيبة والنميمة ، أما أن تكون المجالس بعد رمضان مجالس غيبة ونميمة ، وخوض في أعراض الناس ، وافتراءات ، وغمز ، ولمز وما شاكل ذلك فهذا محرّم ، لذلك قال عليه الصلاة والسلام :

((مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعالى فِيهِ إلاَّ قامُوا عَنْ مثل جِيفَةِ حِمارٍ وكانَ لَهُمْ حَسْرَةً))

[رواه أبو داود وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه]

((مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعالى فِيهِ))

بل هم في غيبة ، ونميمة وغمز ، ولمز ، وسخرية ، ومحاكاة

((إلاَّ قامُوا عَنْ مثل جِيفَةِ حِمارٍ))

((وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ ، وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ ، وَذَكَرَهُمْ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً)

(سورة الأحزاب)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً)

(سورة الأحزاب)

((من أكثر ذكر الله فقد برئ من النفاق))

[أخرجه الطبراني في الصغير عن أبي هريرة]

أيها الإخوة ، في رمضان صليت الفجر في جماعة ، وبعد رمضان ينبغي أن تصلي الفجر في جماعة، في رمضان صليت العشاء في جماعة ، وبعد رمضان ينبغي أن تصلي العشاء في جماعة ، في

رمضان صليت قيام الليل ، وبعد رمضان ينبغي أن تصلي قيام الليل ولو ركعتان ، في رمضان تلوت القرآن ، وبعد رمضان ينبغي أن تتلو القرآن كل يوم ، في رمضان غضضت بصرك عن محارم الله ، وبعد رمضان ينبغي أن تتابع هذه العبادة وفيها آية كريمة :

(قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ)

الآن في رمضان ضبطت لسانك عن الغيبة والنميمة والبهتان والقذف والغمز واللمز والسخرية ، والتقليد ، والمحاكاة ، وقد عد الإمام الغزالي عد معاصي اللسان أكثر من ثلاثين معصية .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ))

[رَوَاهُ البُخَارِيُّ وأحمد]

السيدة عائشة وصفت السيدة صفية رضوان الله عليهما بأنها قصيرة ، فقال عليه الصلاة والسلام :

((يا عائِشَةَ لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ البَحْرِ لَمَزَجَتْه))

[رواه أبو داود والترمذي ، عن عائشة رضي الله عنها]

هذه مجالس النساء .

فلذلك أيها الإخوة ، ضبط اللسان الذي كان في رمضان ينبغي أن يستمر بعد رمضان .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ ، وَلَا يَدْخُلُ رَجُلٌ الْجَنَّةَ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ))

[أحمد]

احذر لسانَك أيُّـها الإنسانُ لا يلدغنَّك إنـه ثُـعبانُ

كم في المقابر من قتيل لسانِه كانت تهابَ لقاءَه الشجعانُ

***

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ :

((أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ ؟ قُلْتُ : بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ : كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا ، فَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ ؟ فَقَالَ : ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ، أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ))

[أخرجه الترمذي وصححه وابن ماجه والحاكم]

مرة ثانية :

((إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ))

[رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وأحمد]

دققوا ثانية في كلمة قصيرة ، قالتها السيدة عائشة عن أختها صفية ، فقال عليه الصلاة والسلام :

((يا عائِشَةَ لَقدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْه))

الفجر ، والعشاء ، والقيام ، والتلاوة ، وغض البصر ، وحفظ اللسان .

البند السادس : المواظبة على الصدقة :

أنت في رمضان تصدقت ، وكان عليه الصلاة والسلام جواداً ، وكان أجود ما يكون في رمضان ، وبعد رمضان ينبغي أن تتصدق ، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ))

[متفق عليه عن عائشة]

الأعمال المستمرة تحدث في النفس التراكم ، فتتراكم ثقتك بنفسك ، ويتراكم إقبالك على الله ، وتتراكم قربك من الله ، لذلك :

((أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ))

عَنْ عَلْقَمَةَ قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْتَصُّ مِنَ الْأَيَّامِ شَيْئًا ؟ قَالَتْ :

((لَا كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً ...))

[متفق]

مستمراً ، لذلك بطولتك أنك إذا فعلت عملاً صالحاً ينبغي أن تتابعه .

مثلاً : أعجبك درس السبت في هذا المسجد ، البطولة أن تتابعه ، فرضاً لو أحب الواحد المطالعة ، ويحب المقالات الطبية ، اشترى مجلة طبيبة فقرأها كلها ، هل يصبح طبيبًا ؟ هل يستطيع أن يفتح عيادة ؟ هل يستطيع أن يكتب الدكتور فلان ؟ يقصّون رقبته ، ما اسمها هذه ؟ هذه ثقافة ، عنده ثقافة طبية ، قرأ المقالة ، فتكلم كلمتين في بالطب ، أما أن يفتح عيادة ، أين الدكتوراه ؟ أين البكالوريا العلمي؟ أين 230 علامة ؟ أين أول سنة علوم عامة ؟ أين ثاني سنة تشريح ؟ أين ثاني سنة فيزلوجيا ؟ أين رابع سنة علم الأمراض ؟ أين خامس سنة علم الأدوية ؟ أين السادسة والسابعة التاج ، أين هم هذه كلها؟.

فكل إنسان حضر درس علم والله شيء حلو ، الله يجزيه الخير ، بعد ذلك كان عنده عقد قران ، فقام رجلٌ وألقى كلمتين ، هذه ثقافة ، لا تقدم ولا تؤخر ، كما لو قرأت بعض المقالات الطبية ، لا يمكن أن تكون طبيباً ، بالضبط ، هذا واضح .

الزم مجلس علم ، اقرأ كتاباً على يد عالم ، اسمع شرائط ، في العقيدة ، في السيرة ، في الفقه ، في التفسير ، في الحديث ، اجلس مع طلاب العلم ، استمع إليهم حاورهم ، أسالهم ، لمجرد أنك تطلب العلم إنك تؤكد إنسانيتك .

في الإنسان حاجات سفلى ، نحن والبهائم سواء ، نحن ننام والحيوان ينام ، نحن نتزوج والحيوان يتزوج ، نأكل ويأكلون ، نشرب ويشربون ، أليس كذلك ؟ نحن على أرقى ، هناك غرفة نوم ، هناك طاولة سفرة على أرقى ، مادامت النوازع أرضية فقد هبطت عن مستوى إنسانيتك ، واللهُ عزوجل أودع الله فيك حاجة علوية ، قوة إدراكية ، فإذا لبيت هذه الحاجة فأنت إنسان .

لذلك إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم ، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم ، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم ، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك ، فإذا أعطيته بعضك لم يعطِك شيئاً .

((مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لا يَذْكُرُهُ ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّت))

[رواه البخاري، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه]

عَن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنْ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ))

[الترمذي ، أحمد]

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قَالَ : ذُكِرَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالْآخَرُ عَالِمٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ))

[رواه الترمذي عن أبي أمامة]

((وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ))

[الترمذي عن أبي الدرداء]

إذاً ينبغي أن تطلب العلم كي تعرف من أنت ، لماذا أنت في الدنيا ؟ ما هو العمل المجدي ؟ كيف لا تندم ، ما العمل الذي إذا فعلته لا تندم أبداً .

أيها الإخوة ، كل الذي أتمناه عليكم أننا بعد رمضان ينبغي أن نحافظ على مكاسبنا التي حققناها في رمضان ، بدءاً من صلاة في المسجد فجراً وعشاء ، ثم تلاوة القرآن ، ثم قيام الليل ، ثم غض البصر ، ثم حفظ اللسان ، ثم الأعمال الصالحة ، هذا الذي يأتيه ملك الموت على أي شيء يندم ؟ على العمل الصالح .

(رَبِّ ارْجِعُونِ* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ)

(سورة المؤمنون)

أيها الإخوة ، هناك شيء دقيق جداً ، أحد الصالحين حفر في صحن داره قبراً ، وصار يضطجع فيه كل يوم خميس ، ويتلو قوله تعالى :

(رَبِّ ارْجِعُونِ* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ)

فيخاطب نفسه ويقول : قومي لقد أرجعناك ، تفضلي ، النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَّاتِ ـ مفرق الأحباب ، مشتت الجماعات ـ))

((عش ما شئت فإنك ميت ، وأحبب من شئت فإنك مفارقه ، واعمل ما شئت فإنك مجزي به))

[أخرجه الشيرازي ، و الحاكم ، والبيهقي ، عن علي]

((إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر))

[أخرجه الطبراني وأبو نعيم في الحلية عن واثلة]

البند السابع : المواظبة على القربِ من الله :

في رمضان كنت أقرب إلى الله ، والحقيقة الدقيقة أن طالب العلم ، وأن الصادق مع الله يجعل من شهور العام كلها رمضان ، رب رمضان ، ورب شوال ، ورب ذي القعدة ورب ذي الحجة ، ورب محرم ...إلخ .

الله موجود :

إذا كنت في كل حال معي فعن حملي زادي أنا في غنى

فأنتم هو الحق لا غيركم فياليت شعري أنــا من أنا

***

ما الذي يمنع أن تكتب برنامجا يوميًا لك : الصلاة في المسجد ، تلاوة أربع صفحات ، قيام ليل ركعتين، اكتب برنامجًا ، وحاسب نفسك فيه ، واكتبْ مخالفات لنفسك ، إذا قصرت في يوم فادفع صدقة، هذا هو السير إلى الله ، هذا تجده في القبر .

(يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)

(سورة الشعراء)

قال العلماء : " القلب السليم هو القلب الذي لا يشتهي شهوة لا ترضي الله ، والقلب السليم هو القلب الذي لا يصدق خبراً يتناقض مع وحي الله ، والقلب السليم هو القلب الذي لا يعبد غير الله ، والقلب السليم هو القلب الذي لا يحتكم إلا لشرع الله " .

(يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)

هذا هو القلب السليم .

أيها الإخوة ، هذا الدرس شحذٌ للهمم ، وتأجيج للمشاعر ، وحفاظ على المكتسبات ، لجعل أشهر العام رمضان ، لإدامة الصلة بالله ، لترميم الخطأ .

بعض الشعراء ولا أحب أن أذكر اسمه يقول :

رَمَضانُ ولّى هاتِها يا ساقي مُشتاقة تَسعى إلى مُشتاق

***

مرة سمعت أنه عُوتب من قِبَل طالب علم ، يوم كان حياً ، القصة قديمة ، فلما عُتب وهو الذي مدح رسول الله في قصيدتين شهيرتين كيف يقول :

رَمَضانُ ولّى هاتِها يا ساقي مُشتاقة تَسعى إلى مُشتاق

كان هذا الشاعر ذكياً جداً ، فدافع عن نفسه بآية كريمة قال :

(وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ)

(سورة الشعراء)

أيْ ما فعلها ، هكذا قال .

على كلٍ ، هذه سقطة من سقطات المؤمن ، أن يعود بعد رمضان إلى ما كان قبل رمضان ، وكأنه ألغى هذا الشهر الكريم ، وكأنه جعله طقساً ، ولم يجعله عبادة ، ما الطقوس ؟ الأديان الوضعية الأرضية هي طقوس ، يعني حركات ، وسكنات وإيماءات ، وتمتمات ، وكلمات ، وأفعال لا معنى لها، ما لها معنى إطلاقاً ، بينما العبادات معللة بمصالح الخلق ، العبادة معللة .

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)

(سورة العنكبوت الآية : 45)

العبادة ، الصيام :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)

(سورة البقرة)

الحج :

(لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ)

(سورة المائدة الآية : 97)

الزكاة :

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ)

(سورة التوبة الآية : 103)

فالعبادات معللة بمصالح الخلق .

أيها الإخوة الكرام ، إلى لقاء آخر إن شاء الله تعالى .

والحمد لله رب العالمين

الفهرس